

صفحات من

الإعجاز العلمى والاجتماعى

فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة

كتبها عدد من كبار العلماء المعاصرين ولخصها أقرانهم

الجزء الأول

مراجعة وتقديم

أ. د. زغلول النجار



صفحات من

الإعجاز العلمى والاجتماعى فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة

الجــزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ أكتوبر ٢٠٠٨م



٧ أ شارع فريد سميكة ـ مصر الجديدة

تليفون وفاكس: ٢٢٤١٥٨١٦ ـ ٢٢٤٠٤٨٦٨

٢٦٤٣٢٤٨٨ ـ ٠١٠١٦٣٣٧١٨

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

صفحات من
الإعجاز العلمى والاجتماعى في القرآن الكريم وفى السنة المطهرة

كتبها عدد من كبار العلماء المعاصرين ولخصها أقرانهم

الجزء الأول

مراجعة وتقديم

أ. د. زغلول راغب محمد النجار

أستاذ علوم الأرض وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم

رئيس لجنة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ج. م. ع.



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

صفحات من الإعجاز العلمى والاجتماعى فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة/ كتبها عدد من كبار العلماء المعاصرين ولخصها أقرانهم؛

مراجعة وتقديم زغلول راغب محمد النجار. ـ

ط١ . ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م.

١٨٠ ص؛ ١٧ × ٢٤سم.

تدمك 4 - 84 - 6278 - 977 - 978

١ ـ القرآن ـ إعجاز

النجار، زغلول راغب محمد (مراجع ومقدم)

٢٢٩,٧

رقم الإيداع ٢٠٢٢٤ / ٢٠٠٩م

الترقيم الدولى I.S.B.N. - 978- 977- 6278 - 84 - 4

المحتـويـات

الموضــــوع	الصفحة

مقدمة

القرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظ بين أيدى الناس اليوم بنفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ ولذلك فهو لا بد أن يكون مغايراً لكلام البشر، وأن يكون معجزاً فى كل أمر من أموره، فهو معجز فى بيانه ونظمه؛ لأنه ليس بالشعر، ولا بالنثر، ولكنه نمط من العربية فريد، وصياغة متميزة، لم يبلغها فصحاء العرب وهم فى قمة من قمم الفصاحة والبلاغة وحُسْن البيان، وعجزوا عن الإتيان بشىء من مثله.

وبما أن القرآن الكريم هو بيان من الله ـ تعالى ـ فلا بد أن يكون كل ما فيه حقًا مطلقًا: حديثه عن العقيدة؛ وهى غيب مطلق، وعن العبادة؛ وهى أوامر إلهية محضة، وعن كلّ من الأخلاق والمعاملات؛ وهى ضوابط للسلوك. وكذلك إشارات القرآن الكريم إلى الكون ومكوناته، وبعض أشيائه وظواهره؛ لأنه كلام الخالق، ومن أدرى بالخلق من خالقه؟! واستعراضه لسيَر أعداد من الأنبياء السابقين، والأمم البائدة لم يدون لنا التاريخ شيئًا عنها، والاكتشافات الأثرية المتابعة تثبت صدق القرآن الكريم فى جميع ما أورد.

والقرآن الكريم هو أيضًا معجز فى دستوره التربوى الفريد، وفى خطابه إلى النفس الإنسانية، وارتقائه بها فى معارج الله العليا إلى مستويات لا يمكن لأى خطاب آخر أن يصل إليها، وفى إنبائه بعدد من الغيوب التى تحققت من قبل، ولا تزال تتحقق، وفى تحديه للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله دون أن يتمكن عاقل من التقدم ليقول: نعم، لقد استطعت أن أكتب سورة من مثل سور القرآن الكريم.

وعلى ذلك تتعدد جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم ـ بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشىء من مثله ـ بتعدد الزوايا التى ينظر منها إنسان محايد إلى كتاب الله.

ومن هذه الجوانب:

١ ـ الإعجاز اللغوى، الأدبى، البيانى، البلاغى، النظمى، اللفظى، والدلالى.

٢ ـ الإعجاز العقدى (الاعتقادى).

٣ ـ الإعجاز التعبدى (العبادى).

٤ ـ الإعجاز الأخلاقى؛ بمعنى مواءمة دستوره الأخلاقى للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

٥ ـ الإعجاز التشريعى كما يتضح فى فقه المعاملات.

٦ ـ الإعجاز التاريخى الذى تؤكده الاكتشافات الأثرية للأمم البائدة التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم.

٧ ـ الإعجاز التربوى.

٨ ـ الإعجاز النفسى.

٩ ـ الإعجاز الاقتصادى.

١٠ ـ الإعجاز الإدارى.

١١ ـ الإعجاز الإنبائى بأمور غيبية مؤقتة أو مطلقة.

١٢ ـ الإعجاز العلمى.

١٣ ـ الإعجاز الصوتى.

١٤ ـ الإعجاز فى وصف مشاهد الساعة.

١٥ ـ إعجاز التحدى للإنس والجن فرادى ومجتمعين على أن يأتوا بشىء من مثله فى أسلوبه، أو مضمونه، أو محتواه، ولم يتمكن أحد من ذلك.

١٦ ـ إعجاز حفظه بنفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى أربعة عشر قرنًا أو يزيد، فى الوقت الذى تعرضت فيه كل صور الوحى السابقة للضياع التام، وما بقى من

ذكريات عن بعضها على هيئة ترجمات غير معلوم من قاموا بها؟ ولا الأصول التى ترجمت عنها؟ ولا متى كتبت؟ ولا أين كتبت؟ ولا بأية لغة كتبت؟ وقد تعرضت تلك الترجمات ولا تزال تتعرض ـ للتحريف تلو التحريف، والتحرير بعد التحرير، وإلى التبديل والتغيير، وإلى الحذف والإضافة، وإلى غير ذلك من صور التقول على الله الذى لا يزال مستمرًا إلى يومنا هذا، مما أخرج تلك الرسالات السماوية السابقة عن إطارها الربانى، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها والمنتسبين إليها اسمًا.

ولهذه المفاضلة بين كتب تركت لأصحابها فضيعوها، وكتاب تعهد الله بحفظه فحفظ، امتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ القرآن الكريم فى العديد من آياته، والتى منها قوله عز من قائل:

■ ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١، ٢).

■ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

■ ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٦٦).

■ ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
(الأنعام: ٩٢).

■ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧).

■ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ⑬ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (هود: ١٣، ١٤).

■ ﴿الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الرعد: ١).

■ ﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١).

■ ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٥٢).

■ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

■ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧).

■ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

■ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ (الكهف: ١).

■ ﴿طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه: ١ ـ ٤).

■ ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (الحج: ٥٤).

■ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ① الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ١، ٢).

■ ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦).

■ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة: ١ ـ ٣).

■ ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦).

■ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ١، ٢).

■ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ١ ، ٣).

■ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١ ، ٤٢).

■ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧).

■ ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى: ١٧).

■ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٢، ٥٣).

■ ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (ق: ١).

■ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣، ٣٤).

■ ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١، ٢٢).

والقرآن الكريم هو فى الأصل كتاب هداية فى أمر الدين بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات؛ وكل قضية من هذه القضايا تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، وبالإضافة إلى ذلك فإن الله ـ تعالى ـ يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان بعد يصل فى يوم من الأيام إلى زمن كزمننا الراهن، يفتح الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه على الإنسان من معرفة بالكون وسننه ما لم يفتح عليه من قبل، فيغتر الإنسان بالعلم ومعطياته وتطبيقاته فى مختلف المجالات، مما أوصل الإنسان إلى عدد من التقنيات المتقدمة، خاصة فى مجالات الشر من مثل: التجسس بتقنيات متطورة، وصناعة الأسلحة التقليدية، وغير التقليدية بطفرات مرعبة مما يعرف باسم أسلحة الدمار الشامل، والتطوير المذهل فى القدرات التدميرية للأسلحة التقليدية، ومحاولة توظيف ذلك فى الهيمنة على الشعوب الصغيرة، واستنزاف ثرواتها، وإذلال أبنائها، كما يفعل كلٌّ من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وأحلافهما فى هذه الأيام. وقد دفعت القوة المادية العمياء المصاحبة لهذه التقنيات المتطورة أبناء هذه الأمم إلى نسيان الموت، والحساب، والآخرة، والجنة، والنار؛ خاصة وأن هذه المفاهيم وغيرها من ركائز العقيدة قد اهترأت اهتراءً شديداً فى معتقدات غير المسلمين؛ مما دفع كثيراً من علمائهم إلى إنكارها والسخرية منها؛ ولكى يقيم ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ الحجة على أهل عصرنا أبقى لنا فى محكم كتابه أكثر من ألف آية كونية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى تقترب دلالتها من الصراحة. وهذه الآيات القرآنية تحوى من الإشارات العلمية ما لم يكن معروفًا لأحد من الخلق فى زمن الوحى، لا لقرون متطاولة من بعد زمن الوحى؛ وذلك لأهداف عديدة، منها ما يمكن إيجازه فيما يلى:

أولاً: الشهادة للخالق بطلاقة القدرة فى إبداعه لخلقه، ومن ثم الشهادة لها ـ سبحانه وتعالى ـ بالألوهية، والربوبية، والوحدانية؛ لأن كل شىء فى هذا الوجود قد خلق بقدر، وفى زوجية واضحة تشهد للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

ثانيًا : الشهادة لله ـ تعالى ـ أنه كما أبدع هذا الكون من العدم، وعلى غير مثال سابق، فهو قادر على إفنائه إلى العدم، وعلى إعادة خلقه من جديد؛ خاصة وأننا نرى الخلق من العدم والإفناء إلى العدم يتكرر أمام أنظارنا فى صفحة السماء، حيث تتباعد المجرات عن بعضها البعض بمعدلات تكاد تقترب من سرعة الضوء، وتتخلق المادة والطاقة لملء المسافات الناتجة عن هذا التوسع من حيث لا نعلم. كذلك فإننا نرى مختلف صور المادة والطاقة تبتلع بواسطة النجوم الخانسة الكانسة ـ الثقوب السود ـ إلى حيث لا نعلم، ونرى التقاء اللبنات الأولية لمادة بأضدادها فتفنى إلى ما لا نعلم. . !!

وعلى الرغم من ذلك بقيت قضية البعث وإنكار إمكانية وقوعه هى الحجة الرئيسة للكفار والملحدين، وللحائرين المتشككين؛ لأنهم من جهلهم يقيسون على الله ـ تعالى ـ بمقاييس البشر، والبشر لا يقدرون على الخلق، ولا على البعث بعد الموت، بينما إرادة الله ـ تعالى ـ لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

ثالثًا : هذه الإشارات الكونية فى القرآن الكريم قد صيغت صياغة مجملة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعانى يتناسب مع ما توافر لهم من علم بالكون ومكوناته وظواهره، وتظل هذه المعانى تتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية باستمرار فى تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى القرآن الكريم مهيمنًا على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، تصديقًا لنبوءة المصطفى ﷺ فى وصفه القرآن الكريم بأنه كتاب: **«لا تنقضى عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد»**[1].

وليس هذا لغير كلام الله ـ تعالى ـ. . . !! لأنه لا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدراً لهذا الكم الهائل من الحقائق العلمية فى القرآن الكريم غير الله الخالق؛ لأنه كتاب قد أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبى أمى ﷺ وفى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفى فترة زمنية لم يكن لأحد من الخلق إلمام بشىء من هذه الحقائق العلمية التى لم تكتشف إلا فى القرنين الماضيين، ولا تزال تكتشف إلى اليوم، وحتى يوم الدين.

---

(١) الترمذى (٢٩٠٦)، والدارمى فى «سننه» (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦) من كلام عبد الله بن مسعود، وصححه الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٢٦٧).

والإشـارات الكونيـة فى القـرآن الكريم جاءت فى أكثـر من ألف آية صـريحـة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة، وتشكل هذه الآيات الكونية حوالى سدس مجموع آيات القرآن الكريم.

وهذه الآيات الكونية لا يمكن فهمها فهمًا كاملاً فى إطارها اللغوى فقط ـ على أهمية ذلك وضرورته ـ ولا يمكن الوصول إلى سبقها بالحقيقة الكونية ـ وهو ما نسميه بالإعجاز العلمى للقرآن الكريم ـ دون توظيف الحقائق العلمية التى توافرت معرفتها لأهل زماننا؛ لأن فى هذه الآيات الكونية من المحتوى العلمى ما لا يقف على دلالته إلا الراسخون فى العلم ـ كلٌّ فى حقل تخصصه.

ومن هنا كانت تلك الآيات القرآنية العديدة التى تشير إلى مستقبلية الاستكشاف فى دلالات بعض الآيات القرآنية، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

■ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٦٧).

وقوله ـ عز من قائل ـ:

■ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٣).

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ:

■ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: ٨٧، ٨٨).

وقوله ـ عز وجل ـ:

■ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣).

وفى المقابل، فإننا نجد الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين ـ من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات ـ قد صيغت صياغة محكمة، محددة المعنى، واضحة الدلالة، لا تحتمل غير وجه واحد، يفهمه البدوى فى قلب الصحراء، كما يفهمه أكثر الناس ثقافة وعلمًا، وهذا أيضًا جانب من جوانب الإعجاز القرآنى التى لا تحصى ولا تعد؛ ولذلك يحضنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ حضًا على تدبر آيات القرآن الكريم فيقول ـ عز من قائل ـ:

■ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

ويقول ـ عز وجل ـ:

■ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

(ص: ٢٩).

ويقول ـ تبارك وتعالى ـ:

■ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ (محمد: ٢٤).

وفى ذلك يقول المصطفى ﷺ: **«أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه»**[1].

وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه، وفهم رسالته المتضمنة فى آياته، والتماس غرائبه، أى معرفة ما غمض من معانيه على قارئه. ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى الآيات الكونية التى تتسع دلالاتها باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية مع الزمن، جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة؛ وذلك لندرة تلك المعرفة بالكون ومكوناته وظواهره فى زمن تنزل الوحى، ولطبيعتها التراكمية مع الزمن؛ بمعنى اتساع دائرة المعرفة فيها بزيادة استقراء الإنسان للكون، وتعرفه على السنن المنتظمة الحاكمة له، والتى وضعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه، ولولا انتظام تلك السنن واطرادها ما تمكَّن الإنسان من معرفة شيء عنها، وهذا الانتظام والاطراد فى سنن الكون وظواهره هو من وسائل تسخير الكون للإنسان، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك التسخير فى مواطن كثيرة منه.

ومبررات الاهتمام بالإشارات الكونية فى القرآن الكريم عديدة، ولكن يمكن إيجازها فيما يلى:

١ ـ إن القرآن الكريم نزل لنا لنفهمه، والآيات الكونية لا تفهم فهمًا كاملاً فى إطار اللغة وحدها، والمعرفة كلٌّ لا يتجزأ.

---

(١) الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٩ ٣)، والخطيب فى «تاريخ بغداد» (٨/ ٧٧).

٢ ـ إن الإسلام والمسلمين يتعرضان اليوم لهجوم ظالم فى جميع وسائل الإعلام العالمية والمحلية بسبب إنكار غير المسلمين لنبوة المصطفى ﷺ وإنكارهم الوحى بالقرآن الكريم ، والإشارات الكونية خير دليل لأهل عصرنا ـ عصر العلوم والتقنيات المتقدمة ـ على حجية ذلك كله ، وباللغة التى يفهمونها .

٣ ـ إننا قصرنا فى التبليغ عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعن رسوله ﷺ تقصيراً كبيراً ؛ ولذلك وصلنا إلى ما وصلنا إليه من تكتل أهل الباطل علينا ، وتآمرهم على ديننا ، ومقدساتنا ، وأعراضنا ، وأموالنا ، وأراضينا ، وخير وسيلة لتبليغ هؤلاء القوم اليوم فضل الإسلام العظيم على غيره من المعتقدات ، وفضل القرآن الكريم على غيره من الكتب **هو ما ورد من حقائق** علمية راسخة فى كلٍّ من كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ وفى سنة رسوله ﷺ ؛ لأن العلم قد أصبح الوسيلة المقنعة لأهل عصرنا .

٤ ـ إن العالم قد أصبح قرية كبيرة تلتقى فيها كل الثقافات ، وثقافة عصرنا الراهن ترتكز على العلوم البحتة والتطبيقية وما تنتجه من تقنيات مختلفة ؛ ولذلك فإن إثبات سبق كلٍّ من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة بالإشارة إلى العديد من حقائق الكون هو من أنجح الوسائل لإقناع أهل عصرنا بصدق القرآن الكريم ، وبصدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

٥ ـ إن المؤامرة الدولية على الإسلام والمسلمين قد أسقطت من أيدينا كل سلاح نستطيع به الدفاع عن أنفسنا وأراضينا ، وديننا ومقدساتنا ، وأعراضنا وكرامتنا ، ولكن على الرغم من ذلك فقد بقى بأيدينا سلاح الدعوة إلى الله على بصيرة بلغة العصر ، ومنه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية المطهرة ، والذى لو أحسنا توظيفه فى الدعوة إلى دين الله لفتح الله ـ تعالى ـ علينا الدنيا من أطرافها . والتجارب المحدودة فى هذا المجال تثبت جدوى ذلك وأهميته ، وعلى الرغم من ذلك عارض نفر من أبناء المسلمين قضية الإعجاز العلمى فى كلٍّ من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، ولا يزالون ، والسبب الرئيس لذلك مرض انتقل إلينا من الغرب اسمه : ازدواجية التعليم ، والفصل الكامل بين تعليم دينى إنسانى نظرى لم يعد له اهتمام بالمعطيات الكلية للعلوم . وتعليم مدنى علمى تقنى لا يعطى للدارس الحد الأدنى من

الثقافة الدينية التى تعينه على فهم أصول دينه، وعلى حسن القيام بعباداته، وحسن التبليغ عن الله ـ تعالى ـ وعن رسوله ﷺ بالكلمة الطيبة والحجة البالغة، ونتيجة من الخوض فى هذه التجربة التى بدأها علماء المسلمين من قبل القرن الهجرى الثالث، واستمرت فى مد وجزر حتى عصرنا الراهن. وكان من مبررات المعارضين ما يلى:

١ ـ قصر إعجاز القرآن الكريم على جانب البيان والنظم والأسلوب والبلاغة والفصاحة، بدعوى أن هذه هى المجالات التى كان فيها التحدى لبلغاء العرب وفصحائهم.

٢ ـ اعتبارهم التفسير العلمى للقرآن الكريم نوعًا من التفسير بالرأى ـ وهو مذموم عندهم ـ ولكن المقصود بالرأى المذموم هو الهوى، وليس الرأى المؤسس على الحقائق العلمية الثابتة التى يقبلها كل عقل سوى، وتؤيدها الحجة المنطقية المقبولة، والدليل المادى الملموس.

٣ ـ اعتبارهم أن الإسرائيليات كانت قد نفذت إلى التفسير أول ما نفذت عن طريق محاولات السابقين التعرض لشرح دلالة الآيات الكونية استنادًا إلى ما جاء فى سفر التكوين من العهد القديم، وقد أثبت العلم خطأها كما جاء فى كتاب الدكتور الفرنسى (موريس بوكاى) المعنون باسم **«التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»**.

٤ ـ إن القرآن الكريم هو كلام الله ـ فى صفائه الربانى ـ ولذلك فهو حق كله، وثابت ثبوب الرواسى، والعلوم المكتسبة متغيرة، ولا يجوز مقابلة الثابت بالمتغير؛ أى لا يجوز مقابلة كلام الله بكلام الناس. وللرد على ذلك نقول: إن القرآن الكريم ـ الذى هو فى الأصل كتاب هداية ـ نزل لنا لنفهمه ولنتدبر آياته بإمكاناتنا البشرية المحدودة، وإنا لا نوظف فى مجال الإعجاز العلمى للقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة إلا الحقائق التى حسمها العلم، والتى لا رجعة فيها.

٥ ـ إن العلوم الكونية انطلقت فى زماننا من منطلقات مادية بحتة لا تؤمن بما فوق المدرك من صور المادة والطاقة؛ ولذلك تصاغ أحيانًا صياغات منافية لأصول الدين نتيجة للصراع المرير الذى قام فى بدايات عصر النهضة الأووپية بين العلميين والكنيسة فى العالم الغربى، وانتهى بانحسار دور الكنيسة. وللرد على ذلك نقول:

إن هذا الموقف كان فى البدايات الأولى لتطبيق المنهج العلمى فى الغرب، أما اليوم فإن المعطيات الكلية للعلوم أصبحت تؤكد على العديد من حقائق الدين؛ ولذلك طالبنا، وما زلنا نطالب، بضرورة التأصيل الإسلامى للمعرفة، بمعنى إرجاعها إلى أصولها الإسلامية.

٦ ـ أن بعض الذين تعرضوا لتفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم ـ بغير خلفية علمية سليمة ـ إما تكلفوا فى تحميل الآيات ما لا تحتمله، أو توسعوا أكثر من اللازم فى إعطاء الآية القرآنية الكريمة من المعانى ما لا تقصده. والقرآن العظيم أجل من ذلك وأكرم. وللرد على ذلك نقول: إن إثبات الإعجاز العلمى فى كلٍّ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجب ألا يتم إلا بواسطة المتخصصين ـ كلٌّ فى حقل تخصصه ـ وعلى الناقلين عنهم أن ينسبوا كل قضية إلى محققها، وإلا لأصبح الأمر فوضى لا ضابط له ولا رابط، وهناك فرق كبير بين دور المحقق للقضية العلمية ودور الناقل لها.

٧ ـ اعتبار بعض اللغويين نجاح الإنسان فى الوصول إلى قدر من المعارف العلمية مخرجًا للإشارات الكونية فى كتاب الله من إطار التحدى الذى يشترط فيه أن يكون الأمر خارقًا للعادة، سالـمًا من المعارضة.

وهذه الحجج كلها مردود عليها حجة بحجة، غير أن خير رد عليها هو الدعوة إلى **الالتزام بضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمى فى كتاب الله ـ تعالى ـ وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ** وأوجزها فيما يلى:

١ ـ حُسْن فهم النص من القرآن الكريم وفق دلالات الألفاظ فى اللغة العربية، وحسب قواعدها، وأساليب التعبير فيها؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين؛ ولذلك فالنص مقدم على الظاهر، والظاهر مقدم على التأويل.

٢ ـ فهم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمأثور من تفسير المصطفى، والتأصيل الإسلامى للمعرفة، والإلمام بجهود المفسرين السابقين.

٣ ـ جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد والقراءات الصحيحة لها، ورد بعضها إلى بعض، مع مراعاة السياق القرآنى، وعدم اجتزاء النص عما

قبله وعمابعده، ومراعاة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتوظيف كلٍّ من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالموضوع الواحد فى فهم النص القرآنى؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا، كما تفسره أقوال رسول الله ﷺ.

٤ ـ عدم التكلف، أوْ لَىّ أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية؛ لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك؛ انطلاقًا من كونه كلام الله الخالق، ومن حقيقة أن الخالق هو أدرى بخلقه من كل المخلوقين.

٥ ـ البعد عن القضايا الغيبية غيبة مطلقة، وعدم الخوض فيها بأكثر مما أثبته القرآن الكريم، وفسرته السنة النبوية المطهرة، مثل قضايا الروح، وحياة البرزخ، وموعد قيام الساعة والملائكة والجن، والجنة والنار، والميزان والصراط، والذات الإلهية، وغير ذلك من غيبيات مطلقة لا سبيل للإنسان فى الوصول إلى معرفة شىء عنها إلا عن طريق وحى السماء.

٦ ـ مراعاة التخصص الدقيق لكل محقق لموضوع من موضوعات الإعجاز العلمى فى كتاب الله ـ كلٌّ فى حقل تخصصه ـ لأن هذا ليس مجالاً للخوض من كل خائض، وهنا يجب التفريق بين تحقيق المحقق ونقل الناقل.

٧ ـ يجب تحرى الدقة والأمانة فى التعامل مع كتاب الله، والتجرد عن كل هوى شخصى؛ حتى يتحقق إخلاص النية فى ذلك.

٨ ـ الالتزام بتوظيف الحقائق العلمية فى تفسير الآيات الكونية الواردة فى كتاب الله ـ تعالى ـ وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ باستثناء حالة واحدة؛ وهى حالة الآيات والأحاديث التى تفصل قضايا الخلق والإفناء والبعث بأبعادها الثلاثة ـ خلق كلٍّ من الكون والحياة والإنسان وإفنائهم جميعًا، ثم بعثهم من جديد ـ لأن هذه من القضايا التى لا تخضع لإدراك الإنسان ومشاهدته بطريقة مباشرة؛ وبذلك لا يمكن للعلوم المكتسبة أن تتجاوز فيها مرحلة التنظير ـ أى وضع نظرية من النظريات التى تتعدد بتعدد خلفية واضعيها ـ وفى هذه الحالة يمكن للمسلمين الارتقاء بإحدى هذه النظريات

السائدة إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة صريحة لها فى كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو فى سنة رسوله ﷺ .

٩ ـ يجب التفريق بين قضيتى التفسير العلمى والإعجاز العلمى لكلٍّ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ وذلك لأن التفسير العلمى هو محاولة بشرية لحُسْن فهم دلالة الآية الكونية فى هذين المصدرين من مصادر وحى السماء، ونحرص فى التفسير العلمى على توظيف الحقائق العلمية كلما توافرت؛ ولكن لما كان العلم المكتسب لم يصل بعد إلى الحقيقة فى كلٍّ من الأمور فلا أرى حرجًا من توظيف النظرية العلمية السائدة فى تفسير الآية الكونية التى لا تتوافر حقائق لتفسيرها، ولا حرج فى ذلك حتى لو ثبت خطأ النظرية الموظفة فى التفسير بعد ذلك؛ لأن الخطأ هنا لا ينسحب على جلال القرآن الكريم، ولكن ينسحب على جهد المفسر. أما الإعجاز العلمى فهو موقف من مواقف التحدى، والمتحدى لا بد أن يكون واقفًا على أرضية صلبة؛ ولذلك لا يجوز أن يوظف فى الإعجاز العلمى إلا الحقائق العلمية ـ كما أوضحنا فى النقطة السابقة.

١٠ ـ عدم التقليل من جهود السابقين الذين خدموا القرآن الكريم فى حدود المعارف العلمية التى كانت متاحة لهم كلٌّ فى زمانه.

وانطلاقًا من ذلك المنظور قام **الأستاذ الدكتور «محمد شوقى الفنجرى»** ـ جزاه الله خيرًا ـ بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامى المصرى بتأسيس وقف خيرى للإنفاق على البحث العلمى والاجتماعى فى مجال الإعجاز فى كلٍّ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتم تشكيل لجنة من العلماء المهتمين بهذه القضايا فى رحاب **الأزهر الشريف** تحت مسمى «**لجنة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة**».

وقد ارتأت هذه اللجنة الموقرة تكليف عدد من أساتذة الجامعات بتلخيص المتوفر لها من الكتب التى سبق نشرها فى مجال الإعجاز العلمى والاجتماعى فى كلٍّ من كتاب الله وسنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، والقيام بتبويب هذه الملخصات ونشرها تيسيرًا على العاملين فى هذا المجال.

ويعتبر الكتاب الماثل بين أيدى قارئيه ـ والذى يحتوى على عرض لعشرة كتب ـ جزءًا من هذا السعى المحمود إن شاء الله؛ والذى يحتوى على ملخصات لعشرين كتابًا، بيانها كما يلى:

١ ـ أربعة كتب تدور حول القضية ومناهج التعامل معها .

٢ ـ ثلاثة كتب تتحدث عن الكون فى القرآن الكريم .

٣ ـ كتابان عن الزمن والمكان فى القرآن الكريم .

٤ ـ كتاب واحد يتكلم عن الأرض فى كتاب الله .

٥ ـ كتاب واحد عن الرياح والسحاب والمطر فى القرآن الكريم .

٦ ـ كتاب واحد عن الزوجية فى الخلق .

٧ ـ كتاب واحد يتحدث عن التمر والماء بين القرآن والسنة والطب الحديث .

٨ ـ ثلاثة كتب تتحدث عن الطب فى القرآن الكريم .

٩ ـ كتاب واحد يتحدث عن النوم والأرق ، والأحلام .

١٠ ـ كتاب واحد يتحدث عن حقائق تاريخية فى القرآن الكريم .

١١ ـ كتابان عن الاقتصاد الإسلامى .

هذا والله ـ تعالى ـ أسأل أن يجزى القائمين على هذا الأمر خير الجزاء فى الدنيا والآخرة ، وأن ينفع بهذه الملخصات ، وأن يجزى كُتَّابها ، وأصحاب المؤلفات ذاتهاجزاءً وافراً على ما بذلوه من جهد فى خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والله من وراء القصد ، وهو ـ تعالى ـ الهادى إلى سواء السبيل ، وهو نعم المولى ونعم المعين .

والحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى عفو ربه
زغلول النجار

الكتاب الأول

«القرآن والمنهج العلمى المعاصر»

تأليف: المستشار عبد الحليم الجندى عرض: أ. د. محمد شوقى الفنجرى

كتاب (**القرآن والمنهج العلمى المعاصر**)، صدر للمؤلف فى **ختام عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ونشرته دار المعارف بالقاهرة**، ويقع فى «٣٥٣» ثلاثمائة وثلاثة وخمسين صفحة من الحجم الكبير يشمل مقدمة وفهارس، فجاء هذا الكتاب فى قمة مؤلفاته الإسلامية؛ إذ هو **خلاصة قراءاته الواسعة واجتهاداته الكثيرة خلال نصف قرن. وهو فى حقيقته موسوعة إسلامية موثقة، وإن جمعتها رابطة واحدة** هى بيان المنهج القرآنى، والذى التزم به المسلمون فى عهودهم الأولى، فكانت لهم العزة والتقدم، وصارت لهم حضارة تجاوزت كافة الحضارات التى عرفتها الإنسانية حتى اليوم.

ولقد أظهر الكاتب بجلاء كيف أنه بفضل هذا المنهج القرآنى، ظهر على امتداد العالم الإسلامى بآسيا وإفريقيا وأوروبا (الأندلس) أئمة وعلماء مسلمون جهابذة فى مختلف ضروب العلم وأنشطة الحياة.

وتميزوا بأنهم كانوا علماء «ربانيين» لا يستهدفون من بحوثهم واجتهاداتهم سوى وجه الحق - تعالى - ثم الصالح العام. وإنه لم يهن المسلمون ولم يضعفوا إلا حين حادوا عن المنهج القرآنى، وبعدوا عن روح الإسلام.

ولقد **دلل الكاتب بما فيه الكفاية على أن المنهج العلمى المعاصر** الذى نسب إلى المفكر الإنجليزى فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦م)، إنما أخذ عن علماء المسلمين،

حيث انتقل المنهج الإسلامى إلى أوروبا من خلال الأندلس (إسبانيا) وصقلية (إيطاليا). ولكن هؤلاء جردوه من صبغته الربانية وأهدافه السامية، فكان هذا الاضطراب والتخبط الذى تعانيه الإنسانية، وكان ذلك القلق والصراع الدموى الذى يتجرع عالمنا المعاصر مرارته.

وليس لهذا العالم من نجاة أو عزة، إلا بالعودة إلى المنهج القرآنى بجناحيه التجريبى والإيمانى.

المنهج القرآنى

لقد كان المنهج السائد قبل ظهور الإسلام هو **المنهج اليونانى (منطق أرسطو)** المبنى على الفروض لأعلى المدركات الحسية (الاستقرائية)، فهو منهج نظرى فرضى بحت يبدأ بالعموميات «المرسلة» ليصل إلى الجزئيات، ويكرر النتائج فى المقدمات، وبسببه تجمد فكر اليونان، وباتباعه أوقف المنهج الكنسى التقدم العلمى. بخلاف الأمر فى الإسلام، فقد جاء القرآن بمنهج التأمل فى الكون والطبيعة، واستقراء المشاهدات وعلل الأشياء، والبحث فى الأرض والسماء، واستعمال العقل للاعتبار، توصلاً للإيمان، والارتفاع بالنفس والسلوك والحياة إلى مستوى التقوى بدافع الخشية والرجاء فى الله ـ تعالى ـ. **فآيات القرآن ـ كما عبر بحق الكاتب فى صفحة ٥٠ ـ تتنادى (تأملوا الحقائق، وستقودكم الحقائق إلى الإيمان)**.

وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (البقرة: ١٦٤)، وقوله ـ تعالى ـ: **﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾** (الذاريات: ٢٠، ٢١). بل ينذر القرآن الغافلين بقوله ـ تعالى ـ: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ**

أضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩)، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٢). وينعى القرآن على من يتبعون الظن بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١).

وينقل المؤلف فى صفحة ١٥٣ عن **الإمام القزوينى** أن آيات القرآن تتواتر بالدعوة إلى النظر فى السماء والأرض وسائر المخلوقات، وأن (المراد من النظر التفكير فى المعقولات والبحث فى «المحسوسات» . . . وأن هذا النظر لا يتأتى إلا لمن له خبرة بـ «العلوم والرياضيات» وبعد تحسين «الأخلاق» وتهذيب النفس.

وينقل المؤلف فى صفحة ٩٢ و١٩٩ عن **شيخ الإسلام ابن تيمية** قوله: «ليست العلوم النبوية مقصورة على مجرد الخبر كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام ويجعلون ما يعلم بالعقل قسيمًا للعلوم النبوية، وهذا خطأ. إن العلم هو علم محمد ﷺ، وعلم فى ميراث محمد ﷺ. لقد بين ﷺ مختتمًا دوره للرسالة العظمى، العلوم العقلية التى يتم بها إيمان الناس وضروب الأمثال وكانت الفطرة بما يثبتها عليه؛ ولذلك أتى الخبر من السماء: القرآن والحديث، بهذا يبين الحقائق لا بطريقة حديثة فقط من القصص العلمية» فبين طريقة التسوية بين المتماثلين والتفرقة بين المختلفين. . فأنزل على القلوب من العلم ما تزن به الأمور حتى تعرف التماثل والاختلاف، وتضع من «الآلات الحسية» ما يحتاج له فى ذلك» كما وضعت موازين النقد وغير ذلك. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ (الرحمن: ٧-٨) فالميزان هو العدل، وما يعرف به العدل هو القياس القرآنى المنزل ليتعرف به صحيح الفكر من باطله، بالإضافة إلى أن تزن الأمور عامة «حسية» أو «عقلية».

كما ينقل فى صفحة ٥٣ عن **الإمام محمد عبده** قوله: «قالوا: إن بيكون هو أول من جعل التجربة والمشاهدة قاعدة العلوم العصرية، ذلك حق فى أوروبا، وأما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها فى أواخر القرن الثانى من الهجرة،

لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد الفلاسفة الأوروبيين أن القاعدة عند العرب «جرب وشاهد تكن عارفًا، وعند العربى إلى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحى: «اقرأ الكتب وكرر ما يقوله الأساتذة تكن عالمًا».

موسوعة علمية إسلامية

والصلاة هى المنهج الحتمى فى القرآن الذى هو منهج تجريبى عملى يستخرج الخصائص والصفات ويحتكم إليها، وينتقل من المعلوم اليقينى إلى المجهول المستكشف فى كل أبواب المعرفة واختبارات المواد دون أن يقتصر على ما يسمى الاجتهاد الشرعى، **حتى لقد تولد على يد الإمام الشافعى** (١٥٠/ ٢٠٤هـ) فى القرن الثانى الهجرى ما أسماه بـ «**علم أصول الفقه**»، وتولد على يد الجاحظ (٢٥٥هـ) فى القرن الثالث الهجرى ما أسماه بـ «**علم التجربة**».

نجد الكاتب للدلالة على هذا المنهج العلمى الذى جاء به القرآن، ينتقل بنا خلال الصفحات من ١٠٣ إلى ١٦٦ **بين أئمة وقادة الإسلام، يستوى** فى ذلك أئمة الدين والفقه والمتكلمين ويختار منهم خمسة أمثلة، أما أئمة العلوم التطبيقية من رياضة وكيمياء، وفلك، وطب، وموسيقى فيختار منهم خمسة عشر عالمًا. وللأهمية نشير إليهم باختصار فيما يلى، منتقين فى سطور وجيزة أهم ما عرف عنهم، وكذا بعض مواقفهم متأثرين بمنهج القرآن:

١ ـ الإمام جعفر الصادق (سنة ١٤٨هـ):

ونراه يتبع الاستقراء لاستنباط وجود الخالق من مخلوقاته، ويستعمل دليل الشاهد على الغائب، وينهى عن اتباع قول بغير دليل، ويصاحب مجادله فى طريق الاستقراء الملىء بآيات الله المالكة للإحساس، الرافعة قلوب البشر من عمق الغفلة إلى مستوى العلم.

٢ ـ الإمام أبو حنيفة (سنة ١٥٠هـ):

ونراه يجيب مجادليه فى وجود الله بقوله: «إذا لم يجر فى العقل وجود سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأمتعة والأثقال، تجرى مستوية عارفة طريقها فى لجة

البحر، من غير متعهد أو مجر لها، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟».

٣ـ جابر بن حيان (سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م):

وهو تلميذ الإمام جعفر الصادق، ويعتبر أول كيميائى فى التاريخ، وإمام التجريبيين فى جميع العصور، وهو القائل: «إياك أن تجرب أو تعمل حتى تعلم، ويحق أن تعرف الباب من أوله إلى آخره بجميع تنقيته وعلله، ثم تجرب ليكون فى التجربة كمال العلم»، ويقول: «اتعب أولاً تعبًا واحدًا، واعلم أنك لا تصل، ثم تصل إلى ما تريد. . وما افتخر أحد بكثرة العقاقير، ولكن بجودة التدبير، فعليك بالرفق والتأنى».

٤ـ الخوارزمى (٢٣٥هـ/ ٨٥٠م):

وهو عالم الرياضة والجبر والكسور العشرية، وعن طريقه عرفت أوروبا الأرقام الهندية وعلم الجبر، حتى إن اصطلاح «ولغاريتم» عرف باللاتينية عن اسمه، ويقول كاجورى مؤرخ الرياضيات: «إن القوى العجيبة فى علم الحساب والجبر واللوغاريتمات تعزى إلى العرب».

٥ـ الكندى (٢٥٢هـ/ ٨٧٨م):

وهو فيلسوف العرب، وأستاذ اللغة العربية، وعالم الهندسة والفلك والكيمياء والطبيعة والموسيقى. ويقول عنه روجر بيكون: «إن الكندى والحسن بن الهيثم فى الصف الأول مع بطليموس»، ويقول عنه الإيطالى كاردانو: «إنه واحد من الاثنى عشر عبقريّا الذين ظهروا فى العالم».

٦ـ الجاحظ (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

وهو أديب اللغة العربية وزعيم فرقة من فرق المعتزلة تسمى الجاحظية، ولم تشغله معاركه الفكرية عن مخالطة أهل المهن ليتحدث عن تجاربهم، بل وأن يجمع الحيوانات والطيور ويضعها فى أوان زجاجية ليراقب سلوكها إذ تجتمع، وقد يبقر بطونها ليعرف ما فيها.

٧ـ أبو بكر الرازى (٢٣٠هـ/ ٩٢٥م):

ويسميه المؤرخون «جالينوس العرب» ولما مرضت عينه وطلب إليه الطبيب خمسمائة دينار لعلاجه. تعلم الطب وأصدر كتاب «من لا يحضره الطبيب» ليخدم العاجزين عن أجور الأطباء. وهو أول من أجرى تجارب على القردة، واستعمل الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوانات فى خياطة الجروح؛ إذ جرب تفاعلها الكيميائى مع الجسم وامتصاصه لها، وهو أول من استنبط أثر الموسيقى لا لدفع الملل فحسب، وإنما للشفاء من بعض الأمراض، مع إضافة بعض العقاقير.

٨ـ المسعودى (٣٤٦هـ/ ٩٥٦م):

وهو مؤرخ وعالم جيولوجى وفلكى، وأول من تكلم عن كروية الأرض ودورانها حول الشمس، ودوران سائر الأفلاك فى الكون. ومن فكره الثاقب اقتراح تغيير الطبيعة بوصل البحرين الأبيض المتوسط والأحمر بقناة، وهو ما حققه المصريون بعد ثمانمائة عام. وكان أول من أثبت أثر البيئة والأوضاع الاقتصادية على الإنسان والسلوك، والعلاقة الوثيقة بينهما، حتى اعتبره ابن خلدون «إمام المؤرخين».

٩ ـ أبو الريحان البيرونى (٣٥١هـ/ ٦٩٥م):

وهو موسوعى المعرفة، فقيه وأديب فلكى ورياضى وكيميائى وطبيعى، وكان يرى العلم عبادة، حتى إنه حين أهدى إليه السلطان جمالاً محملة فضة، وزعها على الفقراء قائلاً: إنه يخدم العلم لا المال. ودخل عليه فى مرض موته أحد فقهاء عصره فسأله كيف قلت لى يومًا حساب الجدات الفاسدات (ميراث الجدة الأم)، فلما لاحظ إشفاقه عليه قال له: «يا هذا أدع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرًا من أن أخليها وأنا جاهل بها».

١٠ ـ الحسن بن الهيثم (٣٥٤هـ/ ٩٦٨م):

وهو مكتشف علم الضوء، وأول من خطأ نظريات إقليدس وبطليموس فى أن العين ترسل أشعة بصرية، وأخذ بنظرية أن الجسم المرئى هو الذى يرسل أشعته، ويستخدم مصطلحات القرآن والفقه الإسلامى، فيقول فى رسالته عن الضوء: «هذا

المعنى يفسد عند السبر والاعتبار». وللحسن بن الهيثم عدد ٤٧ كتابًا فى الرياضيات وعدد ٥٨ كتابًا فى الهندسة، انتفع بها روجر بيكون، ثم كيلر وليونارد وكورنيكس. وكان يقيم بجوار الأزهر، متعيشًا على نسخ الكتب المهمة وبيعها مستغنيًا - رغم مكانته - عن عطاء الخليفة.

ويقول عنه الدكتور مصطفى نظيف مدير جامعة عين شمس فى منتصف القرن العشرين: «ينبغى أن نستبدل بأسماء روجر بيكون ومورليكوس وكيلرودى لابورا، اسم الحسن بن الهيثم، فعلى يده أخذ علم الضوء وجهة جديدة بمنهجه الإسلامى، وهو الجمع بين الاستقراء والقياس، وأن أثره فى علم الضوء ليس بأقل من أثر نيوتن فى الميكانيكا».

١١ - ابن سينا (٣٧٥م - ٤٢٨هـ):

وقد ألف فى الأدب والفقه والفلسفة والعلوم والفلك والطب والموسيقى عدد ١٠٧ مؤلفَات، وكان يقول: «كلما تحيرت فى مسألة، صليت وابتهلت إلى مبدع الكل، حتى فتح لى المنغلق ويسر المتعسر».

وكان كتابه الموسوعى فى الطب (القانون) كما سجل وليم أوسلر هو: «الإنجيل الطبى لأطوار من الزمان لجامعات أوروبا حتى سنة ١٧٠٠م منذ ترجمة جيرار الكريمونى إلى اللاتينية فى القرن الثانى عشر للميلاد، ثم طبع أكثر من خمس عشرة طبعة بمختلف اللغات الأجنبية». وبلغ تأثير ابن سينا فى علماء أوروبا فى القرون الماضية منذ القرن الثالث عشر الميلادى قول رينان: «إن الخبير الألمانى ألبرت الكبير مدين لابن سينا فى كل شىء، وإن القديس توماس الأكوينى مدين فى جميع فلسفته لابن رشد».

١٢ - الإمام الغزالى (٥٠٥هـ/ ١١١١م):

وقد وصفه أستاذه إمام الحرمين الجوينى بأنه «بحر مغدق»، وكانت ترجمات أرسطو وأفلاطون قد ذاع أمرها فى الوسط العلمى من كتابات الفارابى وابن سينا، فانشغل بدراسة الفلسفة اليونانية وألف فيها كتاب (مقاصد الفلاسفة)، فلما استوثق من فسادها ألف كتابه (تهافت الفلاسفة).

وساح فى الأرض عشر سنين يبحث عن الحقيقة ليصل بالخلوة ومجاهدة النفس إلى عالم اليقين والطمأنينة، ويؤلف فى خلوته بالجامع الأموى كتابه الفريد (إحياء علوم الدين)، ثم يعود إلى تدريس الفقه ويؤلف كتاب القمة (المستصفى). وهو من أغزر المؤلفين إنتاجًا، وعنه أثر (من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال). وقد اجتمع فى فكر الغزالى وعمله: العقل والشرع، مع تنزه القلب عن أدران الحياة الدنيا، وهو القائل (العقل كالأساس، والشرع كالبناء).

١٣ ـ عبد اللطيف البغدادى (٥٥٧هـ ـ ٦٢٩م):

وهو فقيه شافعى، وأستاذ لغة وبيان، وصاحب تجارب خالدة الأثر فى الطب. وباتباع البغدادى المنهج الإسلامى، يذكر له التاريخ الفضل فى تصحيح أخطاء جالينوس والأطباء بعده. وقد نقد البغدادى فلسفة ابن سينا، كما نقدها من قبله الإمام الغزالى، ومن بعده ابن رشد، ولكنه انفرد بحدة النقد بقوله: «وأقوى من أضلنى ابن سينا بكتابه فى الصنعة، الذى أتم فلسفته، والتى لم تزدد بالتمام إلا نقصًا».

١٤ ـ ابن طفيل (٥٨٦هـ/ ١١٨٥م):

وهو صاحب الكتاب المشهور (حى بن يقظان) الذى يولد فى جزيرة لم يعرف بها بشرًا، فيسلك طريق العلم والحدس، ليصل إلى أن الإنسان يحقق وجوده وينجو من الشقاء ويبلغ غاية السعادة عن طريق اتباع الفطرة والولاء للحق ـ تعالى ـ وحده، وابتغاء وجهه ـ سبحانه ـ. فيصل فى النهاية إلى ضرورة الإسلام، بتسليم الإنسان نفسه إلى الله، وأن فى العبودية لله وحده والاستسلام إليه ـ سبحانه ـ جوهر السعادة، وعين التحرر والعزة.

١٥ ـ ابن رشد (٥٨٥هـ):

وقد اشتغل فى الأندلس بالقضاء والفقه والفلسفة والفلك والطب. ويعتبر كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) مرجعًا للقضاء المالى والفقه المقارن فى جميع العصور. وهو القائل (من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيمانًا بالله تعالى)، ويؤكد (أن الإنسان لا يصل إلى الكمال إلا بالدرس والتحصيل والتفكير مع التزام الأخلاق والطهارة). وقد تواترت تآليفه فى الأخلاق والمنطق والطبيعة وشروح الفارابى على مختلف المسائل،

والرد على ابن سينا فى تقسيم المخلوقات، والرد على كتابى الغزالى (تهافت الفلاسفة) بكتابه (تهافت التهافت)، وفى شرحه لأرسطو بين ما يخالف فيه أرسطو الكتب المنزلة ورده عليه.

١٦ ـ القزوينى (٦٠٥ ـ ٦٨٢هـ):

وهو قاض وفقيه ومفسر للقرآن، وإمام فى الحديث، وأستاذ فى الجغرافيا، ومن أهم كتبه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) وكذا (آثار البلاد وأخبار العباد)، وقد بيَّن أسباب تأليفه لهما بأنه «قد حصل لى بطريق السمع والبصر، وبطريق الفكر والنظر، حكم عجيبة وخواص غريبة أحببت أن أقيدها». ولقد أبرز بحق المنهج القرآنى حين أوضح بجلاء أن قوام الحياة هو التعبد بالعلم، وأن مناط العلم هو «التجربة» مع الالتزام «الأخلاقى».

١٧ ـ ابن البيطار (٦٤٦هـ):

وقد ظل كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) مرجعًا حتى العصور الحديثة، وبيَّن منهجه الإسلامى بقوله: «لقد وقع الكثير فى وهم أو غلط لاعتمادهم على الصحف والنقل، واعتمادى على التجربة والمشاهدة». ويقول أبرز تلاميذه ابن أبى أصيبعة صاحب كتاب «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» وكان يصحبه فى بعض رحلاته للمشاهدة والتحقيق: «لقد شاهدت فى خارج دمشق كثيراً من النبات فى مواضعه».

١٨ ـ التيفاشى (٦٥١هـ):

وهو عالم جيولوجى يصنف المعادن تصنيفًا يتبعه العلماء حتى الآن، ويسجل له السبق فيما يسمى بتجربة الشعلة Element Flame Test فيما يتعلق بحجر اللاذورد.

١٩ ـ ابن النفيس (٦٧٨هـ/ ١٢٩٦هـ):

وهو فقيه تخرج من الأزهر واشتغل بالطب، وكان أول من اكتشف الدورة الدموية. وينتقد قول ابن سينا أن فى القلب ثلاثة بطون بقوله: «هذا قول لا يصح؛ فالتشريح يكذب ذلك. . والقلب له بطنان فقط»، وهذا يدل على أنه مارس التشريح، فى وقت شاع فيه عدم التعرض لحرمة الجثث.

٢٠ ـ ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ):

وهو فقيه وقاض ومؤسس علم الاجتماع، وقد ولد بتونس، وحبس بفاس ليخرج من حبسه فيتولى ديوان المظالم، ثم السفارة بإشبيلية بالأندلس، ثم يستقر بمصر.

وأخذاً بأمره ـ تعالى ـ بالسير فى الأرض والاعتبار بسنن الكون، يصدر خلال فترة إقامته بمصر كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر»، وقد اشتهر بمقدمته «مقدمة ابن خلدون»، حيث يطلع على الناس بفرع جديد من فروع العلم بالتاريخ هو منهج «العبرة» بواقع المشاهدة من أحوال الدول وأدوارها فى الوجود، لا مجرد رواية الحوادث على ما جرت به أقلام المؤرخين قبله. وهكذا أنشأ بمنهج القرآن فى الاستقراء والاستنباط علمًا جديداً سمى بعلم الاجتماع، على نمط علم أصول الفقه الذى نشأ على يد الإمام الشافعى.

ومن خلال هذا العرض الدقيق لجهود وفكر بعض أئمة وقادة الإسلام، بالتزامهم بالمنهج القرآنى فى النظر والاستقراء، يقدم لنا الكاتب المستشار العالم عبد الجليل الجندى موسوعة علمية إسلامية بلغت الذروة. ورغم إيجازها، فقد أحسن المؤلف اختياراته، **فجعلنا نستشعر بعمق عظمة الإسلام ممثلاً فى هؤلاء الأئمة والقادة الذين وعوا القرآن وأدركوا منهجه، فاستضاءت قلوبهم بنوره، وضربوا لنا المثل بتفكيرهم** وسلوكهم ومواقفهم الإسلامية، وتركوا لنا كنوزاً واجتهادات وإضافات جديدة فى مختلف ضروب العلم وأنشطة الحياة.

ولم يفت المؤلف أن يقدم لنا فى صفحة ١٩١ وما بعدها ثبتًا **للمصطلحات الإسلامية فى مختلف ضروب العلم، والتى دخلت إلى اللغات الأوروبية بهجائها ونطقها**. كما كشف عن دور علماء المسلمين فى مواجهة المعطيات والمترجمات من اللغات اليونانية والفارسية والهندية، وكيف نظروا إليها على ضوء مفهوم التوحيد الخالص فقبلوا منها وردوا وصححوا كثيراً من أفكار عمالقة الفكر القديم كأرسطو وجالينوس، وما أخذوه من هذه المعطيات جعلوه مادة خامًا صهروها فى بوتقة منهجهم القرآنى ونظرتهم إلى بناء المجتمع الربانى والحضارة الإسلامية العالمية.

كما لم يفته أن يخصص بابًا مستقلاً من صفحة ٢٦٣ إلى صفحة ٣٢١ عن تطبيق **المنهج القرآنى فى مجال القضاء. فجاء هذا الباب على اختصاره جامعًا مانعًا**، وفيه

اجتهادات وإضافات جديدة، ليصبح بحق مرجعًا لكل باحث فى هذا الخصوص. وما أدق وأروع أن يصور الكاتب القضاء فى الأمة كالعدسة المكبرة لما وراءها حتى الأثر **«انظر كيف تصدر الأحكام فى أمة تعرف مقدار حضارتها»**، مؤكدًا أنه إذا كان التوحيد أساس الإسلام فإن العدل جماعه؛ به استقر واستمر وانتشر، وأن سيادة القانون أو النظام تعنى فى جوهرها سيادة القضاء.

وما أجمل أن يسلط المؤلف الأضواء على **كتاب الخليفة عمر بن الخطاب** إلى كل وال وقاض بقوله: «ساو بين الناس فى مجلسك.. ووجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.. وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس»، ويذكر لنا كيف أن **الخليفة على بن أبى طالب** جعل رضى الرعية عن ولاتها وقضاتها علامة صلاح الحكم إذ يقول: «إن أفضل قرة عين الولاة استفاضة العدل فى البلاد بظهوره فى مودة الرعية.. وإنه ليس أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم.. وإنه لا يقدم فى ولاية القضاء سوى الأعلم والأورع»، وأن دلالة الحاكم الظالم تولية منافقيه، وأن يحكم الرعية لمصلحته لا لمصلحتها. ويعرض المؤلف المدقق لمسائل معاصرة يشتد فيها الخلاف **كولاية المرأة** للقضاء، ويبين اختلاف الفقهاء القدامى بشأنها، وكيف جوزها فى جميع القضاء الإمام ابن جرير الطبرى والإمام ابن حزم الظاهرى، بينما قصرها الإمام أبو حنيفة فيما تصح فيه شهادتها فلم يمنعها من القضاء إلا فى الحدود والقصاص، فى حين رفضها أغلب الفقهاء، ولكلٍّ أدلته وأسانيده الشرعية. ثم ينتقل الكاتب بنا إلى مسائل معاصرة أكثر دقة، ليبين لنا أن **القضاة الصالحين أنفع للأمة من القانون** وإن صلح ـ وإن كان الأنفع أن يجتمع الأمران، وأن من صيانة القضاء ألا يشترك القاضى فى السياسة وفى غير شئون القضاء، وإن جاز له المشاركة بالرأى فى المسائل العامة البعيدة عن قضاياه، فالرأى حر، وإبداؤه واجب، بخلاف المشاركات فى الولايات «فنهايتها المساس باستقلال القاضى، وربط له بعجلات الإدارة أو شهوات الساعة أو فرطات الساسة، وما أكثرها».

فرنسيس بيكون والمنهج العلمى المعاصر

أفرد المؤلف فصلاً واسعًا من صفحة ١٦٧ إلى ٢٣٨ عن المنهج العلمى المعاصر،

وعن المفكر الإنجليزى فرنسيس بيكون (١٥٦١/ ١٦٢٦م) الذى نسب إليه هذا المنهج، حيث ندد بجلاء وقوة فى كتابيه (تقدم العلوم)، و(المنهج الجديد) بمنطق أرسطو، داعيًا إلى ملاحظة الطبيعة بالكشوف التجريبية لا بالمنطق العقلى على طريقة أرسطو، منبهًا إلى ما يصيب الذهن من تشويش عندما يدرس «الكلمات» لا «الأشياء»، وأن مهمة الإنسان هى تفسير الطبيعة، وأن سبيله إلى ذلك أن يتحول من دراسة الألفاظ إلى دراسة الأشياء؛ ليتوصل إلى معرفة قوانين الطبيعة، وبدلاً من أن يستخلص حقائقها مشوهة بالاستنتاج المنطقى كأرسطو، يستخلصها - كما يقول - صائبة بالتجربة والاستقراء، ويرى أن **أعمال المصلحين بطولات محلية ومؤقتة، فى حين أن اختراعات العلماء هى خلق وتقليد للعمل الدينى، ونعمة للبشرية كافة. وفى كتابه «الأورجانون الجديد»** فى مقابل منط أرسطو الذى سماه تلاميذه «أورجانون»، يتكلم فرنسيس بيكون عن أصنام أو معوقات الفكر الأربعة «أصنام القبيلة، وأصنام الكهف، وأصنام السوق، وأصنام المسرح»، **وكيف أخطأ الناس حين حسبوا أن فهمهم يحكم الألفاظ فى حين أن الألفاظ، هى التى تحكم الأفهام، وكيف ضلت الإنسانية طريقها قرونًا طويلة فى متاهات الألفاظ** الجوفاء، وعبث التصورات، والقيادة الزائفة لأرسطو وتلاميذه.

وأظهر المؤلف المدقق أن فرنسيس بيكون قد استفاد من سلفه روجر بيكون الذى توفى عام ١٢٩٤م وكان من أحبار الفرنسيسكان الإنجليز. وقد حصل على الدكتوراه فى اللاهوت من باريس، واشتغل بالطبيعة والكيمياء فى دير «كوردلييه» بباريس، ثم تعلم العربية فى الأندلس، وأكب على دراسة الحسن بن الهيثم والكندى وابن رشد. وقد تأثر للغاية بالفكر والمنهج الإسلامى، فتراه ينتقد بشدة منهج أرسطو، ويصرح فى أكسفورد «أن وجود الفكر الأوروبى والعلم الأوروبى كان مستحيلاً لولا وجود المعارف العربية. . لقد دعيت أوروبا فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت فى ظلمات الجهل خمسة قرون. . وهى مدينة لها بكل تقدمها».

ويتابع المؤلف المدقق تحقيقاته فيبين أن الراهب الألمانى ألبرت الكبير فى القرن الثالث عشر انشغل بالكتب العربية، فترجم مؤلفات ابن سينا والغزالى، ثم ألف كتابًا بعنوان: **«مآثر العرب»، ويدل عنوان الكتاب على تأثير العرب فى أوروبا** بمثل ما يدل وصف هذا الراهب الكبير على أثره فى الفكر الكنسى، وهو أستاذ القديس توماس الأكوينى.

ولقد ذاعت شهرة القديس توماس الأكوينى (١٢٢٥/ ١٢٧٤م - ٦٢٢/ ٦٧٣هـ) حيث تلقى علوم العرب من مصادرها فى صقلية، وكان يستشهد فى كتابه الشهير «مسائل جدلية» بأفكار ابن رشد حتى يكاد يكون مجرد ناقل عنه، وقد عرف بمعارضته للإمام الغزالى بحجج الفارابى وابن رشد.

ويبين المؤلف الموسوعى فى هذا الفصل كيف أن الفتوح العلمية تمت على يد المسلمين واستفاد منها العالم أجمع، وأن مرد ذلك هو دينهم الإسلامى «واختصاصهم» بل **«تفردهم» وتقتذ بالمنهج التجريبى، الذى شرعه لهم دين يعلن حرية العقل** ويوجب استعماله، ويستبعد كل ما يعطله، ويأمر بالتعليم والتعلم واستقراء طبيعة الأشياء وواقع الظواهر الكونية، توصلاً للحقائق التى هى ضالة المؤمن. وإنه كان من سنن الله فى كونه، أن يؤاخذ الدولة الإسلامية بظلمها وجهلها وتفرقها فترجع القهقرى، فى حين تتقدم الدول الأوروپية بالعلم والعدل، وتكشف عن العالم الجديد، وتحدث الثورة الصناعية حتى عظم أمر الاستعمار. فنتج عن تخلف المسلمين واستعمار الأوروپيين لبلدانهم هوة سحيقة الأعماق فى ضمير التاريخ الأوروپى، أخفى فيها كنوز التراث العلمى الإسلامى، ووجد المتعلمون المسلمون أنفسهم يستوردون العلوم الإسلامية من مراجع إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية وإسپانية، ويقنعون بمحاولة إحصاء كتبهم فى خزائن أوروپا، بل يدخل فيما يستوردون من العلوم دراسات فى الدين والسنة النبوية واللغة العربية!! (ص ١٨٨).

وإذ يصحح المؤلف العالم فى هذا الفصل بعض أخطاء بيكون صاحب «المنهج الجديد»، يظهر بجلاء أن ما ادعاه من منهج جديد ليس بجديد، بل هو بعض من كلٍّ سبق به القرآن وعمل به العلماء العرب فى كل فنون العلم. وإذ ينقل المؤلف إلى صفحة ٢٣٤ عن **المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه** «تاريخ العرب» قوله: «إن العرب أدركوا بعد لأى أن التجربة والمشاهدة خير من أفضل الكتب، وكذلك سبقوا أوروپا إلى هذه الحقيقة التى تعزى إلى فرنسيس بيكون بأنه أول من أقام التجربة والاختبار اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة، فالمسلمون أسبق إلى نظام التجربة فى العلوم»، فإنه يذكر بحق «لو أن جوستاف لوبون قرأ القرآن كله أو بعضه لعرف أن

العرب لم يدركوا ذلك بعد لأى، وإنما هم مأمورون فى القرآن بالعلم وبمنهجه فى استعمال «العقل»، و«الحواس» أى التجربة الفعلية مع الحرية الكاملة».

ويتابع المؤلف كشف المستشرقين عن المنهج الإسلامى من كتب العلماء التطبيقيين، **فينقل عن درابر فى كتابه (النزاع بين الدين والعلم)** قوله: «كان الأسلوب الذى توخاه المسلمون سبب تفوقهم فى العلم، فإنهم تحققوا أن «الأسلوب النظرى» لا يؤدى إلى التقدم، وأن الأمل فى معرفة الحقيقة معقود «بمشاهدة» الحوادث ذاتها. ومن هنا كان شعارهم فى أبحاثهم هو «الأسلوب التجريبى» وهذا الأسلوب هو الذى أدى إلى اكتشافهم علم الجبر، وغيره من علوم الرياضة والحياة. وإنا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هذا العصر».

خاتمة:

والواقع أن كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى عن «القرآن والمنهج العلمى المعاصر» هو من كتب القمة الشوامخ المضيئة على مر الأيام، والتى تتوج وتزين كل مكتبة، وتفيد وتثرى كل قارئ.

ويكفى أن الكتاب يزيدنا اقتناعًا ويعمق إحساسنا بأن الإسلام هو السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية من أزماتها على الصعيد المادى والروحى، ولتصحيح «حضارة الأشياء» لتصبح «حضارة الإنسان».

فالحضارة المعاصرة بشقيها الرأسمالى الفردى والماركسى الجماعى، رغم ما حققته من إنجازات مادية، قد انتهت بالإنسان ومجتمعات تلك الحضارة إلى الصراع والتمزق والضياع، واستبدت التكنولوچيا بسلام الإنسان وأمنه واستقراره. والإسلام وحده هو طوق النجاة؛ إذ يحفل بالعنصر المادى، ولكنه يضعه فى خدمة العنصر الروحى ليتألف منهما الوصف الإسلامى. وإنه لم تشك الأمة الإسلامية فاقة أو هوانًا أو ضياعًا أو جهالة، إلا فى تلك الأزمنة التى انشغل فيها أولو السلطة أو الأمر أو العلم أو القدوة بأنفسهم عن دينهم أو جماعاتهم.

وصدق الرسول الكريم حين قال: **«صنفان إذا صلحا صلح حال هذه الأمة، وإذا فسدا فسد حال هذه الأمة، الأمراء والعلماء»**[1]. **وفى رواية أخرى: «اثنان لو صلحا، صلح الناس كلهم، الأمراء والعلماء»**[2].

لقد جاء القرآن الكريم بأمرين:

«حقائق توفيقية»، و«حقائق توقيفية». **أما الأولى**: فهى ما تتعلق بالأشياء وسائر مخلوقات الله ـ تعالى ـ فقد دعا المسلمين إلى النظر فيها والكشف عن أسرارها، مما أنتج «العلم التجريبى». **أما الثانية**: فهى ما تتعلق بذات الله وأوصافه وحساب اليوم الآخر وقواعد تنظيم المجتمع.. إلخ، مما لا يستطيع الإنسان التوصل إليه فى صورته الحقيقية المثلى دون وحى ورسل، فقد دعا المسلمين إليها بمنهج متطابق معها، مما أنتج «العلم النظرى» ممثلاً فى علم العقيدة وعلوم الفقه. فهذا هو منهج القرآن: حين يعمل الإنسان فى عالم المادة فإنه يعمل فى عالم يمكن أن يعرفه؛ لأنه مجهز بإدراك أسراره وقوانينه، وحين يعمل فى غير ذلك فهو يعمل فى متاهة واسعة بالقياس إليه وهو غير مجهز ابتداء بإدراك حقائقها الهائلة الغامضة. ولا شك أن للعقل دورًا رئيسًا ومهمًا فى معرفة حقائق الغيب والتشريع، ولكن الخطأ يكمن فى محاولة العقل البشرى معرفة ذلك وحده دون قيادة الوحى وتوجيهه. إن ما يظل العقل وحده باحثًا عنه قرونًا طويلة دون الاهتداء إليه، يتلقاه تلقيًا مباشرًا وسريعًا وكاملاً من القرآن، وفى هذا رحمة وخلاص للإنسانية وهداية للبشرية جمعاء. وصدق الله العظيم فى قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٥٠).

إن أصالة الفكر الإسلامى والإبداع الحضارى للمسلمين يتمثلان فى أعمال الفقهاء والأصوليين، وفى توصل أئمة الإسلام إلى قواعد المنهج العلمى التجريبى وتطبيقه فى مختلف العلوم التجريبية بما أدى إلى تقدم العلوم الطبيعية، والكيميائية والطبية،

---

(١) أخرجه الديلمى فى «الفردوس»، وأبو نعيم فى «الحلية» عن ابن عباس، وابن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله» الجزء الأول صفحة ٢٢٦. وفى «فيض القدير» جزء ٤ صفحة ٢٠٩: إذا صلح الراعى صلحت الرعية، والعلماء أمناء الرسل.

(٢) انظر: الإمام العلامة أبو بكر الخوارزمى، فى مؤلفه «مفيد العلوم ومبيد الهموم»، صفحة ٤٠٩ من فصل السلطان، طبعة وزارة الشئون الدينية بدولة قطر سنة ١٤٠٠هـ/ سنة ١٩٨٠م.

والرياضية والفلكية ـ وغيرها ـ تقدمًا عظيمًا لم يشهده تاريخ الإنسانية المكتوب من قبل فى أية حضارة أخرى سابقة أو تالية للحضارة الإسلامية.

ودعوة المؤلف منهجيًا وموضوعيًا هو أن يكون مرجعنا ومعيارنا الذى نرجع إليه ونزن به كل فكر وكل تشريع وكل نظام وكل علم، هو القرآن والسنة، وإنه لن تصحو أمة الإسلام وتتوحد إلا بما قامت به وتوحدت، وهو الاجتماع على القرآن والسنة، **والذى يجب أن نتوخاه فى المنهج، هو ألا نقبل على القرآن وفى أذهاننا فروض وأفكار مسبقة غريبة عنه، ثم نبحث فيه عما يؤيد ما فى أذهاننا من نظريات وأفكار**. وإن من يقبل على القرآن الكريم وفى نفسه ابتغاء معرفة الحق وحده يهديه الله ـ تعالى ـ ويفتح له كنوز معرفته بقدر تقواه، وصدق الله العظيم ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وصدق الأثر النبوى «ومن يعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» هذا، ولا أجد خير ما اختم به هذه الدراسة عن كتاب «القرآن والمنهج العلمى المعاصر»، سوى **ما ذكره المؤلف بقوله فى صفحة ٢٣٨** «الكتاب الحالى خطاب موجه للحاضر والمستقبل معًا، باقتدار المنهج القرآنى علي إبلاغ الفكر الإنسانى أعلى مبالغه. ولقد آن للمسلمين الذى يتوثبون للتقدم ويتشوقون إلى العلم أن يدركوا أن عندهم مفاتحه، وأنهم إذ يعملون به يستردون تقدمه ولا يستوردونه».

ولا يفوتنى أن أشير إلى ما تميز به هذا الكتاب من فهارس متعددة تيسيرًا للباحث، فلم يقتصر شأن سائر الكتب على فهرست الموضوع وفهرست المراجع، وإنما اشتمل أيضًا على ثلاثة فهارس إضافية هى: فهرست المسائل، وفهرست البلدان، وفهرست الأعلام.

وإذا كان هناك من رجاء فهو أن يتفضل المؤلف الكبير فى طبعته القادمة ـ حيث علمنا الإقبال الشديد على كتابه، وأنه على وشك النفاد من السوق ـ فيتوسع فى الفصل الخاص بأئمة وعلماء الإسلام التجريبيين، وكذا أن يذكر بالهامش مراجع الاقتباسات العديدة التى أوردها على لسان جهابذة الإسلام وقادة الفكر الإنسانى، وذلك بالإشارة إلى أسماء مؤلفاتهم التى أخذ عنها، وتاريخ طبعتها وناشرها وأرقام صفحاتها، وقد يكون فى ذلك بعض العسر؛ إذ لا تقل هذه الاقتباسات الرائعة والمنتقاة بدقة عن العشرات بكل صفحة، ولكنه مجرد رجاء وأمل.

الكتاب الثانى

«الجديد فى المنظور العلمى للقرآن المجيد»

تأليف وعرض: أ. د. إسلام الشبراوى

يقع الكتاب فى طبعته الأولى فى ٤٢٠ صفحة من القطع الكبير، وتمت طباعته بدار الرسالة الدولية بالقاهرة فى عام ١٩٩٧م، وقد تم تقسيمه إلى ستة أبواب رئيسة بخلاف المراجع العربية والأجنبية التى استند إليها المؤلف، وكذلك الفهرس، والأبواب الرئيسة تم تقسيمها إلى فصول متعددة تتناول غالبية المواضيع العلمية المدرجة تحت عنوان الباب.

بعد المقدمة التى أوضح فيها المؤلف غايته من وضع مؤلفه، أتى الفصل الأول الذى أسماه باسم **«الحقائق السلبية»**. ويعنى بذلك أن مدة تنزيل القرآن الكريم حددت فى فترة معينة لها ظروفها الزمانية والاجتماعية والثقافية، وكذلك فى بقعة جغرافية لها خصوصية انعزالية عن باقى الأمم والحضارات والثقافات المجاورة، وجاء عن الرسول ﷺ وهو النبى الأمى الذى يدعى عليه بعض المستشرقين أنه هو الذى ألف القرآن الكريم دون أن يثبتوا وجود أى انعكاس لمنظومات الأفكار والقيم والأداء، والنظريات المعلوم ذيوعها فى ذلك الزمان والمكان، والمجتمع فى القرآن الكريم. وقد استعرض الكاتب غالبية تلك الأفكار السائدة حينذاك، وأثبت الانعدام التام لتواجد أىٍّ منها بين دفتى الكتاب الكريم، ومن هنا اعتبر المؤلف أن هذه الحقيقة التى أسماها «السلبية» هى من أهم الحقائق الدالة على صدق «وحى» القرآن من لدن الله ـ سبحانه وتعالى.

مباشرة. حيث إنه لا يوجد منطق علمى يستطيع تفسير غياب الانعكاسات الشخصية الثقافية والاجتماعية لشخص ما فى زمان ومكان ما فى أحد مؤلفاته، كما لم ينس الكاتب استعراض ملامح المنهج العلمى الصادم؟ كما ورد فى تعاليم القرآن الكريم، وذلك بالإغلاق التام لأبواب الخزعبلات والأوهام، وتجريمها، ثم فتح الباب على مصراعيه أمام العلم الحقيقى بشقيه: التجريبى والنظرى، واعتبار ذلك أهم السبل المؤدية للإيمان بالعقيدة الإسلامية، وأطروحاتها، وهكذا، فالقرآن الكريم هو أول مصدر معروف تاريخيًا يضع أسس البحث العلمى كما توصل إليها لعلم الحديث الذى قاد حضارتنا الحالية.

وبعد أن انتهى المؤلف من تحليله لظاهرة «الحقيقة السلبية» فى القرآن، أى الغياب التام لأية خرافات فيه، بدأ فى مناقشة الحقائق الإيجابية التى تعد بالآلاف بين دفتى القرآن المجيد، واضعًا بذلك تحديًا خطيرًا، وهو أن خطأ واحدًا فى كتاب مقدس، يفقد هذا الكتاب مصداقيته تمامًا ككتاب منزل من عند الله، حيث إن الحقيقة البديهية تقر بأن الله ـ تعالى ـ منزه عن الخطأ، واعتمد الكاتب فى تفسيره الموضح لصحة ودقة وعمق الحقائق العلمية الواردة فى الآيات القرآنية على عدة مبادئ حاول الالتزام بها مؤلفة، مثل أن أصدق وأصح مفسر للقرآن هو القرآن الكريم ذاته، أى أن القرآن الكريم لغة خاصة يتميز بها فى نطاق اللسان العربى المبين ينبغى تدبرها عند تفسير آيات القرآن، كما يرى الكاتب ضرورة الالتزام التام بمدلول اللفظ القرآنى، وعدم الاندفاع نحو التأويل أو إيجاد مخارج هروب عن طريق التوسع فى انتحال «الأشباه والنظائر»، وقد خالف فى ذلك العديد من التفسيرات السلفية لبعض الآيات القرآنية التى رأى أن المفسرين قد اجتهدوا فيها قدر وبقدر ما أتاحته لهم ظروف الزمان والمكان الذى تواجدوا فيها، ويرى الكاتب أن العصمة الحقيقية الوحيدة فى تفسير القرآن هى لله ـ تعالى ـ كما ورد فى أى الذكر الحكيم، ورسوله ﷺ، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة غير المتعارضة مع النص القرآنى؛ ولذلك فإن الوقوف عند مقولات التفسير الأولى التى تمت فى القرون الأولى للإسلام على يد مجتهدى المفسرين حينذاك هى حبس لفهم القرآن الكريم، وقصره على مفاهيم معينة قد ثبت خطأ البعض منها، كما أنها قتل لحقيقة أن القرآن الكريم له عطاء وقدرة وجلال يتناسب مع كل زمان ومكان بما

يعكس فى النهاية جلال من أنزله ـ سبحانه وتعالى ـ كما يركز الكاتب على أن آيات القرآن الكريم ينبغى دراستها وتفسيرها فى سياقها وفى موضعها من السور القرآنية؛ حيث إن التفسير المتقطع للآيات خالف أهم الحقائق العلمية للقرآن وهى «وحدة السورة»، وأن كل سورة قرآنية لها خصوصياتها وأهدافها التى تربط كل آياتها ـ داخل هذا السياق ـ برباط لا ينفصم.

وتناول المؤلف فى الباب الثانى من الكتاب موضوع «القرآن والكون» وتناول فيه عدة موضوعات مهمة تتعلق بالكون وعلم الفلك، وأوضح مدى تطابق النص المنزل فى أوائل القرن السابع الميلادى، على ما ثبت قطعيًا فى تلك العلوم فى القرن العشرين، فتناول الكاتب نظرية خلق الكون المسماة «نظرية الانفجار العظيم»، والتى ارتقت حاليًا لمرتبة الحقيقة بعد الكشوف الفلكية الأخيرة، وناقش أسبقية القرآن فى تقسيم الأجرام السماوية إلى نجوم ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ٢)، وكواكب ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ (الانفطار: ٢) وتوابع، وكذلك تمدد الكون واتساعه المطرد، والسدم الكونية، والثقوب الكونية السوداء، وأشباه النجميات، والمسافات الهائلة فى الكون، والزمن والتوقيت فى الكون والأرض بأنواعها المختلفة من شمسية وقمرية ونجمية، كما وضع افتراضًا يستند إلى حسابات من الآيات القرآنية عن عمر الكون، كما ورد فى ذكر الله الحكيم ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: ٤)، كما تكلم عن العلاقات الرياضية والحسابية فى الكون كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم وأثبتها العلم، ثم انتقل للنقاش حول مجموعتنا الشمسية كمثال للأنظمة النجمية، وأوضح مدى دقة الحقائق العلمية القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع، فناقش قضايا متعددة مثل الفرق بين طبائع النجوم والكواكب، والتصنيف القرآنى لكوكب الأرض ضمن قسم الكواكب، وأوضح الوصف القرآنى لنهاية النجوم وموتها، وضرب لذلك مثلاً بالتناول القرآنى لنجم الشمس، وأوضح أن القرآن الكريم قد حدد بوضوح المرحلة العمرية التى تمر بها شمسنا حاليًا، ثم تكلم عن أفلاك الأجرام السماوية ومداراتها وأبرز أن القرآن الكريم ناقش كل الخصائص المتعلقة بتلك الأفلاك بوضوح شديد مصداقًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٣)، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (فاطر: ١٣)، كما أورد أدلة قرآنية على وجود أنظمة أخرى فى الكون من نجوم وكواكب، بل ووجود أنماط أخرى

من الحياة، وفى نهاية هذا الباب أورد الكاتب الأدلة القرآنية على غزو الإنسان للفضاء الكونى خارج كوكب الأرض، وقدرته المحدودة على ذلك، بقدرة وإرادة ومشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

انتقل المؤلف بعد ذلك فى الفصل الثالث المسمى «القرآن وكوكب الأرض» للنقاش حول العديد من الظواهر الجيولوجية والجغرافية والمناخية والفيزيائية لكوكب الأرض، موضحًا ومبرزاً شمولية التناول القرآنى لكل فروع تلك العلوم، بدقة علمية جبارة لا تترك مجالاً لخطأ واحد، فتحدث الكاتب عن الوصف القرآنى لكيفية تكون كوكب الأرض، والعوامل التى تداخلت فى هذا التكوين وصولاً للشكل النهائى، ثم أورد مناقشات حول الوصف القرآنى للشكل العام لكوكب الأرض كما قال الله تعالى: ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ (النازعات: ٣٠)، ﴿**وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا**﴾ الشمس: ٦)، وكذلك تقسيم التركيب الجيولوجى لطبقات كوكب الأرض، وتركيب جوف الأرض، وكذلك التغيرات الجيولوجية التى تحدث على سطح الأرض، موضحًا الإعجاز القرآنى فى ذكر الصدوع القارية، والصفائح التاكتونية لقشرة الأرض ﴿**وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ (الطارق: ١٢)، ﴿**وفى الأرض قطع متجاورات**﴾ (الروم: ٤) وتحرك تلك الصفائح بما ينتج عنه من تغيرات فى المظاهر السطحية للأرض عن طريق التصادم والإزاحة والتشقق والتصدع، وكذلك أوضح المؤلف دلائل النقاش القرآنى لعوامل التغير الظاهرى الجيولوجى للأرض من نحت ونقل، وإرساب بالرياح، ومياه الأنهار الجارية، وعوامل البحر من أمواج وتيارات بحرية ومد وجزر وخلافه وأخيراً تأثير الكائنات الحية على سطح الأرض من هدم وبناء، ثم أوضح المؤلف الحقائق القرآنية المتعلقة بطبيعة تربة الأرض، وتكونها ومعادنها، وصلاحيتها للإنبات وشروط ذلك.

انتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة موضوع الجاذبية الأرضية وورود ذكرها فى القرآن المجيد الذى كان هو أول مصدر يتحدث عن اختلاف المثقال فى المناطق الكونية المختلفة، وكذلك تأثير الكتلة فى الجاذبية والثقل بالنسبة لأجرام السماء، وعلاقة ذلك بأحدث علوم عصر الفضاء وهو «فيزياء الفراغ» وقد رجع فى هذه الجزئية إلى الآيات القرآنية (الرحمن: ٣٣، التوبة: ٣٨، الأعراف: ١٧٦، سبأ: ٣، ٢٢، وغيرها)،

انتقل المؤلف فى الفصل التالى لمناقشة الحقائق القرآنية حول موضوع «الغلاف الجوى للأرض» وأوضح ذكر القرآن الكريم لتفاصيل تعدد طبقات الغلاف الجوى، واختلاف طبائع تلك الطبقات، وكونه تكوينًا ماديًا وليس فراغًا أو تأثيرًا كما كان معتقدًا حتى وقت قريب، والوظائف الرئيسة للغلاف الجوى الأرضى، واتساع وكثافة طبقاته، ودوره فى الظواهر الضوئية البصرية على الأرض، وشمولية إحاطته بالأرض جميعًا، واختلاف نسبة غاز الأكسجين فى طبقاته العليا، وأخيرًا الدلائل التى يمكن الوصول إليها من الذكر القرآنى حول طبيعة الغلاف الجوى والمؤدية لفهم واستنتاج حقيقة كروية الأرض، وقد رجع إلى آيات قرآنية عديدة منها: (الحجر: ١٦، ق: ٦، الملك: ٣، النساء: ٣٢).

ثم انتقل المؤلف لاستعراض الحقائق القرآنية العلمية المتعلقة بحركة الرياح حول الكرة الأرضية، وأورد فى ذلك استدلالات جديدة من آيات قرآنية رأى المؤلف أنها تختص بوصف الخصائص الفيزيائية لأنواع الرياح المختلفة، وتكلم بالتفصيل عن وظائف الرياح كما وردت علميًا وكما أوردها القرآن الكريم، بل وذكر الوصف القرآنى لأخطر أنواع تلك الرياح وهو المسمى الإعصار، أو البارم، أو التيفون بكل خصائصه الفيزيائية التى تعارف عليها العلم، ولم ينس هنا ذكر أن تلك الأنواع من الأعاصير لم تكن معروفة فى بيئة الجزيرة العربية مطلقًا، واختتم المؤلف مناقشته لموضوع الرياح لضرب أدلة على أن القرآن هو أول مصدر معروف يتحدث عن استعمال طاقة الرياح كطاقة نظيفة متجددة.

انتقل المؤلف بعد ذلك لوصف خصائص وفيزياء العواصف الرعدية والبرقية، وكما تعارف عليها العلم مؤخرًا منذ زمن «بنجامين فرانكلين» فى القرن التاسع عشر، وتوقف المؤلف طويلاً بالتحليل للأسلوب العلمى القرآنى لفيزياء تلك الظواهر بأسلوب دقيق معجز لا تشوبه شائبة من معتقدات ذلك العصر الخرافية حول الموضوع.

تعرض المؤلف بعد ذلك لموضوع دورة المياه على الأرض «الدورة الهيدروليكية» وعلاقة الرياح والسحاب بذلك من منظور قرآنى علمى، فأثبت إعجاز الحقائق القرآنية الواردة حول هذا الموضوع من حيث أصل الماء على الأرض، ودورته، وأماكن تجمعه

سطحيّا فى البحار والأنهار، ومخازنه الجوفية، وعلاقة طبيعة الغلاف الجوى بالدورة المائية، والخصائص الكيميائية والطبيعية المتفردة للماء، وأهمية ذلك جيوليوجيّا وبيولوجيّا، ثم تعرض المؤلف بعد ذلك لآيات الأنهار فى القرآن الكريم، من حيث سبق القرآن لذكر أسلوب النحت المائى لأودية الأنهار، وعلاقة ذلك باختلاف النوعية الميكانيكية للتربة حول مجارى ومصبات الأنهار، وقوة التفجير المائى فى الجيولوجيا (البقرة: ٧٤)، وأهمية الأنهار للحياة النباتية، وخصائص التربة، والصيد، والتعدين، والنقل النهرى وخلافه.

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك للنقاش فى موضوع الإشارات القرآنية المتعلقة بعلوم البحار: (لقمان: ٢٧، الفرقان: ٥٣، فاطر: ١٢، الرحمن: ٢٢)، وتناول الوصف القرآنى لمساحة المسطحات البحرية على الأرض، وتيارات الماء العذب داخل البحار والمحيطات، وملوحة البحر، وعلاقة البحار بالأنهار، وأورد المؤلف هنا مفاهيم جديدة لتفجر (الانفطار: ٣) وتسجير (التكوير: ٦) البحار بما يشير للطبيعة الكيميائية للماء، وكذلك لقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩) ويصر هنا أن البحرين هما بحران مالحان، وأن القرآن بذلك هو أول مرجع علمى يتحدث عن نظرية الأوانى المستطرقة، وتساوى ارتفاع منسوب سطح البحار على الكرة الأرضية، كما يستدل من آيات البحار على أن القرآن هو أول المصادر فى الإشارة إلى النظرية الموجية الحديثة التى بنيت عليها أوصاف كل أنماط الطاقة الكونية المعروفة، بل ويزيد من شكل هذه النظرية بتوضيح لا يدع مجالاً لتأويل، كما تحدث المؤلف عن ذكر القرآن الكريم لفوائد البحار من حيث التغذية والنقل البحرى، والتعدين وتعديل المناخ وخلافه.

تناول المؤلف بعد ذلك موضوع الجبال فى آيات القرآن الكريم: (الأنبياء: ٣١، فصلت: ١٠) وأوضح ما ورد بشأنها من حيث دورها فى تثبيت الصفائح القشرية للأرض، وأنواعها المختلفة طبقًا لطبائع الصخور الغالبة فيها، والدور الذى لعبته الجبال وكهوفها فى التاريخ البشرى.

تطرق المؤلف بعد ذلك إلى ما جاء فى القرآن حول المعادن المتواجدة فى الأرض، فأورد نبذة تاريخية عن استخلاص المعادن من خاماتها، وكذلك النظريات العلمية الحديثة المتعلقة بصهر وتنقية المعادن، وإنتاج السبائك المختلفة، وأبرز أن القرآن الكريم

أورد إشارات علمية إعجازية عن تلك النظريات فى سورتى الرعد والكهف، ثم ناقش ما جاء فى أى الذكر الحكيم حول المعادن المختلفة، كالحديد بأنواعه المختلفة، والذهب، والفضة، والسليكون كما طرح رأيًا تفسيريًا جديدًا لكلمة (القطر) رجح فيه أن هذه الكلمة تعنى البترول الخام غير المقطر (القطران) أكثر من كونها تعنى النحاس السائل.

ناقش المؤلف بعد ذلك الخواص الفيزيائية المختلفة للضوء، وأثبت أن القرآن الكريم أوضحها بجلاء وقبل قرون عديدة من اكتشاف إسحاق نيوتن وغيره، كما أشار إلى قضية جديدة تمامًا وهى أن الوصف الكامل لنظرية الليزر، وكذلك الجهاز المنتج له أتيا بصورة واضحة لا تقبل الجدل فى سورة النور.

تحدث المؤلف بعد ذلك عن أن الوصف الكامل بتتابع الأحداث الصحيحة للتفجيرات الذرية والنووية قد أتى فى القرآن الكريم (القيامة ٥ ـ ١٢)، واعتمد فى ذلك على المقارنة بين سورة القيامة وبين تقرير البيت الأبيض الأمريكى المستخلص من روايات الأحياء الذين عاشوا تجربة التفجير الذرى فى هيروشيما.

واختتم المؤلف هذا الباب بمناقشة موضوع «الكوارث الطبيعية» كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم، وقارن بينها وبين ما أثبته العلم الحديث عن طبائع الكوارث، وقد ناقش الكاتب فى هذا الباب ظواهر الزلازل والبراكين والأعاصير، والعواصف والنيازك والصدوع الأرضية والأخاديد والخسف والطوفان، والتصحر والجفاف، وأمطار السوء بأنواعها من أمطار حجارة، والمطر الحارق (الأجاج) وغيره.

أما عن الباب الرابع فقد خصصه المؤلف لموضوع (القرآن وعلوم الإنسان) ويعنى بذلك ما يندرج تحت موضوع العلوم الطبية أساسًا.

بدأ المؤلف أول فصول الباب بمناقشة خلق الإنسان ودورة الحياة، فتناول الخصائص العلمية المميزة للحياة والأحياء، وانتقل من ذلك لمناقشة الحقيقة القرآنية المتعلقة بخلق الحياة، ثم استعراض ومناقشة وتفنيد النظريات المادية الأحادية المتعلقة بهذا الموضوع بدءًا من أبحاث أوبادين السوفييتى ١٩٢١ وستانللى ميللر الإنجليزى، وما قام المنظرون الغربيون من محاولة إيجاد نظرية ملفقة أسموها النشوء التلقائى للحياة Spontaneous

generation وفند هذه النظريات على ضوء العلم والمنطق الذى استند فيه لآيات القرآن الكريم: (فاطر: ٤٠، الأحقاف: ٤)، تناول المؤلف بعد ذلك مواد الخلق بين القرآن والعلم وبدأ بحثه بمادة «الماء»، واستعرض أهميتها البيولوجية وعلاقة ذلك بخصائصها الكيميائية والفيزيائية المتفردة واستعرض الحقائق العلمية التى أوردها القرآن حول دور هذه المادة فى إقامة الحياة، ثم انتقل المؤلف بعد ذلك لدور مواد التربة الأرضية التى سبق وأورد بحثًا مطولاً عن الحقائق القرآنية المتعلقة بها.

ثم ناقش المؤلف موضوع الموت والشيخوخة كما وردت فى الآيات القرآنية، وأثبت أن القرآن الكريم هو أول مصدر علمى يتحدث عن تلك الظاهرة بكل أبعادها الطبية الجسدية والنفسية، وأن التشريع الإسلامى هو أول مصدر منظم للجوانب الاجتماعية لمسألة الشيخوخة، ويجب أن يقتدى به العالم المتحضر حاليّا.

ناقش المؤلف بعد ذلك الدورة البيولوجية للكائنات الحية على الأرض معددًا أهميتها لاستمرار الحياة، ومبرزًا الإسهام القرآنى فى فهم تلك المسألة.

انتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة موضوع الإنسان والتطور البيولوجى، و أبرز أن الآيات القرآنية الكريمة لم تقل مطلقًا بأن الخلق فى البشر أو غيرهم ثابت لا يتطور، بل إن القرآن هو أول مصدر علمى يناقش التداخل بين ظروف البيئة والتغيرات المناخية مع قدرة الكائنات على التأقلم والتعايش، وبالتالى البقاء أو الاندثار.

انتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة أطوار خلق الإنسان المختلفة، فبدأ بموضوع الخلايا الجنسية (النطف)، وأوضح مدى الإعجاز القرآنى فى كل دقائق تلك الخلايا مما لم يكتشفه العلم الحديث إلا ربما فى القرن السابع عشر بعد اختراع المجاهر (الميكروسكوب).

وناقش المؤلف بعد ذلك خصائص الرحم البشرى الذى عده المؤلف هو «القرار المكين»، وأبرز الإشارات القرآنية المتعلقة بتشريح ووظائف هذا العضو ومدى ملاءمة تركيبه لوظائفه.

ثم انتقل المؤلف فى الفصل التالى لمناقشة أطوار خلق الجنين داخل الرحم، وكيف أن القرآن الكريم فصل وبين بدقة علمية متناهية كل أحوال هذا الخلق دائم التطور

والتغير، والتبدل مما لم يكن ممكنًا أو متاحًا ولقرون طويلة بعد نزول القرآن الكريم (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤، غافر: ٦٧).

وفى الفصول التالية، بدأ المؤلف فى استعراض الحقائق القرآنية المتعلقة بأعضاء الجسم المختلفة، فبدأ بالجلد وذكر وظائفه وخصائصه العلمية، وتحدث عن النقاش القرآنى للمظاهر المختلفة لإصابات الحروق وتأثيرها الموضعى، والعام على الجسم: (النساء ٩٦)، وكذلك أمراض الجلد الناتجة عن الضغوط الميكانيكية فى حالات الغيبوبة، وناقش العلاقة بين تغير خصائص الجلد، والحالة النفسية للإنسان مما تكشف مؤخرًا جدًا، وذكره القرآن بوضوح صريح: (الزمر: ٢٣)، كما ناقش موضوع كتوبية الجلد Demmatography المتفردة لكل إنسان، وتلك تشمل بصمات الأصابع، وأوضح الحقيقة القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع الحساس.

انتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن حاسة السمع، وذكر تفسيرات علمية جديدة تمامًا لتقديم السمع على الأبصار فى أى القرآن الحكيم، كما ناقش جوانب موضوع السمع كحاسة، ودورها فى التواصل البيئى، والتواصل الاجتماعى، وكذلك أهميتها المحورية لتكوّن، ونشوء الكلام واللغة وأبرز ما جاء فى آيات القرآن الكريم حول ذلك، كما ناقش بعض خصائص الصوت، مثل انتقاله فى الأوساط المادية فقط دون الفراغ، وكيف أن القرآن الكريم أوضح ذلك بجلاء، واختتم هذا الفصل بالحديث عن دور الاستجابة السمعية فى تحديد حالات الغيبوبة، وأبرز أن القرآن الكريم أورد فى قصة أصحاب الكهف الخصائص الطبية الكاملة لتحديد شدة وعمق الغيبوبة كما يتبعها الأطباء حاليًا فيما يسمى «مقياس جلاسجو للغيبوبة»، بل وأكثر من ذلك فقد أورد القرآن الكريم فى تلك القصة أساليب العناية بمرضى الغيبوبة كما هو متعارف عليه حاليًا.

انتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة موضوع «العين والبصر فى القرآن»، فناقش أولاً مدلول الرؤية، والنظر والبصر من وجهة النظر اللغوية، ثم ذكر كل الأحوال التى يمكن فيها خداع البصر، وكذلك الموجودات خارج نطاق حاسة البصر الإنسانية، وتأثير الإضاءة الشديدة على شبكية العين، وحركات العين اللاإرادية المسماة (الرأرأة) بكل مسبباتها، وأورد النصوص القرآنية الإعجازية التى تناقش تلك الأحوال، واختتم الفصل بتناول خصائص الضوء فيزيائيًا، وكيفية التقاط العين للضوء، وتمييز الألوان من المنظور العلمى القرآنى.

تناول المؤلف بعد ذلك موضوع العظام، وناقش ما جاء فى القرآن الكريم حولها من وجهة النظر التشريحية، وكذلك أسلوب نمو العظام فى الجسم البشرى.

ناقش المؤلف بعد ذلك لفظى «الفؤاد والقلب» فى القرآن، واستعرض كل الآيات المحتوية على اللفظين، وخلص إلى أن القرآن الكريم حاشاه أن يقع فى خطأ اعتبار العضو الصدرى كمركز للعواطف والانفعالات؛ حيث إن لفظ القلب قرآنيًا إنما يعنى العقل بكل خصائصه، أما الفؤاد والأفئدة فهما يعنيان العضو الصدرى، وأوضح أيضًا من هذا المنطق أن القرآن الكريم ناقش العديد من أمراض وخصائص الدورة الدموية فى الآيات المحتوية على لفظ «الفؤاد».

أثبت المؤلف بعد ذلك أن القرآن الكريم هو أول مصدر يشير لمراكز الإرادة والشخصية والذكاء، والتعبير بأنها تقع فى الفص الجبهى الأمامى من المخ البشرى.

بعد ذلك أفرد المؤلف فصلاً كبيرًا لمناقشة الصحة الجنسية والإنجابية على ضوء الحقائق العلمية القرآنية، فناقش علاقات التكاثر بين الجنسين من ذكر وأنثى، وفساد ممارسة اللواط والزنا من النواحى الاجتماعية والنفسية والصحية، وناقش أهداف الممارسة الجنسية وأسلوب الممارسة الجنسية فى القرآن، وخصائص فترة الحيض، وحالات الحمل والولادة والإرضاع، وكذلك موضوع الإجهاض بين القرآن والعلم الطبى، وعلم الاجتماع، وكذلك مسئولية الأم فى تحديد جنس المولود، وموضوع العقم.

تناول المؤلف بعد ذلك موضوع «التغذية البشرية» فى القرآن من وجهة النظر العلمية، فتناول الألبان (النحل: ١ ـ ٩)، وإخوة الرضاع، والمحرمات من الطعام والشراب، وأورد تفسيرات علمية جديدة عن علة هذا التحريم من وجهة نظر العلم.

ناقش المؤلف بعد ذلك موضوع تغيير الصفات البشرية من حيث التلاعب بالهندسة الوراثية والاستنساخ وغيره، وأبرز التحفظات القرآنية الواردة فى هذا المضمار.

وفى الفصل التالى، قام المؤلف بإثبات أن القرآن الكريم هو أول مصدر تاريخى يشرح ويسرد أطوار نمو الحضارة البشرية منذ العصر الحجرى، وعصر البرونز، فالحديد، فالحضارة المعاصرة.

ثم أفرد المؤلف فصلاً لمناقشة دور القرآن فى التطور المعرفى عند البشر، من حيث التأكد من صحة المعلومات، والتوثيق، والحفظ على شكل كتب وخلافه.

وفى الفصل الأخير من هذا الباب (الفصل ٢١) ناقش المؤلف العديد من الحقائق المذهلة التى وردت بين دفتى القرآن العظيم عن فرع طبى حديث جدًّا هو طب الفضاء، وأثبت التطابق التام بين ما ثبت علميًا قطعيًا وبين ما جاء فى الآيات القرآنية حول هذا الموضوع: (الأنعام: ١٢٥، المدثر: ١٦-١٩، الجن: ١٧، الحجر: ١٥).

أما عن الفصل الخامس من الكتاب، فقد خصصه المؤلف لمناقشة أنماط الحياة على الأرض بين القرآن والعلم، وقسمه لجزأين كبيرين، الأول منهما يختص بالحياة النباتية والثانى يتعلق بعلوم الحيوان، وبدأ هذا الفصل بباب عن دورة الحياة فى المخلوقات الحية، ثم ناقش تكريم القرآن الكريم للحياة النباتية وانعكاس ذلك على التكامل البيئى فى الأرض.

انتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة الخصائص التشريحية والوظيفية لعالم النبات بأنماطه المختلفة، فتحدث أولاً عن خاصية الإنبات وشروطها وأنواعها، وأورد مقارنة بين الحب (ذوات الفلقة الواحدة) والنوى (ذوات الفلقتين) وبالذات فى خاصية الإنبات كما جاء فى القرآن واكتشفه العلم الحديث، ثم انتقل فى باب لموضوع اليخضور والتمثيل الضوئى والطاقة والحياة، وأوضح مدى الإعجاز القرآنى فى تناول تلك القضايا العلمية الحديثة الحساسة.

وفى الباب الرابع من الحياة النباتية، ناقش المؤلف موضوع التكاثر فى النبات وأثبت إعجاز الحقيقة القرآنية الواردة فى موضوع التكاثر الجنسى التزاوجى فى النبات.

ثم ناقش المؤلف بعد ذلك موضوع التنوع الوراثى والتشريحى فى النبات، وأهمية ذلك فى استمرار هذا النمط الحى، وأثبت المؤلف أن القرآن الكريم هو أول مصدر يقوم بتقسيم أنواع الثمار اللبية إلى جافة ولحمية، ويقسم تلك الأخيرة إلى الثمار اللبية ومفردة النواة والتفاحية.

ناقش المؤلف بعد ذلك أهمية النبات فى التوازن البيئى، وما جاء فى القرآن الكريم عن ذلك، واختتم هذا الجزء من الفصل الخامس بالحديث عن العلاقة بين الإنسان والحياة النباتية فى القرآن الكريم، وأبرز واجبات الإنسان تجاه عالم النبات الذى هو هبة ونعمة إلهية عظمى، وكذلك فوائد النبات للإنسان من حيث التغذية والزينة والخشب والظلال والدواء.

أما فى الجزء الثانى من الفصل الخامس، فقد ناقش المؤلف الإعجاز القرآنى المتعلق بعلم الحيوان، وتناول بالتحليل مواضيع التكاثر الجنسى كقاعدة رئيسة فى التناسل الحيوانى واستثنائها، وتناول التكاوين الاجتماعية للفصائل الحيوانية، وخصائص هذه التكاوين، وانتقل إلى موضوع اللغة فى عالم الحيوان، وأثبت الإعجاز القرآنى الوارد بشأن أساليب التواصل والتخاطب بين أفراد المجتمعات الحيوانية، ثم ناقش المؤلف بعد ذلك موضوع «الحركة فى عالم الحيوان». كخاصية أساسية بين نمطى الحيوان والنبات، وأثبت الإعجاز القرآنى الهائل فى وصف كل الحركات الحيوانية من طيران وزحف ودب، وأساليبها وأسسها التشريحية.

ثم قام المؤلف فى الفصل التالى باستعراض أساليب التغذية عن الحيوان بأساليبها وتنوع أنماطها على ضوء الآيات القرآنية.

وناقش بعد ذلك موضوع الغريزة والذكاء عند الحيوان، وقارن بين ما ثبت علميّا وما ورد قرآنيّا حول ذلك، ثم انتقل المؤلف لموضوع الساعة البيولوجية واختلاف النشاط الدورى اليومى عند كل الكائنات الحية مركزًا على الإعجاز القرآنى فى هذا المضمار، وبعد ذلك ناقش الأحكام القرآنية فى التغذية، ومدى مطابقة الإرشادات الإلهية القرآنية لما ثبت علميّا فى هذا الموضوع.

وأخيرًا ناقش المؤلف عددًا كبيرًا من القضايا فى باب أسماه «تأملات حرة فى الآيات القرآنية عن عالم الحيوان». فناقش مواضيع التقسيم الحيوانى، والنمل والغراب، والبقرة والنحل، واستخدامات عسل النحل بين الطب والقرآن، وخصائص حشرة النحل، وخصائص الإبل الوظيفية، ودروس التكتيك الحربى الحديث كما جاءت فى سورة الفيل، ثم ناقش موضوعًا مثيرًا جاء فيه بتفسير جديد لسورة «العاديات» أورد فيه رأيه عن القسم الإلهى الوارد فى الآيات الأولى من السورة، من حيث إنه يتعلق بقانون الافتراس والتوازن البيولوجى، وهو أهم القوانين الإلهية التى تحكم التوازن العددى للحيوان بما يلائم السلسلة الغذائية فى عالم البيولوجيا.

وناقش المؤلف بعد ذلك سورة المائدة من حيث ملاءمة اسم السورة لمضمونها، وأخيرًا أورد المؤلف بابًا كبيرًا ناقش فيه نظريات النشوء والارتقاء لتشالز داروين وغيره،

وفندها على ضوء العلم والمنطق، وأبرز نقاط الاختلاف والاتفاق بين هذه الفرضيات وبين الحقائق القرآنية .

أما الباب الأخير من الكتاب ـ وهو الباب السادس ـ فقد خصصه المؤلف لموضوع «نبذة عن نفسية الإنسان فى القرآن»، أبرز فيه الفلسفة القرآنية المتعلقة بتكوين النفسية الإنسانية، وما يصلح لها ويصلح أحوالها، كما أبرز مدى الواقعية والسماحة القرآنية فى التعامل مع نفسية الإنسان، وتقويمها فى إطار فهم مغزى تواجد الإنسان وكفاحه فى الحياة، كما قام المؤلف بتحليل بعض النظريات العلمية المتعلقة بالنفسية واستوائها واختلالاتها كنظرية فرويد ونظرية ثنائية الغرائز، وغيرها، وأوضح الكاتب أن هذه النظريات لا تتصادم بالضرورة مع المعطيات القرآنية الثرية بنفس القدر الذى تتناقض فيه مع الكتب المقدسة المحرفة، مركزًا على نقاط الاتفاق والاختلاف، ومحللاً أسباب هذا الاختلاف، وناقش دور الجنس فى تركيب نفسية الإنسان من منظور القرآن والنظريات المادية، وفى نهاية الفصل أورد المؤلف الأمثلة القرآنية المدللة على تعرض آى الذكر الحكيم لكل أنماط الشخصيات والاختلالات النفسية، وأوضح كيف أن المشرع الحكيم وضع العلاج اللازم لكلٍّ منها .

وفى النهاية، فإن المؤلف قد قام بجهد ضخم فى مراجعة الحقائق العلمية الهائلة الكم فى معظم نواحى العلم، وبذل جهدًا فى استخلاص تلك الحقائق من آيات القرآن الكريم، منتهجًا أساليب صحيحة فى الفكر والفقه والاستدلال، مما يجعل الكتاب كتابًا شموليا مهمّا لمن يتصدون للفكر الإعجازى القرآنى فى ميادين العلوم، وتمت صياغة ذلك بأسلوب يلتزم بثوابت الكتابة العلمية من حيث الاستدلال بالمراجع الملائمة الكافية فى مواضيعها، وأثبت هذا الكم الكبير من المراجع العربية والأجنبية فى فصل خاص بنهاية الكتاب .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الكتاب الثالث

«المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم»

تأليف: د. عبد العليم عبد الرحمن خضر   عرض: محمد كارم السيد غنيم

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «المنهج الإيمانى للدراسات الكونية فى القرآن الكريم» لصاحبه الدكتور/ عبد الحليم عبد الرحمن خضر فى عام ١٩٨٤م ضمن (سلسلة العلم والقرآن) التى تصدرها الدار السعودية للنشر والتوزيع (جدة). يقع الكتاب فى نحو ٥٤٨ صفحة من القطع الكبير، ويتكون من تسعة فصول وفهرس، وليست له مقدمة، كما يخلو من قائمة مراجع، وتحتوى الفصول التسعة ٥٨ شكلاً توضيحيًا، وستة جداول، ويلاحظ عدم وجود توازن بين مساحات الفصول المختلفة، فالفصل الثانى مثلاً يشغل سبع صفحات فقط، بينما يشغل الفصل الأخير ١٩٩ صفحة!!

يبحث المؤلف فى الفصل الأول موضوع الشمس فى القرآن وفى العلم الحديث، وذلك من خلال ثلاثة أقسام هى: القسم الأول عن الشمس كمصدر للحرارة والضوء، والثانى عن حركة الشمس ودورانها، والثالث عن ضبط مواقيت الصلوات استرشادًا بالشمس. يبدأ القسم الأول بعرض بعض أقوال وتأويلات المفسرين للآية ١٣ فى سورة النبأ، والآية ١٦ من سورة نوح، يليه عرض بعض الحقائق العلمية عن

خصائص الشمس، ثم شرح مبسط للكيفية التى تنتج بها الشمس هذا الكم الهائل من الطاقة، متضمنًا التعريف العلمى للغلاف الشمسى المضىء (الفوتوسفير) وللإكليل الشمسى. ويأتى بعد هذا تفصيل بعض الظواهر الطبيعية الأرضية التى تخضع لتأثير الشمس، مثل: تتابع العصور الجليدية على الأرض، وحركة الرياح، وتكوين الأنهار والعيون، وانقسام الأرض إلى مناطق مناخية مختلفة، وتوزيع أنماط الاستيطان البشرى، وأخيرًا التيارات البحرية فى المحيطات.

ويتوقف المؤلف عند بعض النقاط الخاصة بمنهج الإعجاز العلمى للقرآن (المنهج الإيمانى حسب تعبيره)، من أهمها ضرورة التركيز على هذا المجال لإخراج الناس من الهزيمة الداخلية التى تخيل للبعض أن العلم هو المهيمن، وأن القرآن هو التابع، وضرورة الانتباه إلى أن مجال الإعجاز العلمى للقرآن لا يقارن بين آيات القرآن وما يقابلها من المفاهيم العلمية، ثم يعقب ذلك تمحيص للدعوة القائلة بوجود تعارض بين العلم والقرآن فى شكل أقرب إلى الخطابة منه إلى المناقشة الحجية الصارمة.

بعد ذلك يبدأ المؤلف القسم الثانى من هذا الفصل، وهو عن حركة الشمس، فيعرض بعض الآيات القرآنية التى أومأت إلى حركة الشمس مثل (آية ١٩ من سورة العنكبوت، وآية ٥ من سورة الزمر) ثم عرض لبعض آراء المفسرين حول هذه الآيات. يتبع المؤلف كل هذا ببحث مدلولية التعبير القرآنى ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾ (يس: ٣٨) وهو: خلال هذا البحث يمدنا بالمزيد من المعلومات العلمية الخاصة بكروية الشكل للأجرام السماوية، وكذا حركتها الدورانية، ثم يخلص من هذه المفاهيم والمعلومات العلمية إلى بعض النتائج التى تشمل إشارة القرآن إلى فعل «السبح» الذى تقوم به الشمس وكذلك القمر، وإشارة القرآن أيضًا إلى التزام كل جرم سماوى بفلك محدد يدور فيه، ثم تنتهى هذه النتائج ببيان بعض جوانب الدقة التى تنفذ بها قوانين الجاذبية والحركة فى الكون.

ويهتم القسم الثالث من هذا الفصل بموضوع اتصال مواقيت الصلاة فى الإسلام بحركة الشمس الظاهرية فى السماء الأرضية، ويوضح المؤلف فى هذا الإطار بعض المفاهيم العلمية مثل التوقيت وخط الزوال والشروق، والغسق والشفق، ثم كيفية تحديد الغروب. يبدأ القسم ببيان بعض الاختلافات بين التوقيت القياسى، والتوقيتات الأخرى مثل (توقيت أوروپا الوسطى والشرقية).

ثم يملأ المؤلف بعد هذا تسعًا وثلاثين صفحة فى بيان حلول مواقيت الصلاة مثل (الظهر والفجر) على مدن مختلفة فى العالم، وذلك ليؤكد فكرة بسيطة هى أن أذان الصلاة لا ينقطع رفعه من على وجه الأرض طوال الوقت، ثم يختتم الفصل بذكر مفاهيم خط الزوال والشروق والشفق والغسق.

يبحث المؤلف ظاهرتى الظل وكسوف الشمس فى القرآن وفى السنة، وذلك فى الفصل الثانى من هذا الكتاب، فيبدأ بعرض بعض أقوال المفسرين حول الآيتين ٤٥، ٤٦ من سورة الفرقان، وآية ١ من سورة التكوير، ثم يستخلص من كل هذا بعض النتائج التى يحاول إثباتها طبقًا لمستجدات العلم الحديث، وكان هذا بعرضه للفروق بين الكسوف الكلى والجزئى، وبعرضه لبعض توقعات العلماء حول مستقبل الشمس والقمر، واحتمالية اقترانهما علميًا (آية ٩ من سورة القيامة)، ثم ينهى المؤلف هذا الفصل الصغير نسبيًا بحديث نبوى شريف يرسى لواحد من أهم أصول النهضة الحضارية، وهو النظر للظواهر الطبيعية - عند دراستها - بمعزل عن الخرافات والتفسيرات الغيبية المتخيلة.

نطلع فى الفصل الثالث على دراسة قرآنية علمية لكواكب المجموعة الشمسية، وكما درجنا فى الفصلين الأول والثانى يبدأ الفصل بالتنويه إلى بعض الآيات التى تناولت هذا الشأن، مثل الآيات ١ - ٤ من سورة النازعات، والآيتين ١٥، ١٦ من سورة التكوير، يليه سرد لبعض تأويلات المفسرين التى يستخلص منها عددًا من الاستنتاجات التى يقوم المؤلف بالتأصيل العلمى لها كل واحد على حدة. تنحصر استنتاجات المؤلف فى أن أسرة الكواكب فى المجموعة الشمسية تجرى وفق نظام معين لا تتعداه، وأن بعض الكواكب يسبق بعضها بعضًا أثناء الجرى فى أفلاكها، كما أن لكل كوكب مدارًا خاصًا يسلكه، وأن الكواكب المختلفة فى الحجم تختلف فى السرعة، بالإضافة إلى أنه نظرًا لضوء الشمس القوى بالنهار فإن الكواكب لا تظهر إلا بالليل.

بالنسبة للتعليق على أول استنتاج فقد فصّل المؤلف فى أمور البعد عن الشمس، والمدة الزمنية لدورة كاملة حول الشمس (السنة) ووجود وانتفاء الغلاف الجوى (بالإضافة إلى ماهيته فى حالة وجوده)؛ وذلك لكلٍّ من عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو، مع مقارنة كتل هذه الكواكب بكتلة

الأرض . وعندما ننتقل إلى التعليق الخاص بالاستنتاج الثانى نجد المؤلف قد أدرج به قائمة بالفترات الزمنية اللازمة لإكمال دورة حول الشمس لكلٍّ من الكواكب آنفة الذكر مقاسة بعدد الأيام الأرضية المطلوبة لذلك . تم توضيح الاستنتاج الثالث بإيراد كثير من خصائص مدارات الأرض وعطارد وبلوتو ونبتون ، مثل تأثير الجاذبية المتبادلة بين الكواكب ، وتأثير القرب أو البعد عن الشمس على شكل المدار وعلى محيطه . أما عن الاستنتاج الرابع ، فلا نجد للتعليق عليه خلفية علمية جيدة غير قائمة بسرعات انفلات الغازات من سطوح كواكب المجموعة الشمسية ، يخصص المؤلف بقية الفصل لبيان تفاصيل خاصة بكل كوكب على حدة كان قد تم التوصل إليها بفضل المراقب (التليسكوبات) الفلكية الحديثة . بحث المؤلف مسألة عدم وجود ماء على كواكب عطارد ، وذلك بالنظر إلى درجة حرارة سطحه وقوة جاذبيته ، وكذا افتقاده لبعض عوامل تواجد الماء على أرضه ، ثم انتقل إلى كوكب الزهرة ، فناقش باستفاضة تركيب الغلاف الجوى له ، والأسباب المحتملة التى عملت على حرمان هذا الكوكب من الماء ، وهو فى أثناء ذلك يحاول إثبات وجود الماء على كل الكواكب فى بداية تكوينها (فى المجموعة الشمسية) مستعينًا ببعض النصوص القرآنية لتدعيم فكرته هذه مثل (النازعات : ٢٧ ـ ٣٣) .

يتحول المؤلف بعد ذلك إلى توضيح بعض خصائص كوكب المريخ ، مثل درجة حرارة سطحه على مدار السنة ، وشواهد وجود جليد على مرتفعاته وكذا شواهد وجود حياة نباتية عليه ، كما يفند الآراء القائلة باحتمالية وجود كائنات عاقلة على هذا الكوكب . لم يبحث المؤلف أية خاصية جديدة مميزة لكوكب المشترى عن بقية نظرائه ، فلم يذكر غير بعض معلومات عن درجة حرارة سطحه وقوة جاذبيته ، والمواد التى يتكون منها بشكل أساسى ، وعن كوكب زحل لا نجد غير وصف يسير لحلقات الثلج والحبيبات الخشنة المحيطة به ، وما ذكره المؤلف عن الكواكب نبتون وبلوتو وأورانوس لا نجده قد تناول أى جانب جديد من جوانب الوصف لهذه الكواكب .

يشتمل الفصل الرابع على دراسة مستفيضة للإشارات القرآنية العديدة التى جاءت بشأن القمر ، ورؤية هذه الإشارات فى ضوء العلم الحديث . يتكون هذا الفصل من قسمين ، قسم يشمل عرضًا لبعض الآيات القرآنية عن القمر ووظيفته مثل (آية ٥ من سورة يونس ، آية ١٦ من سورة نوح ، آية ٣٩ من سورة يس ، آية ١٨٩ من سورة

البقرة، والآيتين ١ ، ٢ من سورة الشمس) بالإضافة إلى بعض أقوال المفسرين حول هذه الآيات، أما القسم الآخر فهو عبارة عن الأرضية العلمية التى يؤكد بها جوانب الإعجاز العلمى للآيات المذكورة فى القسم الأول. من أهم النقاط التى نقلها المؤلف عن المفسرين فى هذا الشأن استعمال لفظ «جعل» فى آية ٥ من سورة يونس، والذى يؤكد فكرة أن النور ليس خاصية ذاتية للقمر، ولكنه نتيجة انعكاس ضوء الشمس عليه، هذا بالإضافة إلى ما ذكره للأسماء التى كان يطلقها العرب على ثلاث ليال من كل شهر عربى، كما يوضح المؤلف بعض جوانب الحكمة الإلهية فى معالجة (أو معاملة) العقول البشرية المحدودة بمعارف عصرها. قام المؤلف بعد هذا البيان لبعض أقوال المفسرين باستخلاص عشرة استنتاجات وأتبعها بشرح لكل واحد على حدة. كان الاستنتاج الأول أن القمر يعكس ضوء الشمس فقط (ولا يضيء)» وتم التعليق عليه بسرد بعض الحقائق العلمية عن تركيب تربة القمر (من حيث نسب بعض العناصر وأنواع الصخور)، لكن المؤلف للأسف قد أهدر بقية التعليق فى خطابة لا تليق بالصرامة المرجوة الاتباع فى هذا المضمار (الإعجاز العلمى للقرآن)، تحول المؤلف بعد هذه الخطابة إلى استنتاجه الثانى، وهو أن القرآن يكشف عن الجانب الذى يتصل بنا أثره من القمر ولا نجده قد أورد جديدا؛ ذلك أنه لم يذكر سوى أثره فى حدوث المد والجزر، وأثره فى إبطاء سرعة دوران الأرض حول نفسها، والحاجة إليه فى تنظيم مواعيد الصيام والحج. لا أعتقد أن المؤلف قد حالفه التوفيق فى تفريقه بين استنتاجين مختلفين عنده هما: أن القمر يتطور فى صفحة السماء من الضآلة حتى الاكتمال، وأن للقمر منازل يسير فيها على مدار أيام الشهر القمرى، ولم يقم المؤلف فى إيضاح هذين الاستنتاجين بعرض علمى قوى، سوى أنه ذكر أن القبة الزرقاء ما هى إلا ظاهرة ضوئية، وذكر سبب هذه الزرقة، كما شرح عمليّا سبب مواجهة القمر للأرض بوجه واحد فقط.

عندما نطالع تعليق المؤلف على استنتاجه الخامس (وهو أن النظام الشمسى والقمرى يستخدمان فى ضبط الزمن وحسابه) نجده ينحصر فى الإثبات الحسابى لوجود فارق زمنى بين ثلاثمائة سنة شمسية، وثلاثمائة سنة قمرية مقداره تسع سنوات قمرية (آية ٢٥ ، و٢٦ الكهف). فيعلق المؤلف عليه ببعض الأرقام الخاصة بمدار الشمس الذى تجرى فيه ومقارنته بمدار القمر. ينص الاستنتاج السابع على أن للقمر

تأثيراً على الغلاف المائى للأرض، وقد أفاض المؤلف فى بيان هذا الاستنتاج فوضح كيف أن حركة المد والجزر الناتجين عن جاذبية القمر هى السبب فى إبطاء سرعة دوران الأرض حول نفسها، واختلاف الفرق بين منسوبى المد والجزر خلال الشهر القمرى، وكيفية حدوث الانتفاخين المائيين للمحيطات، كما يشرح المؤلف معنى «مد الأوج» وعكسه «مد الحضيض» وهو فى هذه الأثناء ينوه إلى صدق دلالة كلمة «اتسق» التى ذكرت فى سورة الانشقاق: آية ١٨، ثم يؤكد الوجاهة العلمية لما جاء فى الآيتين ٧١، و٧٢ من سورة القصص، وهو ما يشير إلى إمكانية تزايد الإبطاء فى معدل دوران الأرض إلى أن يصبح الليل والنهار سرمديين على الوجهين المختلفين للأرض. لا يدرج المؤلف أى تأصيل علمى لاستنتاجه الثامن، والذى ينص على أن القمر نستخدمه فى معرفة أيام الحج والصيام، وباقى أمور الدين والدنيا، لكنه يسرد بعض الحقائق المبسطة عن خسوف القمر الكلى والجزئى، وذلك فى تعليقه على استنتاجه التاسع (القمر آية إلهية لا ينخسف لموت أحد). ينتهى هذا الفصل بتأكيد الاستنتاج العاشر (وهو أن هناك أقماراً غير قمرنا فى المجموعة الشمسية وفى بقية الكون) وذلك بذكر عدد الأقمار التى تدور حول كل كوكب من المجموعة الشمسية، وتأكيد إشارة القرآن لذلك فى سورة نوح: آية ١٦.

يتمحور الفصل الخامس حول إجلاء بعض جوانب الإعجاز العلمى لآيات القرآن التى احتوت على دلالات خاصة بالشهب والنيازك، ويبدأ المؤلف هذا الفصل بإعادة كتابة الخطوات التى يسير عليها للغوص فى مجال الإعجاز العلمى للقرآن («المنهج الإيمانى للدراسات الجغرافية» حسب لفظ المؤلف)، ثم يستعرض بعض الآيات الخاصة بموضوع الفصل مثل (الصافات آية ١٠، والآيتين ٨٢، ٨٣، الذاريات الآيتين ٣٣، ٣٤)، وكالعادة ينقل لنا المؤلف مجموعة من تأويلات المفسرين للآيات التى ذكرها، وتحوى هذه المجموعة من النقول بعض المفاهيم اللغوية الاصطلاحية المهمة مثل كلمات «سجيل» و«منضود» و«مسوَّمة» و«أبابيل» و«عصف»، و«حاصب». يطلع علينا المؤلف من هذا الخضم من التأويلات بعشرة استنتاجات يعتقد هو أن الآيات القرآنية تشير إليها، وهى كالتالى: الشهب أجرام سماوية صغيرة تنتشر فى الطبقات العليا من جو الأرض، وترى بالليل بسبب وميضها الخاطف، الشهب لها مغناطيسية

خاصة تتعامل مع جاذبية الأجسام النارية (ومنها الجن حسب زعم المؤلف)، الشهب تزين السماء، وهى أجزاء من كواكب المجموعة الشمسية (أو الأجرام البعيدة)، نهاية صدام الشهب (مع الجان) تتم بعد احتراقها الغلاف الجوى، فتنتهى إلى تراب وغبار يهبط على الأرض، الأجرام السماوية قد تكون كبيرة الحجم نسبيًا وترسل من السماء عقابا للعاصين، تتمكن الأحجار السماوية (النيازك) من اختراق الغلاف الجوى إلى سطح الأرض (دون اشتعال) فتسبب الدمار للعاصين، الأحجار التى تسمى نيازك ترسل من السماء بقوة اندفاع لا قبل لأهل الأرض بها، علم الآثار والأحافير يشهد بصدق حدوث الدمار للمدن القديمة بطرق ليست من صنع البشر (المدن العاصية)، استمرارية سقطو أحجار السماء حتى اليوم محدثة من الدمار ما هو أشد من دمار القنابل النووية، وآخر هذه الاستنتاجات أن الغلاف الجوى هو درع الأرض لحماية البشرية من مخاطر النيازك والشهب الكثيرة الاتجاه ناحية الأرض. يعلق المؤلف على أول استنتاج بتعريف الشهاب، وذكر لبعض الآراء حول منشأ الشهب والتفرقة بين الشهاب والمذنب، وكذا الفرق بين الشهاب والنيزك، كما يبين منشأ الغبار الجوى الذى يستبعد بشدة كونه ناتجًا عن غبار احتراق الشهب. ينتقل بعد ذلك إلى التعليق على الاستنتاج الثانى والذى يتضمن بعض الشواهد العلمية (مثل التركيب الكيميائى) والتفسيرات النظرية لكيفية تكون الشهب مع عرض لأهم ما توصل إليه العالم راينهارت فى فحصه لمنطقة سقوط نيزك أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومؤكدًا للصفة المغناطيسية لأجسام الشهب. لا يتعدى تعليق المؤلف على استنتاجه الثالث أكثر من ذكر لبعض أهم الحوادث التى ظهرت فيها الشهب وهى تحترق فى الغلاف الجوى الأرضى، مع ذكر لأيام السنة، والفترات التى تشهد احتراق أكبر كمية وأقل كمية من الشهب للغلاف الجوى، يشتمل التعليق الخاص بالاستنتاج الرابع على تفصيلات كثيرة بشأن احتراق الشهب فى السماء الدنيا، مثل ارتباطها بمعدلات سقوط الأمطار (ويفصل المؤلف فى كيفية حدوث هذه العلاقة) كما نجد التفاتة مهمة لضرورة وجود بخار الماء فى الغلاف الجوى وأهم أسباب التقليل من هذا البخار فى طبقات الجو، وخطورة ذلك، هذا بالإضافة إلى بيان أثر اقتراب وابتعاد المذنبات عن الشمس من حيث تركيبها وتكون ذيلها، كما يتضمن التعليق تقسيم العلماء لأنواع المذنبات وتوضيح لـ «نظرية كرة الثلج القذرة» الخاصة بها لا يوازى فى تعليقى الاستنتاجين

الخامس والسادس مناقشة لأية نقاط ذات أهمية غير مقارنة لبعض أحجام النيازك المختلفة وبعض معلومات عن حادثة سقوط نيزك «تايجا» (اسم منطقة فى الاتحاد السوفييتى البائد). يخوض المؤلف فى تعليق الاستنتاج السابع فى أمر احتمالية وجود مخلوقات غير مرئية تبطل مفعول الاحتكاك بالنسبة للنيازك وذلك لاستعمالها كعقاب من قبل الله، وهذا أمر لا يجدر به مناقشته في مجال الإعجاز العلمى للقرآن؛ لأن هذا المجال لا يعترف إلا بالحقائق العلمية والبيانات القرآنية الصريحة. يتكون تعليق الاستنتاج الثامن من آيات قرآنية ونتائج بحثية جيولوجية وتاريخية، بالإضافة إلى نصوص توراتية تتعلق جميعها بقصة تدمير قرية قوم لوط، ويحاول المؤلف فى هذا التعليق أن يثبت لنا فكرتين هما: أن موقع قرية قوم لوط هو منطقة البحر الميت، كما أن الطريقة التى أبيدت بها الحياة البشرية فى هذه المنطقة (فى العصر الذى يعتقد العلماء أن سيدنا لوط كان يعيش فيه) تشير إلى تدخل قوة خارجة عن قدرات البشر هى التى كانت السبب فى هذه الإبادة المبرمة. بقتصر تعليق الاستنتاج التاسع على سرد لبعض نتائج اصطدام نيزك بمنطقة المستنقعات النائية بشمال سيبيريا. يختم المؤلف التعليقات الخاصة باستنتاجاته العشرة آنفة الذكر بعرض لأهم الوظائف التى يقوم بها الغلاف الجوى، والتى تعد من أهم مقومات الحياة البشرية على الأرض، بالإضافة إلى بيان مفهوم «القبة الزرقاء»، وأهم المخاطر الكونية التى تحدق بسكان الأرض وتكاد تفتك بهم لولا الغلاف الجوى.

عكف المؤلف على دراسة قضية «كروية الأرض» فى القرآن والعلم الحديث، وذلك فى الفصل السادس، وعلى غير عادته فى الفصول السابقة فقد اختار أن يكون القسم الأول فى الفصل عبارة عن سرد لأهم محاولات العلماء عبر التاريخ لإثبات كروية الأرض، فبدأ بمحاولة الفيلسوف اليونانى فيثاغورس، ثم ذكر محاولة أرسطوطاليس التى اعتمد فيها على خطوط عرض البلدان، ثم عرض بعد ذلك أدلة اليونانيين (دون ذكر لأصحاب هذه الأدلة) مثل دليل تأخر طلوع الشمس على البلدان الغربية عن البلدان الشرقية، وأتبع المؤلف ذلك بسرد آخر لبعض المحاولات التاريخية لقياس محيط الأرض، مثل محاولة أودكس اليونانى، ومحاولة أيراتوستينس ومحاولة بسيدونيوس ومحاولة العالم المسلم البيرونى (التى كانت أقربهم إلى الصواب بفارق

بسيط نسبيًا عن القياس العلمى الحديث)، ونرى المؤلف قد توقف قليلاً عند بعض أدلة البيرونى على كروية الأرض مثل تحدب خط الزوال، واختلاف طول نهار اليوم من مكان إلى آخر، بعد كل هذا يبدأ المؤلف فى عرض بعض تنويهات القرآن المباشرة لكروية الأرض مثل (ق آية ٧، والنازعات آية ٣٠) مع سرد لبعض تفصيلات المفسرين لهذه الآيات كمفهوم «الدحو» ومفهوم «الطحو»، ثم ينتقل المؤلف إلى التنويهات غير المباشرة (مثل النبأ آية ٦، ٧)، ثم عاد لسرد بعض مجهودات العلماء التاريخية الخاصة بكروية الأرض مثل تجربة العالم والاس، ورحلات ماجلان الاستكشافية، ورحلات دكتور إكنر الألمانى. وقد حرص مؤلف الكتاب على لفت نظرنا إلى حكمة تعامل الرسول ﷺ مع النصوص التى تحوى إشارات إلى كروية الأرض وكيفية مراعاته لعقول بنى عصره. من أهم ما ورد فى هذا الفصل من أقوال الأقدمين المسلمين فى شأن كروية الأرض هو الاستنتاج المنطقى الذى أعده الفقيه ابن حزم، والذى كان قوامه آية التكوير (الزمر آية ٥) مع التجربة العملية (أو الملاحظة) المعاشة بشكل يومى، وهى ضبط مواقيت الصلاة فى البقاع المختلفة - يجتهد المؤلف فى إيضاح أسباب ذكر مشرق ومغرب واحد فى بعض الآيات، وذكر مشرقين ومغربين فى آيات أخر، وذكر مشارق ومغارب بصيغة الجمع فى آيات أخر.

عمد المؤلف إلى بحث بعض إشارات القرآن الخاصة بدوران الأرض فى الفصل السابع، وقد بدأ بإظهار القوة الدلالية للفظ «يكوِّر» (الزمر آية ٥)، ثم ذلك بعض الآيات مثل (آل عمران آية ٢٧، الحديد آية ٦، وفاطر آية ١٣) التى تورد فكرة إيلاج الليل بالنهار والعكس، والتى فى رأى بعض المفسرين أنها خير إشارة إلى تداخل الليل والنهار أحدهما فى الآخر من جهة الطول والقصر، كدلالة على تتابع ا لفصول الأربعة الناشئة عن حركة الأرض حول الشمس. يتحول بعد ذلك المؤلف إلى مناقشة لفظ «الميد» فى آية ١٠ من سورة لقمان، ويخرج من هذه المناقشة بخلاصة مفادها: تماثل كتلة الأرض بالنسبة لمحورها كجانب من جوانب الإعجاز العلمى فى هذه الآية، ثم عود مرة أخرى ليستفيض فى شرح آيات الإيلاج، وهو خلال هذه الاستفاضة يذكر حركة الشمس الظاهرية السنوية ما بين خطوط العرض المختلفة مع ذكر تاريخ اليوم لكل حركة ظاهرية، كما يبين المؤلف كيف أن اختلاف مواعيد الصلاة بين يوم وآخر فى

نفس المكان هو خير دليل على دوران الأرض حول الشمس (وذلك لدخول الليل فى النهار والعكس)، ثم يعود مرة أخرى إلى تفصيل حركة الشمس الظاهرية على مدار السنة ما بين دوائر العرض المختلفة، مع بيان الآثار البيئية التى تنتج عن هذه الحركات الظاهرية للشمس فى البقاع المختلفة على وجه البسيطة. يتحول المؤلف بعد هذا إلى مفهوم آخر لدوران الأرض، وهو دورانها حول نفسها، فيدرس ألفاظ الآية ٥٤ من سورة الأعراف (لفظى «يغشى» و«حثيثا») ويتوصل إلى أن هذه الآية تحوى إشارة إلى دوران الأرض حول نفسها، وأن سرعة هذا الدوران كانت أكبر بكثير فى أول بداية خلق الأرض، وهذا ما يتفق مع المستجدات العلمية الحديثة، كما ينقل لنا تفسير العلماء الفلكيين لحدوث هذا التباطؤ فى دوران الأرض حول نفسها. اهتم مؤلف الكتاب بفك مغاليق بعض الألفاظ فى آية ٨٨ من سورة النمل، وبربط أقوال المفسرين المختلفين بعضها ببعض، وخلص من هذا المجهود ببعض النتائج التى كان من أهمها: أن الجبال أجزاء بارزة من الأرض، وإذا كان الكل متحركا (أى الأرض) فعلى الجزء (أو الأجزاء) الذى ينتمى إليه أن يكون كذلك، قصور آليات الحس عند الإنسان عن إدراك حقائق الكون الكبرى بالمقارنة بالأدوات التى يخترعها هو لتعويض هذا القصور، وأن دوران الأرض حول نفسها هو سبب تعاقب الليل والنهار، وأن دورانها حول الشمس هو سبب الفصول الأربعة.

«التاريخ الجيولوجى للأرض» كان هو عماد الفصل الثامن، وقد رأى المؤلف أنه من الضرورى أن يؤكد على دعم الإسلام لجهود البحث عن أصل تكوين الأرض وبداية خلقها، ثم يبدأ المقارنة بين مصداقية بعض نصوص التوراة وآيات القرآن مثل (العنكبوت آية ٢٠، النازعات آية ٢٧ ـ ٣٠، وفصلت آية ١٢) عند مواجهتها بحقائق العلم ليصل بشكل منطقى إلى انفراد نصوص القرآن التى تخوض فى شأن بداية الخلق وتكوين الأرض بالمصداقية العلمية عن كل النصوص الخاصة بالديانات الأخرى. عمل المؤلف أيضًا على توضيح تقنيتين مهمتين وأساسيتين فى مجال علم الأرض (الجيولوجيا) تستخدمان فى دراسة عمر أية صخرة أو حفرية يتم العثور عليها، التقنية الأولى تعتمد على قياس نسبة اليورانيوم المشع المتبقية فى الحفرية، والتقنية الثانية تعتمد على قياس نسبة الكربون المشع (ك ١٤) المتبقية فى الصخور، وحفريات الأشجار المتفحّمة، كما ينبه إلى عدم صلاحية التقنية الأخيرة فى قياس عمر الأرض وذلك

لأسباب يشرحها هو، ثم يتبع ذلك بنبذة عن فكرة حساب عمر الأرض، عن طريق قياس كمية اليورانيوم المشع الموجودة فى صخور النيازك التى سقطت على الأرض ومقارنتها بنسبته فى أقدم صخور الأرض.

أفرد مؤلف الكتاب بقية هذا الفصل فى سرد لأهم ما يتميز به كل عصر جيولوجى من العصور الجيولوجية الأقدم وحتى آخر عصر جيولوجى نعيش فيه، وكان ترتيبها كالتالى: الزمن الأركى (أو «ما قبل الكمبرى»)، وكان أهم ما يميزه تكون القشرة الخارجية للأرض من صخور الجرانيت النارية، يليه الزمن الباليوزوى والذى ينقسم إلى العصر الكامبرى والعصر الأردوفيشى (وكان أهم ما يميزهما ظهور أنواع الأسماك المختلفة والبرمائيات والزواحف)، ثم العصر السيلورى (والذى يتميز ببدء ظهور الالتواء الكاليدونى وانتشار النباتات عديمة الأزهار) وبعده العصر الديفونى، ثم العصر الفحمى (ويسمى أيضا العصر الكربونى، واشتق هذا الاسم نتيجة لتكون طبقات من الفحم بدرجة هائلة خلاله) وبعده العصر البرمى، بعد ذلك عصور الزمن الميزوزوى (الحياة الوسطى) وتنقسم إلى العصر الترياسى (والذى تظهر فيه الطيور والحيوانات البرية ذات الهياكل الضخمة)، ثم العصر الجوراسى (ومعظم أراضى هذا العصر بحرية التكوين والنشأة)، وبعده العصر الطباشيرى (وأهم سماته ظهور النباتات الزهرية وانتشار الديناصورات بشكل مخيف)، ثم ننتقل إلى عصور زمن الحياة الحديثة، وهى عصر الأيوسين (والذى تزدهر فيه الثدييات مثل الكانجارو، وتقل فيه الرخويات بشدة)، وبعده عصر الأوليجوسين، فعصر الميوسين (وأعظم ما شهر هذا العصر هو نمو المخ للكائنات الحية من الثدييات)، ثم عصر البليوسين (ويتسم هذا العصر بتشابه أشكال الثدييات فيه إلى حد كبير بثدييات عصرنا الحالى)، وفى النهاية عصور الزمن الرابع وهى عصر البليستوسين (ويمتاز بانتشار الجليد وانتهاء حفر الأنهار لوديانها) ثم العصر الحديث وهو الدور الجيولوجى الذى نعيش فيه. أنهى المؤلف هذا الفصل بعرض لاستنتاجات بدرت إليه من خلال الآيات التى كان قد ناقشها فى أول هذا الفصل، وكان من أهمها: أن السير فى الأرض ورؤية آيات الله فى الآفاق تساعد الإنسان على تحرره من التعبد للمخلوقين، كما أن القرآن كان الأسبق فى إرشاد البشرية إلى أعظم منهجية يمكن بها قراءة الماضى من سجل الرسوبيات والحفريات.

يُعد الفصل التاسع أكبر الفصول حجمًا فى هذا الكتاب (وهو فى نحو مائتى

صفحة)، وقد بحث فيه المؤلف موضوع قشرة الأرض من الناحية العلمية ومن الوجهة القرآنية. ينقسم هذا الفصل إلى جزأين، الجزء الأول (وهو الأصغر) يبدأ بعرض الآيات القرآنية ذات الدلالات العلمية الخاصة بقشرة الأرض متبوعًا بكثير من النقول عن أمها - كتب التفسير توضيحًا وتجلية لغوامض هذه الآيات، ثم ينتهى هذا الجزء بملخص لأهم استنتاجات المؤلف من هذه النقول والمقتطفات التفسيرية، أما الجزء الثانى (وهو الأكبر من هذا الفصل) فهو عبارة عن التأصيل العلمى للاستنتاجات آنفة الذكر، ذكر المؤلف العديد من آيات القرآن الخاصة بموضوع الفصل، ومنها آية ١٠ - ١٣ من سورة الزخرف، وآية ٥٣ من سورة طه، وآية ٤١ من سورة الرعد وآية ١٩ من سورة الحجر، وآية ١٦ من سورة النحل، وآية ٢٧ من سورة فاطر. أما عن الاستنتاجات التى استنبطها مؤلف الكتاب من هذه الآيات (كعصارة أقوال المفسرين القدامى والمحدثين) فهى كالتالى:

- قشرة الأرض هى الجزء الرقيق منها، وهذه القشرة منقوشة بعوامل التعرية ومحفورة بالأودية والمسالك والأنهار.

- قشرة الأرض مكونة من مواد بنسب مختلفة؛ ولذلك نجد منها الرخوة والصلبة والرملية، وبقاع الأرض التى تشكل سطح القشرة منها الأحمر والأبيض.

- قشرة الأرض تجود بمختلف الثمار والنباتات.

- قشرة الأرض مسرح مجموع غفيرة من الدواب.

- قشرة الأرض مثبتة بجبال راسخة جعل الله فيها مسالك وأودية وأنهارًا.

- عوامل التعرية مسخرة من الله لنحت الجبال وهدم أطرافها.

- تتمثل عمليات إنقاص الأرض من أطرافها وجهين محتملين هما:

(أ) إزالة أجزاء من مرتفعات سطح الأرض بالنحت والنقل والترسيب.

(ب) هبوط بعض الشواطئ تحت سطح البحر وتغطيتها بالماء.

- عمليات جعل الأرض ذلولا قدرة إلهية فائقة قصدت إعداد الأرض للحياة وتهيئتها لاستقبال الإنسان.

- كانت الأرض فى فجر النشأة وعرة متضرسة السطح .

- سخر الله الجبال لمنفعة الإنسان ولحفظ الأرض من الاضطراب .

- هذه الرواسى (الجبال) الملقاة على الأرض تصاحبها الإشارة أحيانًا إلى النبت الموزون .

- جعل الله الجبال الالتوائية العالية المنغرسة فى قشرة الأرض تعمل عمل الأوتاد .

- للماء أثر كبير فى تشكيل قشرة الأرض وتحويلها إلى قطع متجاورات ملونة بالأخضر (لون المناطق النباتية) .

- سبق القرآن إلى الكشف عن وظيفة الجبال فى تحقيق توازن القشرة الأرضية .

- بين نزول المطر وجريان الأنهار علاقة بالجبال الشاهقة .

- بعض الجبال لها أهمية دينية .

يبدأ الجزء الثانى من هذا الفصل بالتعليق العلمى على الاستنتاج الأول ويتضمن توضيحًا لأهم خصائص كل طبقة من طبقات الغلاف الصخرى (الوشاح الصخرى) وتعريف كل من «قشرة الأرض الحديدية»، و«القشرة الصحراوية»، ومنشأ هذه الجبال وأهم النماذج المعروفة فى العالم من هذه النوعية، مع تفصيل فى شأن الوديان والممرات التى تخترق هذه الجبال، وكذا تفصيل فى مصداقية الدلالة للفظ «ألقى» فى آية ١٦ من سورة النحل فى ضوء المكتشفات العلمية، وبعده يذكر أهم مراحل تكوين هذه الجبال (الالتوائية الحديثة). يلى هذا حديث عن الجبال الالتوائية الهرسينية وكيفية تكونها، وأشهر الأمثلة عليها (مثال جبال الأبلاش فى أمريكا الشمالية). أما عن تعليق الاستنتاج السادس فهو ليس أكثر من تكرار لموضوع العمليتين المؤثرتين فى تشكيل سطح قشرة الأرض والمتضادتين فى الفعل وهما: التعرية وحركات القشرة. يناقش مؤلف الكتاب فى تعليقه على الاستنتاج السابع الوجهين المحتلمين لعمليات إنقاص الأرض من أطرافها (الرعد آية ٤١) وهما: إزالة أجزاء من مرتفعات سطح الأرض بالنحت والنقل والترسيب، أو هبوط بعض الشواطئ تحت سطح البحر وتغطيتها بالماء، ويبدأ هذا التعليق بتوضيح للكيفية التى تنقص بها المياه الجارية من أطراف

الأرض (كما يفرق بين التجوية الميكانيكية والتجوية الكيميائية ثم ينتقل المؤلف إلى الكيفية التى تنقص الرياح بها من أطراف الأرض مما جعله مدفوعا إلى التوقف قليلاً عند مفاهيم معينة مثل النحت والنقل والإرساب، ويتبع ذلك بدور الجليد فى الانتقاص من أطراف الأرض، وفى هذه الأثناء تطرق المؤلف إلى مفاهيم «الصخور التائهة» و«الجلاميد الصلصالية» و«الوديان المعلقة» والبحيرات الحلبية و«الفيوردات». تناول المؤلف فى تعليقه على الاستنتاج الثامن ثلاثة عوامل رئيسة جعلت الأرض ذلولا (الملك آية ١٥) صالحة لحياة الإنسان وهى: إخراج الماء من باطن الأرض (أى تكوين الماء اللازم)، وإخراج المرعى، أى تكوين عناصر معينة فى الأرض بمقادير محددة من الله، والعامل الثالث هو إرساء الجبال الشوامخ حتى تصير الأرض هادئة دون «مَيْد» (لقمان آية ١٠)، وقد وضح المؤلف فى تفصيله للعامل الثالث أوجه التشابه بين رسو السفينة ورسوّ الجبال. لا نجد أى جديد فى أفكار التعليق على الاستنتاج التاسع، مما يجعلنا ننتقل سريعًا إلى تعليق الاستنتاج العاشر، ونطلع فيه على بيان مطول لأنواع الجبال فهى جبال صخرية، وجبال هشة السطح، وجبال شامخة تصيد المطر وتجمع الثلج، وعند تحولنا إلى الاستنتاج الحادى عشر لا نقرأ أكثر من ذكر لبعض المعلومات حول التوزيع الجغرافى للنباتات فوق الجبال المختلفة فى أنحاء العالم. أهتم مؤلف الكتاب بإبراز جوانب التشابه بين الجبال فى شكلها وتركيبها، وبين الأوتاد، وذلك فى تعليق الاستنتاج الثانى عشر، فاعتبر الخيمة التى يحافظ على بقائها الوتد هى الغلاف الجوى بالنسبة للجبال، واعتبر الجبال نفسها هى العواميد التى ترفع القبة الجوية مما دفعه إلى وصف سور الجبال الذى هو على شكل حرف B بالإنجليزية بذكر أسماء السلاسل الجبلية المكونة له وارتفاعاتها. وما حدث فى تعليق الاستنتاج التاسع من تكرار للأفكار حدث أيضا فى تعليق الاستنتاج الثالث عشر، إلا أن تعليق الاستنتاج الرابع عشر قد حوى الكثير من الجوانب العلمية مثل فكرة «خط التوازن» الموجود فى عمق القشرة الأرضية ونظرية «زحزحة القارات» وأهم النقاط التى تقوم عليها نظرية العالم الأمريكى تايلور (١٩٠٨) ثم أسس «نظرية فجنر» عن أصل الجبال والمحيطات، وبعدها شرح ميسر لنظرية «الجاذبية الحجرية». ناقش المؤلف نوعية وشكل الصلة بين الجبال الشامخة ونزول المطر التى أشار إليها القرآن فى تعليق الاستنتاج الخامس عشر، ثم تحول إلى الأهمية الدينية لبعض الجبال (وهو الاستنتاج الأخير للمؤلف) موضحًا بعض جوانب آثار الصدوع على الظاهرات الجيومورفولوجية لقشرة الأرض.

الكتاب الرابع

«تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم»

تأليف: الأستاذ عبد المنعم السيد العشرى **عرض: أ. د. كارم السيد غنيم**

كتاب **«تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم» لمؤلفه الأستاذ عبد المنعم السيد عشرى**، ظهرت طبعته الأولى فى مصر وقامت بنشره الهيئة المصرية العامة للكتاب خلال (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، وهو يقع فى (٣٢١ صفحة) من القطع الكبير، ويضم مقدمة قصيرة وسبعة فصول (أو مقالات على حد تعبير صاحبها). ثم صفحة واحدة ذكر فيها سبعة مراجع فقط، وانتهى الكتاب بفهرس للموضوعات، كذلك احتوى الكتاب على ٣٥ صورة فوتوغرافية و ١٢ شكلاً توضيحيًا. وجاءت فصول الكتاب بالعناوين التالية: **الآيات الكونية فى القرآن الكريم، الأرض، السحاب، المطر، النبات، الحيوان، الإنسان، والسماء**. وكان أقصر فصول الكتاب الفصل الأول، وأطولها الفصل السادس. والمؤلف من الذين مارسوا تدريس علم الفيزياء فى الكليات والمعاهد العلمية قرابة أربعين عامًا، وله كتاب صدر قبل الذى نحن بصدده الآن، هو **«الكواكب والنجوم والمجرات»** قامت بنشره نفس الدار. ثم هو قد تفرغ بعد إحالته على المعاش لإخراج الكتاب الحالى، والذى جاء ثمرة لتخصصه العلمى وحميته الإسلامية، فذلك واضح من مقدمة الكتاب التى لا تتعدى الصفحتين، بيّن فيها المؤلف الدوافع التى دفعته إلى تأليف هذا الكتاب والهدف الذى ينشده من ورائه. أما الدوافع فإيمانية نمت يومًا بعد يوم خلال عمله التخصصى، وأما هدفه فهو السعى إلى

(إظهار أن كل ما فى الوجود من أصغره إلى أكبره . . من الإليكترون إلى المجرة . . من الفيروس إلى الإنسان . . كل هذه المخلوقات من أدقها إلى أعظمها دليل على أن خالقها أجل من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين . **وبهذا يلتقى العلم والقرآن . . .**)، ثم أوضح المؤلف خطته المتبعة فى تناول مسائل الكتاب حيث تعهد بتبسيط المعلومات، والمعارف الكونية؛ كى يستطيع القارئ استيعابها، ثم يتبع ذلك بذكر بعض الآيات القرآنية التى تشير إلى تلك المسائل، ويسوق شروح المفسرين لها . ملتزمًا بمنطق الآيات القرآنية ومعانيها والسياق الذى وردت فيه، وهذا دفعه إلى ربط الآيات محل الدراسة بالآيات التى قبلها مباشرة .

جاءت المقالة الأولى (أو الفصل الأول) فى حوالى عشرين صفحة عن «**الآيات الكونية فى القرآن الكريم**» . وتضمنت العرض عناوين جانبية هى : استخلاف الله الإنسان على الأرض ـ الجزاء على قدر العمل ـ دين الفطرة ـ الحقائق الكونية والعلمية فى الآيات القرآنية ـ القرآن ـ منزلة العلم فى القرآن الكريم ـ العلم ووسائل تحصيله ـ الإنسان مستصلح للدارين . وقبل أن نبين مضمون هذا الفصل نلاحظ أن كثرة العناوين الجانبية تفتت الموضوع، وتضعف من الترابط الفكرى له . وقد تناول هذا الفصل الآيات التالية :

(١) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة : ٣٠، ٣١) .

تكلم المؤلف فى شرح هاتين الآيتين مستمدًا ذلك من تفاسير مشهورة، ثم استخلص أن الله ـ تعالى ـ علم آدم الأجناس التى خلقها، وألهمه معرفة ذواتها وخواصها وصفاتها وأسمائها، ثم عرض مجموعة تلك الأشياء على الملائكة، فلما عجزوا عن أن ينبئوا بأسمائها أصبحوا فى موقف التسليم بأن آدم عليه السلام إنما خلق مستخلفًا فى الأرض . وتدل الآيتان أيضًا على فضل العلم؛ إذ لو كان هناك أفضل منه لأظهر الله فضل آدم به، فالعلم هو القوة التى تحقق للإنسان الغرض من استخلاف الله له على الأرض، ولا يخفى على أحد ضرورته فى كل مناحى الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وارتقاء وحضارة وغيرها .

وإذا كان الغرض من خلق آدم هو الاستخلاف فى الأرض، فإن الابتلاء هو خير وسيلة لأشرف غاية، فإن الإنسان لا تكتمل لشخصيته الإنسانية ذاتيتها المستقلة إلا بقدر ما يتصارع فى نفسه من نوازع الخير والشر، وبقدر ما يعانيه من التجارب والمقاساة، وما يغالبه من مشاق ومتطلبات الحياة. جاء الناموس الإلهى، وهو استخلاف الإنسان فى الأرض، ومعه ناموس إعطاء الجزاء على قدر العمل، وهو أساسًا فى الآخرة، إلا أن الله يظهره ولو جزئيًا فى الدنيا.

أما كون الدين الإسلامى هو دين الفطرة، فالفطرة أولاً ليست عقلاً صرفًا ولا عاطفة محضًا، بل هى مزيج منهما، فلا غلبة لأحد الجانبين على الآخر، وهنا تكون الفطرة سليمة، تنشد الله وتعرف سبيلها إليه: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** (الروم: ٣٠).

عن الحقائق الكونية والعلمية فى القرآن، يوضح المؤلف أن القرآن يحفل بالآيات التى تنبه الأذهان إلى ظواهر الكون تدليلاً على بارئه ومصوره، وإظهارًا لعظمته وقدرته، وتبيانًا لرحمته بخلائقه.. وحثًا على اكتشاف الأسرار والقوى الكونية وتطبيقها وتسخيرها، واستغلال كنوز الكون وثرواته فيما يعود على الإنسان بالخير. ومن الآيات القرآنية الزاخرة بهذه المفاهيم أورد المؤلف الآيات: (الأنبياء ـ ٣٠ ـ ٣٣، السجدة ٤ ـ ٩، القمر ٤٩، الحجر ١٩ ـ ٢٢، فصلت ٩ ـ ١٢، البقرة ١٦٤، الرعد ٢ـ٤، فاطر ٢٧ ـ ٢٨، يس ٣٧ ـ ٤٠، القصص ٧٢ ـ ٧٣، الروم ١٧ ـ ٢٧، الفرقان ٥٣ ـ ٥٤، الأنعام ٩٩، يس ٧٨ ـ ٨٠، الواقعة ٥٨ ـ ٦٠، الواقعة ٦٨ ـ ٧٠، الواقعة ٧١ ـ ٧٤، الطارق ٥ ـ ٨).

بعد ذلك يعود المؤلف **ليتكلم عن القرآن، تعريفه ومحتواه وعظمته**، وفى معرض حديثه عن أن القرآن لم يفرط فى أمر من الأمور كبيرها وصغيرها إلا أحصاها، ودلل عليها ونبه الأذهان إليها، واستدل على ذلك بالآيات: (النحل ٨٩، الأنعام ٣٨، الروم ٥٨ ـ ٥٩، الأعراف ٥٢، العنكبوت ٤٩). بعد ذلك عرج صاحب الكتاب على بيان **منزلة العلم فى القرآن الكريم**، ثم تعرض لبيان وسائل تحصيله، وهى المذكورة فى

الآية القرآنية ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (النحل: ٧٨). إذًا فحواس الإنسان هى أجهزة العلم والتعلم وتدبر أمور الدنيا وكشف خباياها. وهذا المنهج القائم على منطق النظر والاستقراء هو المنهج الصحيح فى لغة العلم الحديث. ثم أشار المؤلف إلى أدوات المشاهدة الحسية وما استعانت به أجهزة علمية حديثة.

الفصل الثانى (أو المقالة الثانية) كان عن الأرض، واستغرق اثنتين وثلاثين صفحة، بدأه المؤلف بإعطاء نبذة عن الأرض، فلما انتهى منها اتجه إلى إيراد بعض الآيات القرآنية التى تتعلق بالموضوع، وساق شيئًا من تفسيرها مقتبسًا إياه من بعض كتب التفسير التى ذكرها فى نهاية الكتاب.

ما أهمية الأرض بالنسبة للإنسان؟ أو بمعنى آخر: ما هى أوجه انتفاع الإنسان بالأرض ومكوناتها فى حياته الدنيا؟ كانت الإجابة عن هذا السؤال هى صدر الفصل، حيث أكد المؤلف على ما هو معلوم بالبديهة من أن الأرض هى مقرّنا الذى نعيش فيه والذى ارتبطت به حياتنا. كيف ذلك؟ لأن من هوائها نتنفس نحن وسائر الأحياء، ومن مائها الذى يجرى فى أنهارها وبحيراتها وينابيعها نشرب ونسقى الحيوان والنبات، ومن زرعها... ومن بحارها... ومن باطنها... وفى دروبها.

يتجه المؤلف بعد هذه النبذة إلى تفصيل عدد من الأمور هى: شرح ضرورة وجود جو الأرض بهذه الصفات الطبيعية والكيميائية التى حددها له الخالق - سبحانه وتعالى -، وبعض العمليات المختلفة التى عمادها غاز الأكسجين. أولى هذه العمليات الحيوية التنفس، ما هو المقصود بالتنفس، وما أهميته بالنسبة لأى كائن حى، وكيف يتنفس الحيوان وكيف يتنفس النبات؟ بعد هذه الإجابات انتقل إلى عملية الاحتراق: ما هو المقصود بالاحتراق؟ ما أهم المواد القابلة للاشتعال على الأرض؟ ما هى الأركان الثلاثة التى يجب أن تتوفر لتتم عملية الاحتراق؟ وما أهم المواد القابلة للاحتراق، وكيف نستخرجها من باطن الأرض؟ ثانى الأمور الضرورية على سطح الأرض هو الماء: ما أوجه ضرورة الماء؟ ليس فقط للكائنات الحية، بل كذلك للعمليات غير الحيوية المتعددة والتى تتم فى كوكبنا الأرضى؟ ثالث هذه الأمور هو التربة: ما هو وجه الضرورة فى وجود تربة تغطى سطح الأرض؟ وما أهم مكوناتها؟ وما دخل ذلك فى نمو النباتات؟

ثم توسع المؤلف قليلاً فى مسألة النبات؛ فشرح أهمية الماء والأملاح والطاقة الشمسية فى عملية نمو النباتات، ثم اتجاه الإنسان إلى التفكير فى استخدام «الأسمدة» مختلفة الأنواع لتحسين خواص التربة لتنتج له إنتاجًا زراعيًا أكثر وفرة.

الأمر أو المسألة الرابعة التى حاول مؤلفنا عرضها مؤثرًا تبسيط الكلام فيها هى اتخاذ الأرض مصدرًا لبناء دور السكنى، وفى معرض حديثه تناول الإشارة إلى الطريقة العلمية فى تكوين الأحجار الجيرية المستخدمة فى بناء الدور. ثم بين أهمية ملح الطعام للإنسان وفى عدد من الصناعات. وبعده قفز إلى الحديث عن بعض الفلزات التى يستخرجها الإنسان من الأرض وهى مهمة وضرورية فى حياته، ومنها الحديد والنحاس والألمونيوم والذهب والفضة.

أما عن النصوص القرآنية التى وردت فى الفصل الحالى. فهى اثنا عشر نصًا، بدأه صاحب الكتاب بقول الله عز وجل: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** (الأعراف: ٥٤). وأوضح المؤلف الحكمة من ذكر لفظة «ربكم» فى صدر الآية، ثم قال فى معنى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام: أى: فى ستة أطوار مرت على الخليقة يعلمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ويجب أن نقف ـ أى نمسك ـ عن تحديدها، فإنها لم تحدد بأخبار صحيحة، ولا يعقل أن تكون الأيام الستة فى هذه الآية من جنس أيامنا، فإن هذه الأيام وجدت بعد خلق الأرض، ولا بد أن تكون من أيام الله التى يعلمها هو. فقد أبان الله ـ تعالى ـ عن يوم فى الآية (٤) من سورة «المعارج» بخمسين ألف سنة، وأبان عنه فى الآية (٤٧) من سورة «الحج» بألف سنة من أيامنا نحن. ثم أبان المؤلف عن الحكمة فى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وهو القادر على خلقهما فى لحظة واحدة بالأمر «كن» فتكونان ثم فصل معنى الاستواء فى قوله الله ـ تعالى ـ **«ثم استوى على العرش»** وإنه عمومًا يقصد به استقامة أمر السماوات والأرض وانفراده بتدبيرهما والتصرف فى شئونهما. ثم تكلم عن تعاقب الليل والنهار من منطلق القول الإلهى **﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾** (الأعراف: ٥٤)، وعالج الأمر من الناحية الفلكية. ورجع ليكرر

مقصود الاستواء على العرش، وذلك فى النص الذى يقول الله فيه: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ٩، ١٠). وخلال استرساله فى شرح هاتين الآيتين يقول: ثم إنه ـ تعالى ـ لما أخبر عن كونه خالقًا للأرض فى يومين أخبر أنه أتى بثلاثة أنواع من الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك، فقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ (فصلت: ١٠).

أما النص الثالث فيوضح أن المقصود بقول الله فيه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ (الحديد: ٤) هو ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ من معادن وعناصر وخامات وخلافه، وكذلك البذور، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزروع، والمعادن المختلفة، ومختلف المواد الجامدة والسائلة التى يستخرجها الإنسان من داخل الأرض. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من مطر، و﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من أبخرة. أما المعية فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: ٤) فالمقصود بها معية القدرة والإيجاد والتكوين والتصريف والتدبير.

وفى معالجته للنص الكريم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الحديد: ٦) يوضح أن المقصود بالإيلاج هنا هو جعل قصر الليل فى طول النهار وطول الليل فى قصر النهار، وهذا حادث فى الفصول المختلفة من الشتاء والصيف، ويختلف حسب خطوط العرض فى الفصل الواحد.

وبعد ذلك يقول المؤلف: «. . إن هذا القرآن الذى أنزل على محمد لا شك أنه من عند الله، فما هو بشعر شاعر، ولا سجع كاهن، ولا هو مما اختلقه محمد ﷺ.

فى النص الخامس عدَّد المؤلف ١٥ مظهرًا من مظاهر القدرة والحكمة والعظمة فى الخلق والتدبير والتصريف فى الكون منها: (١) قوله ـ تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ

الأَرْضَ﴾ أى: بسطها، فهى فيما ترى العين مبسوطة، ولا شك أن الأرض كرة، ولكن نظرًا لكبرها فإن أى جزء صغير محدود من سطحها تراه العين مسطحًا مبسوطًا. أما إذا التقطت صورة للأرض من موضع على بعد كبير منها، كمركبة فضاء، لظهرت أنها كروية. والمقصود من قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾** (الرعد: ٣) أى: جعلها متسعة ممتدة فى الطول والعرض لتثبت عليها الأقدام، وتمهد الطرق وتمد عليها خطوط السكك الحديدية، وتقام المبانى وتسير المركبات... ثم أورد كلامًا عن الجبال الرواسى، وفى نهايته يلخص القول: «... فالجبال إذًا مثبتات للقشرة الأرضية، فلولاها لاضطربت الأرض اضطرابًا عظيمًا وزلزلت زلزالاً شديدًا، فكأن الجبال حافظة لما تحتها مانعة له من الاضطراب والزلزال والثوران». ثم أوضح كيف جعل الله الأنهار فى الأرض، وأشار إشارة لطيفة، فقال: وقد جعلت الآية الأنهار بعد الجبال الرواسى؛ لأنها تنشأ منها، فالسحاب عندما يرتطم بقمم الجبال يبرد وتتجمع القطيرات الرفيعة المكونة له مكونة قطرات كبيرة تنزل مطرًا مدرارًا كما يحدث عند جبال الحبشة التى ينبع عندها النيل الأزرق مكونًا أحد روافد نهر النيل. وحاول المؤلف أن يعالج عملية الإخصاب فى النبات عند تناوله للجزء من الآية: **﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾** (الرعد: ٣).

فى صدر كلامه عن النص السابع (الحجر ١٩ ـ ٢٠) يقول الكاتب: سبقت هاتين الآيتين آيتان شرح فيهما المولى ـ عز وجل ـ دلائل سماوية فى تقرير التوحيد، حيث قال: **﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾** (الحجر١٦ ـ ١٧) ثم أتبع الدلائل السماوية بدلائل أرضية، فقال: **﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾** (الحجر ١٩ ـ ٢٠).

وفى النص العاشر (فاطر: ٤١) تكلم الكاتب عن إمساك السماوات والأرض فى قول الله ـ تعالى ـ: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾** ويشرح ناموس الجاذبية وبيان معناها، وبعضًا من أطراف المسألة.

فى النص قبل الأخير (النحل : ١٥) يبين أن النعم المذكورة هنا والتى يمتن الله بها على خلقه هى : ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً﴾ ، و«أنهارًا» ، و«سبلاً» . أما فى النص الأخير (النازعات : ٣٠ ـ ٣٣) فيكرر ما سبق أن أشار إليه فى عرض النصوص السابقة .

وفصل كهذا يحتاج إلى صور أو أشكال توضح بعض مسائله وتزيد الموضوع بيانًا ، فهو زاخر بالجبال ، ملىء بالأنهار ، غنى بالأزواج ، . . . وهو ما لم نجده ، عدا صورة واحدة ، أوضحت أهمية أملاح البوتاسيوم الموجودة فى التربة فى نمو النبات ، ولو أن موضعها اللائق هو فى الفصل الخاص بالنبات .

ومن الإنصاف أن نحمد للمؤلف صنيعه الجليل فى الإتيان ـ أحيانًا ـ بالآيات السابقة على كل نص من النصوص الاثنى عشر التى حاول معالجتها فى الفصل ، وذلك ليربط بينها وبين الآيات محل المعالجة ، وهذا أمر نوه إليه فى خطته العلمية لتناول الموضوعات الكونية ، ويأتى أحيانًا أخرى بالآيات اللاحقة لآيات النص المراد شرحه ، عساها أن تتم ما يريد ، أو تجلى الرؤية .

ومن حسناته أيضًا إكثار الاستشهاد بآيات قرآنية عديدة فى شرح النص الواحد . وهذه أمور نبه إليها علماء الدين عند التصدى للحديث عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، أو إن صح تعبيرنا : التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن .

فى المقالة الثالثة (أو الفصل الثالث) يتناول مؤلفنا موضوع (**السحاب والمطر**) ، مقدمًا له ـ كما فعل سابقًا ـ بنبذة علمية تتلوها معالجة تسعة من النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع .

بدأ المؤلف فصله بحديث عن بخار الماء فى الهواء محددًا طبيعته ، حيث يوجد مختلطًا بالهواء بكميات صغيرة أو كبيرة حسب الظروف . هذا البخار شفاف لا يرى . فإذا رأينا ضبابًا فى صباح يوم رطب فهذا الذى نراه ليس ببخار ماء ، ولكنه بخار تكثف إلى قطرات دقيقة من الماء . وعندما يتكثف البخار إلى ماء تتكون قطرات الماء حول دقائق صغيرة من هباءات الغبار المعلقة فى الهواء ، وتعتبر هذه الدقائق نويات لقطرات

الماء. ودقائق الغبار هذه توجد فى كل مكان، فهى توجد فوق البحار النائية، كما توجد فوق سفوح الجبال العالية.

وبعد ذلك تحدث المؤلف عن المصادر الطبيعية لبخار الماء، وتعرض لأهميته، ووصل إلى طريقة تكون السحاب، والفرق بينه وبين الضباب، فالأول فى طبقات عالية من الجو، بينما الأخير يتكون قريبًا من سطح الأرض. وفى معرض حديثه أشار إلى أنواع السحب، وهى: السحب الطباقية، والسحب الركامية، والسحب البيضاء، والسحب الممطرة، معطيًا فكرة سريعة عن كل نوع. ثم انتقل إلى تعريف المطر، وأشار بإيجاز إلى طريقة سقوطه، وذكر أربعة عوامل تسبب نزوله، وتكلم فى تقدير كميته، وتوزيع مناطق غزارته وندرته فى العالم. وفى نهاية هذا الجزء من الفصل تحدث فى فقرتين اثنتين عن الشحن الكهربى للسحاب ودوره فى حدوث البرق والرعد.

ساق صاحب الكتاب فى هذا الفصل نصوصًا قرآنية تتعلق بالسحب والأمطار، هى على الترتيب: (النور ٤٣، الحجر ٢٢، الواقعة ٦٨ ـ ٧٠، البقرة ١٩ ـ ٢٠، البقرة ١٦٤، الأعراف ٥٧، الروم ٤٨، الرعد ١٢ ـ ١٣، فاطر ٩).

فى النص الأول يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾** ويوضح المؤلف أن المقصود هو سوق السحب برفق إلى حيث يريد الله ـ سبحانه ـ ثم يؤلف بين قطع السحاب حيث تتقارب وتتجاذب نظرًا لاختلاف شحناتها الكهربية، ثم يتراكم فوق بعضه، وهذه الظروف تؤدى إلى حدوث البرق والرعد ونزول المطر.

أما عن الجزئية الخاصة بـ «البَرَد» فى الآية، فقد تكلم عن طريقة تكونه وسقوطه وأنواعه.

فى النص الثانى: **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾**. يصدر المؤلف معالجته العلمية بكلام لطيف جاء فيه: سبقت هذه الآية الكريمة آية أخرى يقرر فيها المولى ـ عز وجل ـ أن ما من شىء ينتفع به العباد إلا وعنده خزائنه. فخزائن ملكه مليئة بما يحبه الناس من النعم التى لا حصر لها. وهو لا يحبس ما فى خزائنه عن عباده، ولكنه يعطيهم إياها إذا بحثوا عنها وسعوا إلى كسبها من

وجوهها بحسب السنن التى وضعها، والنظم التى قررها . . . ثم فصل بعض ما فى خزائنه من النعم، فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ الآية. وَفَسَّر معنى اللواقح، وتحدث عن أسباب حدوث البرق، وحاول عقد مقارنة بين التلقيح الكهربى فى السحب والتلقيح النباتى.

فى النص الثالث يقول ربنا ـ سبحانه ـ: إنه لو شاء لجعل المطر النازل علينا أجاجًا، ولإيضاح ذلك استعاد المؤلف كلامًا عن توزيع الغازات فى جو الأرض ليصل إلى غاز النيتروجين، وأنه يمثل أربع أخماس التركيب الكيميائى للهواء، وأن الأكسجين يمثل خُمُسه. ومن خواص هذين الغازين أنهما يتحدان عند حدوث الشرارة الكهربية فى مخلوطهما ليكونا غازين هما أكسيدان من أكاسيد النيتروجين، اللذان عند اتحادهما مع الماء يكونان حمضين، وبذا يفسد طعم الماء. فلو أن التفريغ الكهربى الذى يسبق المطر تكرر فى الهواء تكراراً كافيًا لنتج عنه اتحاد النيتروجين مع الأكسجين مكونين الأكسيدين سابقى الذكر، ولذاب الحمضان الناتجان عنهما فى ماء السحب وحولاه ماء حمضيًّا لا يسيغه الناس. وهذا هو موضع المنّ الذى يمنّ به الله على الناس من أنه يكيف التفريغ الكهربى الذى يصاحب المطر بالقدر الذى ينزل به المطر ولا يؤجج به الماء.

فى شرح النص الخامس الذى يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ توسع المؤلف شيئًا ليبين عدة وجوه يدل بها جريان الفلك على وجود الصانع الأعلى ـ سبحانه وتعالى ـ وهى: خلق الخامات الأولية ووسائل صناعة السفن ـ خلق ظاهرة الطفو ـ خلق خاصية اطمئنان الإنسان لركوب البحر ـ خلق ناموس الحاجة المتبادلة بين أفراد الجنس البشرى وبعضهم البعض. ثم اتجه لبيان كيف أن إنبات الزرع بالمطر الهاطل من السماء يعتبر إحياء للأرض. وعن «تصريف الرياح» فى نفس الآية تعرض لأسباب حركة الرياح فى طبقات الجو، ثم عرج على تسخير السحاب، وانتهى إلى أن هذه الأمور الكونية الثمانية التى تناولتها الآية الكريمة لتدل دلالة قاطعة على وجود الصانع الحكيم ـ سبحانه وتعالى ـ وعلى كونه إلهًا قادرًا واحدًا.

فى النص قبل الأخير الذى يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)﴾، يبين المؤلف أن الله ـ سبحانه ـ ذكر قبل هاتين الآيتين مباشرة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾، فلما خوَّف الله ـ تعالى ـ العباد بإنزال ما لا مرد له أتبعه بذكر هاتين الآيتين، وذكر فيهما أمورًا أربعة تعتبر دلائل على قدرة الله ـ تعالى ـ وحكمته هى: البرق، السحاب الثقال، الرعد، والصواعق.

موضوع الفصل الرابع من هذا الكتاب هو «**النبات**»، وقد بدأه صاحبه بتفصيل حاجة كلٍّ من الإنسان والحيوان إلى النبات. وأشار إلى دور النبات فى دورة النيتروجين، ووعد بتفصيل هذه المسألة فى الفصول اللاحقة، ثم شرح دور النبات فى دورة الكربون فى الطبيعة. وبين كيف تتوقف بعض الصناعات على الخامات النباتية من مثل الفحم الحجرى وتقطيره.

بعد تلك العجالة العلمية (أو «العملية» كما يحلو للمؤلف مرارًا أن يسميها)، اتجه صوب الآيات القرآنية، فأورد منها النصوص الآتية: المؤمنون ١٨ ـ ٢٠، الحج ٦٣، الأنعام ١٤١، يس ٣٥، ٣٦، الواقعة ٦٣، ٦٧، ق ٧، ١١، النحل ١٠، ١١، طه ٥٣، ٥٤، الرعد ٤، السجدة ٢٧، الشعراء ٧ ـ ٩، الزمر ٢١، الواقعة ٧١ ـ ٧٤، يس ٨٠، البقرة ٦١، عبس ٢٤ ـ ٣٢. ونرى أنه من الملفت لنظر القارئ فى معالجة هذه النصوص أن المؤلف تعرض للأمور التالية: كيف أن نزول الماء من السماء هو السبب فى إنبات النبات، كيفية تراكب الحب فى سنبله، الفروق بين الزروع والثمار، وحكمة تقديم الأولى على الأخرى، وكيف تكون الثمار متشابهة، وفى الوقت ذاته غير متشابهة، وهذه كلها أمور وردت فى شرح النص الثالث.

أما قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ فلم يتعرض له المؤلف بمثل ما تعرض له فى كلامه عن النص الرابع.

عند شرح النص الخامس (يس ٣٥ ـ ٣٦) أوضح المؤلف أنه لعل من مقاصد قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أن يأكلوا من ثمر الجنات (الحدائق

والبساتين) مما عملته أيديهم من غرس وزراعة، أو مما صنعت أيديهم من شراب وسكاكر، ونشويات وما إليها.

وفى شرحه للنص الثامن الذى يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى - أنه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ نجد إشارة لطيفة جديرة بالتسجيل هنا، تلك هى أن الله - سبحانه - بدأ فى هذه الآية بذكر ما يكون مرعى للحيوانات، وأتبعه بذكر ما يكون غذاء للإنسان. وفى آية أخرى عكس هذا الترتيب، فبدأ بذكر مأكول الإنسان، ثم بما ترعاه سائر الحيوانات، فقال فى سورة طه (الآية ٥٤): ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾، والترتيب المذكور فى الآية المتقدمة ينبه إلى ضرورة اهتمام الإنسان بما تحت يده من أنعام. كذلك فهناك معالجة علمية لموضوع استمداد الإنسان الطاقة من الشجر الأخضر، وهو المنصوص عليه فى قوله - تعالى -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس: ٨٠) الذى جاء فى النص الخامس عشر فى هذا الفصل؛ حيث تعرض المؤلف لبيان أن الطاقة التى يحصل عليها الإنسان من الشجر هى فى الأصل طاقة شمسية، وأشار إلى الفحم المستخرج من باطن الأرض، وهو أشجار طمرت ومرت عليها عصور. وفى النص الأخير (البقرة ٦١) الذى يحكى قصة بنى إسرائيل مع سيدنا موسى فى التيه؛ أعطى مؤلفنا أفكاراً علمية عن نبات الثوم والبصل والعدس وفوائدها الطبية، ثم تعرض لمثل هذا بالنسبة للعنب عند شرحه للنص الأخير فى هذا الفصل.

وجاء الفصل الخامس من الكتاب الذى نحن بصدده عن «الحيوان»، وفى قسمه الأول عدّد المؤلف فوائد الحيوان، ومنها: الانتفاع من الماشية بـ (اللحم الأحمر، الألبان، الأسباخ)، ومن كلٍّ من الأغنام والماعز (اللحوم، الألبان الصوف، الأشعار الأنواع المختلفة)، ومن الدواجن بـ (اللحم الأبيض، البيض)، ومن الأسماك (البروتين، الدهن)، الانتفاع بكلٍّ من الإسفنج، والشعاب المرجانية، وأصداف الرخويات وغيرها من قواقع البحر، الانتفاع باللآلئ الطبيعية (وطريقة تكوين اللؤلؤة وأهمية اللآلئ وقيمتها)، انتفاع الإنسان من الحشرات خصوصاً دودة الحرير، ونحل العسل (أسهب المؤلف فى شرح فوائد العسل ومنافعه الصحية وفوائده الطبية للإنسان).

ينتقل بنا المؤلف بعد ذلك إلى النصوص القرآنية التى تتعلق بالموضوع، فيتناول فيها تسعة نصوص هى: (النور ٤٥، النحل ٥، ٨، النحل ٦٦، النحل ٦٨، ٦٩، الأنعام ٣٨، النحل ١٤، العنكبوت ٤١، ٤٤، النحل ٧٩، ٨٠، الرحمن ١٩، ٢٣).

النص الأول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾، ويوضح المؤلف أن هذه الآية الكريمة تتعلق بخلق الحيوان، وهى دليل من الدلائل على الوحدانية. وقد تقدمها دليلان آخران على وحدانية الله - تعالى -، أحدهما فى الآية (٤٩) الخاصة بتسبيح المخلوقات وصلاتها، والآخر فى الآية (٤٣) الخاصة بالسحاب والبَرَد والبرق، وفيهما إشارة إلى أهمية الماء للكائنات الحية، ثم بيان طرائق مشى الحيوانات، وشرح المؤلف فيها طريقة الحركة فى الزواحف. ولاحظ فى هذا النص الكريم قول الله فيه: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، ثم لاحظ قوله - تعالى - فى النص الثانى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٥ - ٨). وهو النص الذى وضح فيه منافع ضرورية للإنسان من الحيوان. وهنا أشار إلى ابتكار وسائل المواصلات الحديثة انطلاقًا من قول الله - تعالى -: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فإنها وردت بعد الخيل والبغال والحمير، ومن قبلها ذكرت الأنعام من إبل وبقر وغنم، فهو - سبحانه - الخالق لكل شىء، ومن خلقه العقول المفكرة والمخترعة.

فى النص الثالث تم إيراد كيفية تكوين اللبن من بين الفرث والدم، وفى الرابع تم شرح النظام العام فى خلايا النحل، وذكرت الأشكال المختلفة لأفرادها. . وانتقل بعده إلى شرح كيفية بناء النحل لخليته. ولم ينس المؤلف أن يتكلم عن جمع الرحيق وعملية ارتشافه وتحويله إلى عسل، ثم تعرض إلى تركيب العسل.

أما النص السادس وهو الخاص باللحم الطرى والحلية المستخرجة من البحار، فلقد تكلم المؤلف فيه عن **المرجان**، وأعاد كلامه عن **اللؤلؤ**؛ حيث إنه تعرض له بالتفصيل فى صفحات سابقة من نفس الفصل. وفى الفقرة الأولى من شرح النص الثامن فى صفحة ١٥٣ يقول المؤلف: «وقد سبق أن عرفنا أن جسم الطيور محور للطيران»، وشرح بالتفصيل كيفية طيران الطائر، ثم فصل الآراء فى دلالة تعبيرات قرآنية مثل

البحرين والبرزخ الواردين فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠)﴾ (الرحمن: ١٩، ٢٠).

وبعد ذلك نأتى إلى أكبر فصول الكتاب حجمًا وهو السادس فى الترتيب وموضوعه «**الإنسان**»، واستهله صاحبه بنبذة سريعة عن الإنسان، ثم فصلها حين تكلم عن تطور الجنس البشرى، فتناول الجوانب التالية: تنازع البقاء الحاصل على الأرض، وانقراض الحيوانات التى لم تملك قدرات تكيفية لمواجهة صروف الحياة العسيرة عبر الأزمان. آدم وحواء، السلالات البشرية المختلفة الأشكال والألوان، العوامل التى أدت إلى وصول الإنسان إلى المستوى الحاضر، آدم وحواء خلق خاص من خلق الله، بيان بعض قدرات ومواهب الإنسان، ما هو العقل؟ ما هى المدنية؟ هل القوة العاقلة المدركة فى الإنسان يمكن تحسينها؟ أوجه الشبه بين الإنسان والحيوانات المحيطة به، خصائص الجنس البشرى (البيولوجية المدنية)، تحديد موقع الإنسان فى عالم الأحياء من حوله، وبيان قدراته التكيفية مع ظروف البيئة المتغيرة. جاء خلق الإنسان بعد إجراء أحداث وتغيرات جسام فى كائنات الطبيعة، انقرض على أثرها ما انقرض، وبقى ما استطاع الحياة، ثم خلق الله الإنسان، مذهب الانتشار وأصل مدنية العالم، الكيفية التى بدأ بها الإنسان تعلمه. ومن الجوانب أيضًا: خصائص الباحثين والمكتشفين، معيار نجاح الاكتشاف، علاقة الإنسان بالبيئة والمجتمع فى صياغة شخصيته، وتحديد الشكل الحضارى له، الحجم التعدادى لأصحاب المواهب والعباقرة فى أى مجتمع، موقع اللغة فى موكب المدنية والحضارة، أثر اللغة فى المجتمع، أهمية الكتاب والكلمات فى حياة المجتمعات والناس عمومًا، الجوانب الروحية فى حضارة الإنسان ومدنيته، أنواع الخلق: الخلق الطبيعى ـ الخلق الحيوى ـ خلق النفس البشرية.

ويفهم من كلام المؤلف أنه قد سبق ظهور آدم وحواء على الأرض، نوع مختلف من البشر، وإذا كنا نطلق على البشر لفظ (بنى الإنسان) وهو شائع لدى الناس على اختلاف مشاربهم، إذًا فهناك إنسانان، إنسان قبل آدم وحواء، وإنسان ظهر بمهبط هذين الأبوين، فهل هذا كلام يرضاه العقل والدين، وهل فى الإسلام ما يشير إلى هذه الفكرة!! نعوذ بالله من هذا، وندعو للمؤلف بالمغفرة، كما أننا فى نفس الصفحة نجد

مؤلفنا ـ وهو صاحب خبرة طويلة بالعلم وصاحب همة دينية كما بان لنا من مقدمة الكتاب ـ قصة خرافية تحكى كيف حصل الفيل على خرطومه؟

عرض المؤلف فى هذا الفصل ستة و ثلاثين نصّا قرآنيّا تتحدث عن أحد عشر جانبًا من الجوانب المتفرقة فى الإنسان، فكانت النصوص التسعة الأولى متعلقة بخلق الإنسان، والنصوص الثلاثة التى تليها متعلقة بتعليم الإنسان وتعلمه، ثم تحدثت النصوص الثلاثة التالية عن مسئولية الإنسان عن أعماله ومحاسبته عليها، والنصان السادس عشر والسابع عشر أوضحا أن الإنسان خلق ضعيفًا، والنصان التاليان لهما بينا غفلة الإنسان عن المنعم ـ سبحانه ـ وكذا ظلم الإنسان لنفسه. أما النصوص الأربعة (من العشرين إلى الثالث والعشرين) فتتعلق بتناسل الإنسان وبيان أنه سنة لتعمير الأرض، والنصوص الثلاثة التى تليها تحدد علاقة الإنسان بوالديه. النصوص من السابع والعشرين حتى الثلاثين تعالج مسألة النفس البشرية. ثم تقررت حقيقة الموت فى النصوص القرآنية الثلاثة التالية، وأتبعها المؤلف بنصين يؤكدان حقيقة البعث، وانتهت النصوص كلها بنص يعطينا لقطات من أحوال الحياة الآخرة.

فيما يتعلق بخلق الإنسان، فإن الله ـ سبحانه ـ قد أبان عن أمور عديدة من هذا الموضوع نجدها فى نصوص قرآنية، منها ما أورده المؤلف: (ص ٧١ ـ ٧٤، الحجر ٢٦ ـ ٣١، البقرة، ٣٠ ـ ٣٤، الطارق ٥ ـ ٨، الشورى ٤٩، ٥٠، الحج ٥، المؤمنون ١٢ ـ ١٦، الزمر ٦، والتين ١ ـ ٤).

فى معالجة هذه النصوص، تعرض المؤلف لعديد من الأمور الخطيرة، وهل أخطر من خلق الإنسان، ومن قبله خلق السماوات والأرضين؟! بدأ صاحب الكتاب هذه الجزئية من الفصل بشرح (تكوين الإنسان) فكانت جوانب حديثه كما يلى: المادة الحية، الأولى (البروتوبلازم)، البناء النسيجى لجسم الإنسان، الخلية: الوحدة البنائية لجسم الإنسان، الأعمال الوظائفية للخلية الحية، أهمية الغذاء لحياة الخلية، التركيب الكيميائى لمحتوى الخلية، عناصر الجسم الأولية، عناصر تركيب التربة، ومن هنا خلص المؤلف إلى النتيجة الأزلية وهى أن الإنسان الأول، أى آدم عليه السلام، وكذا سائر البشر مخلوقون مما يتكون منه الطين. إذ إن العناصر التى يتكون منها الإنسان هى ذات العناصر التى يتكون منها؟.

ولما كان الطين جماداً لا حياة فيه، والإنسان كائنًا حيّا له كل مظاهر الحياة، وجب علينا التصديق بحدوث هذا الخلق بالقدرة الإلهية دون التفكير فى كيفية الخلق؛ إذ إنه حدث بطريقة غيبية فوق إدراكنا.

وهذه الغيبية استأثر بعلمها الله وحده، حيث يقول ـ عز من قائل ـ: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ....﴾ (الكهف: ٥١). ثم عرض المؤلف لسؤال خطير هو: هل خلق الإنسان حقّا من صلصال أو صلصال كالفخار، أو حمأ مسنون أو طين.

وفى إجابته عن هذا السؤال، يقول المؤلف فى ص ١٨١: « .. وليس من الواجب ـ بعد ما أوضحناه ـ أن نأخذ بحرفية الآيات، وأن نفهمها على ظاهرها، وأن نتصور أن الله ـ تعالى ـ قد خلق الإنسان من طين، ثم جعله صلصالاً وشكل منه الإنسان، إنما هذه الآيات تقريب للأذهان، ومثال يفهمه الناس بطريق الحس والخيال. وهنا نسأل: كيف يخول المؤلف لنفسه أن ينتهى إلى هذه النتيجة، وهو الذى أخذ يشرح عناصر الإنسان، وعناصر التربة بغية الوصول إلى أن أصل كليهما واحد، يعنى أن الإنسان خلق من طين؟!

ثم تكلم المؤلف فى هذه الجزئية ذاتها عن مراحل الخلق ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩) أى أن التسوية أولاً، ثم النفخ فى آدم، ثم الأمر بسجود الملائكة. وهذا السجود ليس عبادة، وإنما احترام وتوقير. ثم عند تعرضه للآيات ٥ ـ ٨ من سورة الطارق ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)﴾، أخذ يوضح المؤلف الصُّلب والترائب، ويشرح عملية الإخصاب فى الإنسان، ورسمها فى شكل إيضاحى، ثم فى النص التالى له؛ أخذ يشرح خلق الأجنة ذكوراً وإناثًا.

وفى النص السابع يشرح كيف أن الرحم فى الأنثى قرار مكين، ثم بعده يبين المقصود بالظلمات الثلاث، وشرح من أجل ذلك عملية تكوين الأغشية الثلاثة فى رحم الأنثى حول الجنين. أما النص الأخير والذى ذكر التين والزيتون.. فإنه شرح خواص هذه النباتات، على الرغم من أن الموضع هنا ليس موضعها!!

فى الجزئية الخاصة بمسئولية الإنسان عن أعماله ومجازاته عليها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، يتعرض المؤلف لنصوص قرآنية منها **﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾** (الإنسان: ١) ويوضح أن حياة الإنسان على الأرض لا تحتل إلا جزءاً يسيراً جدّاً إذا قيس بعمر الأرض، وحتى يبين ذلك تكلم فى المسائل الجيولوجية عن الكوكب الأرضى. وعندما وصل إلى بيان غفلة الإنسان عن المنعم الأعلى، وأن من صفات الإنسان الظلم، وأول من يقع عليه الظلم هى نفسه التى بين جنبيه، و يشرح المؤلف معنى **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾** (إبراهيم: ٣٤) بعرض مثالين: **المثال الأول**: تركيب الإنسان نفسه، فهو مكون من أجهزة، ولكل جهاز وظيفته، ثم **المثال الثانى**: اللقمة التى يتناولها الإنسان فى فمه، منذ الخطوات الأولى لنشأتها على الأرض، ثم تناولها، ثم هضمها والانتفاع بها فى جسده.

وفى صفحة ٢٥٢ تحدث عن النفس المطمئنة، وصفاتها الأربع، ثم فى الصفحة التى تليها تحدث عن النفس الإنسانية كما عرّفها علماء النفس. وعند التعرض لمسألة الموت أتى ببعض النصوص القرآنية التى تتحدث عن هذه الحقيقة، ثم أوضح أن الموت نوعان: الموت العادى، والموت العلمى، وهو لا يكون بتوقف الأجهزة والأعضاء عن أعمالها فقط، لكن يكون بموت جذع المخ.

واختتم الكتاب بفصل عن «**السماء**» يستهله المؤلف بنبذة عن السماء فيقول: نفتتح هذه النبذة بإلقاء بعض الضوء على جوانب الموضوع بعرض معانى السماء التى جاءتنا فى نصوص الكتاب الكريم؛ لعل فى عرضها ما يزيدنا بصيرة بالقرآن، ويجيب على ما يتردد فى أذهان كثير من الناس: ما هى السماء؟ وعند الإجابة على هذا السؤال شرح المؤلف أربعة معان للسماء:

١ ـ جاءت السماء بمعنى ما يعلو الإنسان: **﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾** (البقرة: ١٤٤). وهنا أبان كيفية ضيق الصدر حين الصعود فى طبقات الجو.

٢ ـ جاءت بمعنى السحاب: **﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾** (البقرة: ٢٢). وهنا أعطى فكرة عن تكوين السحب والأمطار.

٣ ـ وجاءت بمعنى القبة الزرقاء التى تعلو الأرض وتلامسها عند الأفق. وهنا شرح أن هذه القبة ليست حقيقية، وبين سبب زرقة السماء، فقال: والجو هو السبب فى زرقة السماء، فعندما يدخل ضوء الشمس جو الأرض تقابله جزيئات الغازات المكونة للجو، وكذا دقائق الغبار والهباء المنتشرة فيه، وهذه تحدث «تشتتًا» فى الضوء لا يكون واحدًا للأطوال الموجية المختلفة. فالجزيئات والدقائق تشتت الضوء الأزرق (أى الأطوال الموجية القصيرة) بدرجة أكبر مما تتشتت بها الأضواء الأخرى الأطول موجية كالأحمر وغيره. وبما أن الضوء الأزرق يشتت بدرجة أكبر، فسماؤنا ترى زرقاء؛ إذ إن ما يصلنا منها يتكون من هذا الضوء المشتت.

٤ ـ كما أنها جاءت بمعنى السقف المحفوظ والسقف المرفوع: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٢)، ﴿**وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ**﴾ (الطور: ١ ـ ٥).

بعده أخذ مؤلفنا فى تفصيل القول عن الأجرام السماوية، وقسمها إلى ثلاث فئات:

الأولى: الكواكب، الثانية: النجوم، الثالثة: المجرات. فى الفئة الأولى (الكواكب) ذكر أن الأقدمين كانوا يسمونها (الطوافات) أو (الجوالات)، وأن عددها تسعة تدور حول الشمس، وأسماؤها مرتبة حسب ترتيب بُعْدها عن الشمس كالآتى: عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو.

هذه الكواكب السيارة هى أقرب الجيران لنا فى هذا الفضاء الكونى. ثم تكلم عن دوران الكواكب السيارة فى أفلاك حول الشمس، وأحجام هذه الكواكب بالمقارنة بأبعادها الشاسعة عن بعضها، ووحدة قياس المسافات الموجودة بين كواكب المجموعة الشمسية فقط. ثم قسم هذه الكواكب حسب قربها من أمها الشمس إلى «كواكب داخلية»، و«كواكب خارجية»، وبيّن النظام العام لدوران الكواكب حول الشمس.

الفئة الثانية: من الأجرام السماوية هى (**النجوم**): يعتبر بعد نجم عن الشمس أحد مميزاته الأكثر صعوبة فى تعيينها ليس هذا فحسب، ولكنه أيضًا من أكثرها أهمية، فكل التغيرات التى تتناول النجم أثناء حياته يمكن تعيينها من معرفة كمية ونوع الطاقة التى

يشعها، ولكن كمية الطاقة التى يشعها نجم فى الفضاء لا يمكن معرفتها إلا إذا عرف بعده. ثم تكلم فى الأبعاد الشاسعة بين النجوم وبعضها، وأن الوحدة لقياسها هى السنة الضوئية، وأعطى تعريفًا لهذه الوحدة وأمثلة لبيانها. وذكر أن «هالى» (والذى يحمل اسمه أحد المذنبات الشهيرة) هو أول من بين فى سنة ١٧١٨م أن النجوم ليست ثابتة فى مواضعها، فقد لاحظ أن «**الشعرى اليمانية**». وبعض نجوم لامعة أخرى قد تحركت بقدر القطر الظاهرى للقمر وهو بدر عن المواضع التى عينت لها كتالوج بطليموس القديم. واسترسل المؤلف فى شرح الحركات، ثم انتقل إلى تقدير أقطار النجوم لتحديد أحجامها، وساق أرقامًا مذهلة. وذكر خاصيتين مهمتين أخريين هى الحرارة والإضاءة، فقال: درجة حرارة النجم تعين كمية الطاقة المنبعثة من وحدة المسافات من سطح النجم، فإذا وجد نجمان متساويان فى الحجم فأكثرهما سخونة يشع كمية طاقة أكثر، وإذا وجد نجمان متساويان فى درجة الحرارة فأكبرهما يشع طاقة أكثر؛ ولذا «**فإضاءة» النجم (سطوعه الذاتى)** تتوقف على عاملين: درجة حرارته وحجمه. وفى تفصيل هذه الجزئية تعرّض المؤلف لمقاييس الإضاءة، ومنحنى H-R لبيان الارتباط بين درجة حرارة النجم وإضاءته.

الفئة الثالثة من الأجرام السماوية **(المجرات)**: وهى تظهر فى كل جزء من السماء، فيما عدا امتداد (الطريق اللبنى)، حيث يخفى الغبار والغاز فى مجرتنا بقية المجرات الأخرى خلفها.

وترى فى الكون مئات الملايين من المجرات، ومنها ما نستطيع رؤيته بأضخم تليسكوباتنا، ومنها ما لا تجدى التلسكوبات الضخمة فى الكشف عنها... وقد قام إيدوين هويل من مرصد جبل ويلسون بدراسات مستفيضة للمجرات، وتعرف على ثلاثة تراكيب أساسية للمجرات القريبة هى: **البيضاوية، والحلزونية، وغير المنتظمة**. وبعد أن جال وصال فى هذا الميدان انتهى إلى: مما تقدم نستطيع أن نقسم المادة فى الفضاء النجومى إلى ثلاث مجموعات رئيسة: السدم، المجرات، التجمعات المجرية المحلية، وكانت آخر جزئية فى هذا القسم من الفصل هى شرح فكرة أن الفضاء محدود، ولكن لا حدود له نظرًا لأبعاده الشاسعة.

انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الآيات القرآنية عن السماء التى تبين بديع صنع الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى خلقها وعظيم قدرته وإحكامه فى تدبير أمرها، وأورد ١٣ نصًا

هى على التوالى: (فصلت ١١ ـ ١٢، النازعات ٢٧ ـ ٣٤، ق ٦ ـ ١١، الرعد ٣، الواقعة ٧٥، ٧٦، نوح ١٣ ـ ١٦، الذاريات ٤٧، يس ٣٨، يس ٣٩، ٤٠، الفرقان ٦١، ٦٢، الجن ٨، الأنبياء ٣٠، الملك ٣ ـ ٥).

فى شرح قول الله ـ تعالى ـ فى الآيتين ١١ ـ ١٢ من سور الدخان: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾، يوضح المؤلف أنواع السدم، ويذكر أن منها المضيئة والأخرى المظلمة، وهو ما سبق أن أوضحه فى القسم الأول من هذا الفصل، وفى تصويره لميلاد نجم من النجوم يقول: : الغاز والغبار يشكلان المادة الأولية التى تتكون منها النجوم، وهو الذى سماه المولى ـ عز وجل ـ «دخان»، ومما لا شك فيه أن درجة حرارة الدخان وقت تكون النجوم كانت أعلى بكثير من درجة حرارته الآن. . . والمولى ـ جل شأنه ـ وضع من السنن الكونية ما يتم معها تخليق النجوم من الدخان، كأن تنزع كتلة من الغاز نفسها من سائر الغاز الذى يكون السديم ـ مثلاً بأن تقوم بحركة دوامية ثم تبدأ فى عملية تقلص، ومثل هذه الكتلة المتقلصة من الغاز يطلق عليها اسم النجم الابتدائى؛ لأنه ليس ساخنًا بدرجة كافية حتى يشع ضوءًا مرئيًا، ولكن باستمرار تقلص الغاز فيه تتحول طاقة الوضع الناشئة عن التجاذب إلى طاقة حرارية وترتفع درجة الحرارة، وعندما تبلغ هذه الدرجة فى مركزه حوالى ٥٠٠,٠٠٠ درجة مطلقة يتحول النجم الابتدائى إلى (نجم يافع) يمكن تعيين موضعه على المنحنى H-R وفق إضاءته ودرجة حرارته.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ (النازعات: ٢٧ ـ ٣٣). يوضح المؤلف أن الله ـ سبحانه ـ بعد أن قرر أنه بنى السماء، شرح لنا كيفية البناء فقال: ﴿**رَفَعَ سَمْكَهَا**﴾، فإذا كان رفع السماء هو أول صفات بنائها، فإن الصفة الثانية هى ﴿**فَسَوَّاهَا**﴾ أى: جعلها خالية من العيوب، والصفة الثالثة هى ﴿**وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾. . . وإنما أضاف الليل والنهار إلى السماء لأنهما إنما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها ثم غروبها وطلوعها، وهاتان العمليتان الظاهريتان تحصلان نتيجة

لدوران الأرض حول محورها. وأخذ المؤلف بعد ذلك يشرح صفات وكيفية خلق الأرض فى هذه الآيات الكريمة.

فى سورة ق (الآيات ٦ ـ ٨) يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝**﴾ ومن الملاحظ فى هذه الآيات أن الله ـ تبارك وتعالى ـ ذكر فى الأرض ثلاثة أمور، كما ذكر فى السماء ثلاثة أمور.

وفى قول الله ـ تعالى ـ فى سورة الرعد (آية: ٢) ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾، يوضح المؤلف أن المقصود بهذه العمد هى قوى الجاذبية التى تتجاذب بها النجوم والكواكب، وهناك قوة مضادة ناشئة من سرعة الدوران هى قوة الطرد المركزية، وبتعادل هاتين القوتين يستطيع كل جرم سماوى الاحتفاظ بموقعه، وعدم الانفلات منه.

وعند وصوله إلى النص السابع فى هذا الفصل، نجد المؤلف يوضح قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾، فيقول: دلت البحوث الفلكية على أن المجرات تتهادى فى مجموعات يطلق على كلٍّ منها اسم «التجمع المجرى». وكل تجمع من المجرات هو مجموعة مقيدة داخل نفسها ومتماسكة بتأثير قوى الجذب المتبادلة بين جميع أفرادها... وقد اقترح أحد الفلكيين أنه بسبب المسافات الكبيرة التى تفصل بين جموع المجرات يتوقف التجاذب ويحل بدلاً منه تنافر؛ إذ إن جموع المجرات يبدو أن كلاّ منها يتجنب الآخر. وقد دلت التجربة على أن الجموع المجرية تبتعد عنا، وأن سرعة ابتعاد كل جمع تزداد كلما ازداد بعده عنا. والنتيجة الطبيعية لتفسير هذه الحقيقة أن الكون آخذ فى الاتساع.

وعلى هذا النحو أخذ المؤلف يشرح قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾ (يس: ٣٨)، وقوله: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾ (يس: ٤٠)، وقوله: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا**﴾ (الفرقان: ٦١)

وتساءل المؤلف ما هى البروج؟ وما أحوالها؟ وما أنواعها؟ وما أسماؤها؟ وما علاقتها بالشمس وحركاتها؟ ثم عرض لمعنى قول الله ـ تعالى ـ ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (الجن : ٨)، فأخذ يشرح الشهب والنيازك، ويعطى أمثلة على ما ذهب إليه. أما بيانه المقتضب فى معنى قول الله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء : ٣٠)، جاء خلاصته ما أوضحه فى أول هذا الكتاب.

* * *

الكتاب الخامس

«الإسلام يتحدى»

(مدخل علمى إلى الإيمان)

لفضيلة الشيخ وحيد الدين خان(*)   مراجعة: أ. د. زغلول راغب محمد النجار

يشتمل الكتاب الذى يقع فى ٢٨٧ صفحة على أبواب تسعة بالإضافة إلى تمهيد وفهرس وقائمة بالمراجع، وفيما يلى عرض موجز لما ورد فى كلٍّ من هذه الأبواب:

الباب الأول: (قضية معارضى الدين)

بدأ المؤلف هذا الباب بجملة مقتطفة عن« جوليان هكسلى» أحد الذين حملوا لواء الإلحاد فى هذا العصر، وانتقل بعد ذلك إلى تقسيم تطور الفكر الإنسانى كما أورده «أوجست كنت»، ثم عرج إلى تلخيص الحجج التى يستند إليها معارضو الدين، **وأولاها:** ما هو مستمد من بعض المشاهدات فى مجال العلوم البحتة، وأساسه الظن الخاطئ الذى أشاعه بعض الكتاب بعد اكتشاف عدد من قوانين الطبيعة، فتنادوا بأنه «إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة».

(*) تأليف المفكر المسلم المعاصر وحيد الدين خان، تعريب ظفر الإسلام خان، مراجعة الدكتور عبد الصبور شاهين، نشر دار البحوث العلمية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م الطبعة الأولى، والإشارة هنا إلى الصفحات وفقًا لهذه الطبعة الأولى.

وثانيتها : مستمد من بعض الاستنتاجات فى مجال العلوم النفسية، والتى بنيت على شعار باطل مؤداه «أن الدين نتاج اللاشعور الإنسانى، وليس انكشافًا لواقع خارجى».

وثالثتها: مستمدة من «التاريخ حيث نادى معارضو الدين خطأ بأن الدين ما هو إلا نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته، وأن القضايا الدينية ما وجدت إلا لأسباب تاريخية أحاطت بالإنسان، وأن كل القيم الأخلاقية هى فى تحليلها الأخير من صنع الظروف الاقتصادية».

وقد جاء عرض هذه القضايا بصورة موضوعية متجردة، فى محاولة لطرح القضية على بساط من الحيدة، وهنا أود أن أقول إنه ربما كان من الأفضل لو استهل الكاتب هذا الباب باستعراض تاريخى موجز لقضية الدين عبر التاريخ بدلاً من بدئه من نقطة المعارضين مباشرة، فالإيمان سابق على الكفر، وهو فطرى فى النفوس، أما المروق والكفر والإلحاد فهى حالات مرضية عارضة فى تاريخ الإنسانية مردها الهوى والاستهتار، والرغبة فى الخروج على كل ما ينظم حياة البشر، ومن أسبابها الرئيسة موقف الكنيسة فى العالم الغربى بصفة خاصة من رجال العلم فى القرون الوسطى وحتى مطلع القرن العشرين، مما أوجد عداء تقليديّا بين كثير من المفكرين والمشتغلين بالعلوم وبين الدين.

الباب الثانى: (نقد قضية المعارضين)

وهنا يرد المؤلف على الحجج التى أوردها فى الباب الأول، فيذكر فى رده على المعارضين الذين ينطلقون من زاوية العلوم البحتة بأن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له، بينما الدين يبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية التى تدور وراء الكون، وعلى ذلك فإن اكتشافات العلوم لا تتوصل إلا لبعض صور الهيكل الظاهرى للكون ولا تستطيع أن تنفذ إلى ما وراء ذلك، وأن العلم لا يكشف لنا كيف صارت وقائع الكون قوانين؟ ولا كيف قامت هذه الوقائع بين الأرض والسماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة، حتى إن العلماء استطاعوا أن يستنبطوا منها قوانينهم العلمية؟ والحقيقة أن ادعاء الإنسان بعد كشفه لبعض قوانين الطبيعة أنه قد اكتشف سر الكون

ليس سوى خدعة لنفسه، فإن الطبيعة لا تفسر شيئًا من الكون، وإنما هى نفسها بحاجة إلى تفسير، وفى ذلك يقول الأستاذ «هاريس» فى نقد نظرية النشوء والارتقاء: «إن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعى يفسر عملية بقاء الأصلح، ولكنه لا يستطيع أن يفسر حدوث هذا الأصلح».

ثم ناقش حجج المعارضين الذين ينطلقون من زاوية العلوم النفسية وادعاءهم دون استدلال واضح على «أن الإله والآخرة قياس للشخصية الإنسانية وأمانيها على مستوى الكون»، وأردف أن من معايب الفكر الحديث أنه يستنبط من حادث عادى دليلاً غير عادى، وأن اللاشعور الإنسانى فى أصله فراغ، لا شىء فيه قبل مولد الإنسان، وإنما يستقر فيه عن طريق الشعور ما يشغله الآن؛ لأن اللاشعور ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التى جمعها الإنسان أو شاهدها خلال حياته، وعلى ذلك فمن المستحيل أن يختزن حقائق لم يعلمها من قبل، والذى يثير الدهشة أن الدين الذى جاء على ألسنة الأنبياء يشتمل على حقائق أبدية لم يشاهدها أحد من الناس، فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات فمن أين يأتى بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا سبيل لهم إلى العلم بها إلا بوحى من السماء. ويضيف أن الدين الذى جاء به الأنبياء يتصل من ناحية أو أخرى بجميع العلوم المعاصرة فى عرض صادق لم يستطع أحد أن يدل على باطل جاء فيه، بينما كل حديث فى ا لتاريخ الإنسانى مصدره الشعور - فضلاً عن اللاشعور - لا يخلو من الأغلاط والأدلة الباطلة، ولقد مرت قرون إثر قرون أبطل فيها الآخرون ما ادعى الأولون، وما زال صدق كلام النبوة باقيًا على مر الزمن.

وردًا على المعارضين الذين ينطلقون من زاوية التاريخ يذكر المؤلف أن خطأ هؤلاء الرئيس أنهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح؛ لأنهم يتناولونه على أنه مشكلة موضوعية، بينما الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع كاملة أو ناقصة أو يرفضها، ويبقى الدين فى جميع هذه الأحوال حقيقة واحدة فى ذاتها.

وناقش المؤلف تباين أفكار الباحثين الاجتماعيين بين فكرة تعدد الآلهة إلى فكرة دين الإله الواحد إلى فكرة الدين بغير الإله، وفند ادعاءهم أن فكرة الإله شكل ارتقائى لفكرة تعدد الآلهة، وبيّن أن هذا خلط واضح: حيث إن الوحدانية أقدم بكثير من فكرة الشرك. وتعرض بعد ذلك لفكر «ماركس» وتهجمه غير المنطقى على الدين ونفيه إرادة

الإنسان ، وإحالته الأحداث كلها إلى تأثير عوامل الزمن الاقتصادية ، ورد المؤلف على ذلك بأن حقيقة الدين وسفسطة المعارضين تتجلى بوضوح حين نطالع صورة الحياة الإنسانية فى ضوء الدين ، ونطالعها فى الصورة التى يرسمها المعارضون لفكرة الدين ، فصورة الحياة الإنسانية فى ضوء الدين صورة جميلة لطيفة ، تتوافق مع أفكار الإنسانية السامية ، كما يتوافق الكون المادى مع القوانين الرياضية ، بعكس الصورة التى يرسمها معارضو الدين . فالكون فى ضوء الفكر المادى يكاد يفقد أهدافه كلها ولا يبقى غير الظلام الحالك الذى تتلاشى فيه معايير الخير والشر ، أما الدين فهو للإنسان الضوء والأمل ، الموت والحياة فيه مرتبطان بأهداف معينة ، وكل القيم والأفكار الإنسانية السامية تجد لها مكانًا فيه ، وإذا كان بعض العلماء يطمئن إلى أنه قد توصل إلى الحقيقة بمجرد تصديق القوانين الرياضية لأفكاره ، فإن تصديق العقل الإنسانى للدين لدليل قطعى على أنه الحقيقة التى فطر الله عليها الإنسان ، ولذلك فإنها كلما غابت عن المجتمع بحثت عنها الفطرة الإنسانية ، وعندئذ لا نجد أساسًا واقعيًّا لإنكار قيمة الدين . إلا أنه يبدو ـ كما يقول «سير جيمس جينز» : «إن فى عقول المعارضين تعصبًا يرجح التفسير المادى للحقائق» . وضرب المؤلف أمثلة عديدة على ذلك منها قول «سير آرثر كيث» : «إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميًا ، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ، ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص مباشرة ، وهذا ما لا يمكن حتى مجرد التفكير فيه» .

وفى الرد على ذلك التعصب الأعمى يقول العالم الأمريكى «جورج بلونت» : «إن كون **العقيدة** الإلهية معقولة ، وكون إنكار الإله سفسطة لا يكفى ليختار الإنسان جانب **العقيدة** الإلهية ، فالناس يظنون أن الإيمان بالله سوف يقضى على حريتهم ، تلك الحرية العقلية التى استعبدت عقول العلماء واستهوت قلوبهم ، وعلى ذلك فإن أية فكرة عن تحديد هذه الحرية مثيرة للوحشة عندهم» .

ولم يخل هذا الباب من بعض الملاحظات التى من أهمها ما يلى :

١ ـ لا يوجد شىء اسمه حقيقة الطبيعة (ص ٤١ السطر السادس) ؛ لأن الحقيقة لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، أما مشاهدات الناس فهى مجرد محاولة للتفسير ،

ثم إن لفظة (الطبيعة) ليست ترجمة دقيقة لكلمة (nature) بالإنجليزية؛ فمرادفها الحقيقى هى كلمة (الفطرة).

٢ ـ إن الدليل الذى ذكر فى (ص ٤١ السطر السابع) باسم البيولوجيا هو قانون ينطلق من العلوم البحتة بصفة عامة وليس باسم علوم الأحياء أو البيولوجيا وحدها، كما أن المثل الذى أورده فى صفحة ٤٨، ٤٩ على لسان «برستد»، لا محل له فى مجال المناقشة، خاصة وأن المؤلف لم يورد ردًا على افتراءات «برستد» هذا، وأن هناك الكثير من الردود العلمية فى هذا المجال وكان من الأفضل أن يوضح موقف الفكر العلمى الحديث من الدين، ورد ذلك الموقف إلى الاضطهاد الذى لقيه العلم والعلماء فى أوروبا إبان القرون الوسطى، من الكنيسة حين كانت تفرض أفكارًا بدائية مستمدة من روايات العهد القديم عن خلق كل من الكون والحياة والإنسان أثبت العلم الحديث بطلانها، فبدأ الصراع بين رجال العلم والكنيسة وعُذِّب فيه العلماء، وسجنوا وحرقوا، وقتلوا، وانتهى الصراع بانتصار العلم لأنه يقدم خدمات للإنسان في مجالات عديدة منها الطب، والصناعة، والزراعة وغيرها، فاتخذ العلم الحديث موقف مفاصلة كاملة مع الدين ـ بصفة عامة ـ وليس مع الدين اليهودى أو المسيحى وحدهما. وإذ أضيف إلى ذلك حب الناس أحيانًا فى اتباع أهوائهم مما يجعلهم يحاولون التخلص من أية قواعد تضبط تصرفاتهم وتنظمها، وهم لا يستشعرون أن فى ذلك هلاكًا لهم اتضح لنا بجلاء لماذا أخذت المعارف المكتسبة فى الحضارة المادية المعاصرة هذا الموقف الرافض للدين.

الباب الثالث: (طريقة الاستدلال العلمى)

استعرض المؤلف طريقة الاستدلال العلمى، ولخصها بمحاولة الإنسان التعرف على الحقيقة بالتجربة، والمشاهدة، والاستنتاج، بينما تتصل عقائد الدين بعالم ما وراء حواسنا، ولا يمكن إخضاعها للتجربة، ثم استطرد إلى تعريف التجربة والقياس، وأن هناك من الحقائق ما هو محسوس مدرك، ومنها ما هو مستنبط غير مدرك، وأن حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل، والكثير منها مستنبط على طريق التعليل، وهذا المنهج صحيح؛ لأن الكون نفسه عقلى، فالكون كله مرتبط بعضه ببعض،

حقائقه متطابقة ونظامه عجيب، ولهذا فإن أية دراسة للكون لا تسفر عن ترابط حقائقه وتوازنها هى دراسة باطلة، واستشهد على بذلك بتعبير «ما ندر» : «إن القول بأننا عرفنا الحقيقة، يعنى أننا عرفنا معناها، وبعبارة أخرى أننا بحثنا عن وجود شىء ما وعن أحواله ففسرناه، وأكثر معارفنا العلمية تدخل فى هذا النطاق فهى فى الحقيقة تفسيرات للملاحظة» ويستطرد فيقول : «عندما نذكر ملاحظة، فإننا نقصد شيئًا أكثر من المشاهدة الحسية المحضة، فمعناها **الملاحظة الحسية والتعرف** بما يشمل جانب التفسير».

ثم انتقل بعد ذلك إلى مناقشة مشكلة تعيين حقائق الأمور، وفى ذلك يقول بأن الدين والعلم كليهما يعتمد على الإيمان بالغيب، غير أن دائرة الدين تتعلق بتعيين حقائق الأمور نهائيّا وأصليّا، أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية، واستشهد فى ذلك بقول سير «آرثر إدنجتن» الذى يقول فيه : «وهكذا نجد لكل شىء صورة ذات وجهين أحدهما ملحوظ والآخر صورة فكرية لا سبيل إلى مشاهدتها بأى ميكرسكوب أو تليكسوب» والوجه الأول يشاهده العلم، غير أنه لا يستطيع الادعاء بأنه يشاهد الوجه الآخر. وعندما يجتمع لدى عالم من العلماء قدر مناسب من الحقائق الملحوظة فإنه يحس بضرورة وضع **نظرية** أو **فرض علمى** «أى فكرة اعتقادية وجدانية» تقوم بتفسير الملاحظات، وربط النتائج بعضها ببعض، فإذا نجحت هذه الفكرة فى تفسير المشاهدات تفسيرًا كاملاً عدت حقيقة علمية، برغم أنها لم تلاحظ قط، كما لوحظت غيرها من الحقائق بالمشاهدة، ومعنى ذلك أن العالم التجريبى يؤمن بوجود شىء غائب بمجرد ظهور نتائجه وآثاره، وهذا ما نسميه نحن ـ معشر المسلمين ـ باسم **الإيمان بالغيب**، وبمعنى آخر فإن النظريات العلمية ما هى إلا صورة ذهنية لتفسير القوانين المعلومة، هذا بالإضافة إلى أن المشاهدة الإنسانية لا يمكن أن توصف بالكمال، وبالتالى فإن جميع الاستنتاجات العلمية يمكن أن تتغير وتتطور باستمرار تطبيق المنهج العلمى القائم على عمليات التجربة والملاحظة والاستنتاج، وهنا يقال بأن النظريات العلمية الصحيحة ما هى إلا فروض عملية ناجحة، وعلى ذلك فإن تفسير الدين للطبيعة يبقى هو عين الحق، وهو تفسير لم يتغير، ولن يتغير على مر الدهور، على حين أنه ما من نظرية صاغها الإنسان إلا وطورت أو غيرت أو رفضت، وإن صدق الدين ليتجلى بعد كل خطوة يخطوها العالم فى تطبيقه للمنهج العلمى بالتجربة والملاحظة والاستنتاج، حتى ليصبح كل كشف علمى جديد تصديقًا لحقائق الدين.

ومن الملاحظات الواردة على هذا الباب إطلاق كلمة حقيقة على التجربة والقياس (ص٦١ السطر ٧) (وصفحة ٧٠ السطر ٣ و٧١ السطر ٥) ويا حبذا لو حلت كلمة الظواهر محل الحقائق فى الصفحتين الأخيرتين، كما أن عرض نظرية التطور العضوى فى الصفحات ٦٦ ـ ٦٨ قد تم بصورة غير متكاملة، ولو أن الموضوع كبير، إلا أنه كان من الممكن تلخيصه بصورة أفضل.

الباب الرابع: (الطبيعة تشهد بوجود الله)

فى هذا الباب حاول المؤلف إثبات أن الكشوف العلمية المؤكدة هى فى ذاتها تصديق لحقائق الدين، وفى ذلك بدأ باستعراض «نظرية التشكيك فى الوجود»، وانتهى بأن هذه الفكرة بكل ما تتضمن من الجهالة وانعدام الواقعية فكرة لا معنى لها فى ذاتها، ولم تحظ بالقبول فى دنيا العلم، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الوجود والخلق فذكر أن الإنسان يؤمن بأن له وجودًا، وبأن للكون أيضًا وجود، وعلى هذا الأساس تقوم جميع ألوان النشاط العلمى والحيوى، وأردف بأنه إذا آمنا بوجود الكون فلا بد وأن نؤمن بخالق هذا الكون؛ إذ لا معنى أن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود الخالق، فكل شىء عظم أو صغر وراءه علة، فكيف يمكن أن يجىء كون عظيم مثل كوننا ذاتيّا دون خالق؟ وعرج من ذلك على حقيقة أزلية الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وعدم أزلية المادة. وفى التدليل على حدوث المادة استشهد بقوانين الديناميكا الحرارية ـ خاصة ـ قانون الطاقة المتاحة، والذى يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليًا؛ حيث إن الحرارة تنتقل دائمًا من وجود حرارى إلى وجود غير حرارى، والعكس غير ممكن، وبالتالى فلا بد أن سيأتى وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات، فلا تبقى أية طاقة كافية للحياة فتنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية وبانتهائها تنتهى الحياة، وبهذا فقد ثبت أن لهذا الكون نهاية، وكل ما له نهاية لا بد أن له بداية وكل ما له بداية ونهاية هو مستحدث، فان لابد وأن له خالقًا عظيمًا، فكل ما له بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، بل لا بد له من المحرك الأول وهو الله الخالق البارئ المصور.

ثم عرج المؤلف بعد ذلك على الكشوف الفلكية، وتحدث عن اتساع الكون وعظمته، ثم على المجموعة الشمسية التى تنتمى إليها أرضنا ومكوناتها، وتحدث عن

تعقيد بناء الكون، ودقة نظامه، وانضباط حركته، مما يؤكد بأن هناك قوة مبدعة تهيمن على ذلك النظام العظيم.

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن بعض الأنظمة المعقدة فى الكون، فأشار إلى أن الذرة ـ وهى وحدة بناء المادة ـ مبنية على نفس نظام المجموعة الشمسية، وأن هذا النظام يستحيل قيامه بنفسه، وهو فى ذاته دليل واضح على وجود منظم قائم على هذا الكون، وانتقل الكاتب من الحديث عن الكون إلى الحديث عن الإنسان، وأثبت إعجاز بناء الجهاز العصبى فى الإنسان إلى درجة غاية فى الإعجاز، وعلى سبيل المثال فإن بلسان الإنسان ثلاثة آلاف من شعيرات التذوق لكلٍّ منها شعيرة عصبية خاصة متصلة بالمخ، كما توجد فى الأذن عشرة آلاف خلية سمعية، وفى كل عين مائة وثلاثون مليونًا من الخلايا الملتقطة للضوء، وبالجلد ثلاثون ألفًا من الخلايا الملتقطة للحرارة، وربع مليون من الخلايا الملتقطة للبرودة، وثلاثة ملايين من الغدد العرقية، كذلك فإن الجهاز العصبى فى جسم الإنسان ينقسم إلى عدة فروع، منها المتحرك ذاتيًّا ومنها ما هو غير ذلك، والنوع الأول يسيطر على الأعمال التى تحدث ذاتيًّا فى جسم الإنسان، وذلك من مثل عمليات الهضم والتنفس ونبضات القلب وغيرها، ويندرج تحت هذا النوع نظامان **أحدهما**: موجد للحركة **والآخر**: مانع لها، وهذان النوعان يباشران عمليهما فى دقة فائقة، فالنظام الأول يسود عند زيادة النشاط واحتياج القلب إلى قوة مسعفة فتزيد سرعة عمليات كلٍّ من القلب والرئتين، بينما يسود النظام الثانى عند النوم حين تهدأ جميع المحركات الجسدية، ولو تغلب النظام الأول فى وقت النوم لازدادت حركة القلب زيادة يترتب عليها موت صاحبه، ولو سيطر النظام الثانى فى وقت النشاط والحركة لتوقفت حركة القلب توقفًا تامًّا. فمن الذى أحكم صنع ذلك غير الله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ. . . . ؟؟

وانتقل الكاتب بعد ذلك إلى الحديث عن كون الاختراعات العلمية فى مجموعها هى محاكاة لنماذج حية فى الطبيعة، وضرب أمثلة كثيرة، منها تشابه آلة التصوير بعين الإنسان، وأجهزة الرادار بأذن الخفاش، وغيرها من أجهزة التقاط الذبذبات تحت الصوتية بما يملكه كثير من الكائنات الحية، وفى ذلك يقول المؤلف: إذا كانت أجهزة التصوير والرادار وغيرها لا يمكن وجودها بغير عقل إنسانى، فمن المستحيل أن نتصور

أن نظام الكون ـ الذى هو أكثر تعقيداً من أى نظام آخر ـ قد قام بنفسه بغير قدرة وراءه، بل لا بد له من خالق عظيم هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن أن الكون متوازن ومتناسب إلى حد لا يمكن تصوره، وعلى سبيل المثال فإن الحياة على كوكبنا الأرض تحتاج إلى ظروف خاصة من المستحيل رياضيّا اجتماعها بنسبها المحددة ـ بمحض الصدفة، وهذا وحده يؤكد أن هناك عقلاً عظيمًا وراء هذا الكون هو الذى أوجده وهو الذى يرعاه؛ فكتلة الكرة الأرضية اختيرت بحكمة بالغة، فلو أن هذه الكتلة نقصت أو زادت عن متطلبات القوانين الحاكمة لمعدلات ارتباطها بالجاذبية مع الشمس لاستحالت الحياة فوق الأرض. كذلك فإن مجرد وجودنا على سطح الأرض وهى تدور بسرعتها الراهنة أمر معجز فى حد ذاته؛ حيث لا يمسكنا إليها إلا جاذبيتها وضغط الهواء عليها ولولا وجود هاتين القوتين لما أمكن تواجد أى مخلوق على سطح الأرض. . ثم إن بعد الأرض عن الشمس، ومدة دورانها حول محورها، وميل محورها والتركيب الكيميائى والصفات الطبيعية لكلٍّ من غلافيها الغازى والمائى، وسمك قشرتها وأعماق بحارها، وسمك غلافها الصخرى وتركيبه المحدد، كل ذلك مصمم بحكمة بالغة وتدبير دقيق. . فلولا الغلافان المائى والغازى لما أمكن أن تتواجد حياة على الأرض، ولو كان سمك قشرة الأرض أكثر قليلاً من سمكها الحالى لما وجد الأكسجين فى غلافها الجوى، وبدونه تستحيل الحياة. . ولو كانت البحار أعمق قليلاً لانجذب ثانى أكسيد الكربون والأكسجين إلى تلك الأعماق وانعدمت الحياة على الأرض. . ولو قل سمك الغلاف الغازى قليلاً لأحرقتنا النيازك التى تقذف الأرض سنويّا بأعداد هائلة وبسرعات كونية عالية، ولما أمكن حماية الحياة على الأرض من الأشعة الكونية التى تمطر بها فى كل لحظة، ولما أمكن الاحتفاظ للأرض بمتوسط حرارتها الثابت. . . كذلك فإن التركيب الكيميائى للغلاف الغازى للأرض معجز فى حد ذاته، فلو قلت نسبة الأكسجين مثلاً قليلاً لما أمكنت الحياة. . . ولو زادت قليلاً لكان بإمكان عود ثقاب أن يشعل الكرة الأرضية بأكملها فى التو والحال. واستشهد المؤلف أيضًا بقلة كثافة الثلج عن كثافة الماء؛ مما يحفظ البحار والأنهار من التجمد الكامل فى فصل الشتاء، وبالتالى يبقى على الحياة المائية تحت الجليد، وتحدث أيضًا عن الاتزان الدقيق بين مجموعات الحياة الحيوانية والنباتية فى كل واحدة من بيئات الأرض الكثيرة.

واستخلص الكاتب أن هذا كله يشير إلى ما أسماه باسم **«قانون الضبط والتوازن»** وفى ذلك يستشهد بقول أحد علماء الطبيعة : « . . . إن العلم لا يملك أى تفسير للحقائق، والقول بأنها حدثت بالصدفة إنما يعتبر تحديًا وإنكارًا للحسابات الرياضية» .

وتحدث الكاتب كذلك عن السنن الرياضية المحكمة فى الكون، وأضاف أنه لو لم يكن هذا النظام الدقيق والضبط المحكم فى كلٍّ من بناء المادة وعمليات الطاقة لما وجد الإنسان أسسًا يقيم عليها كشوفه ومنجزاته العلمية، ولما أمكن التنبؤ بحدث من الأحداث، ولا بنتيجة من النتائج ؛ لأن الأساس فى التنبؤ العلمى هو النظام الدقيق، والاضطراد فى العمليات المحددة، واستشهد على ذلك بالجدول الدورى للعناصر، وقال إن الترتيب المحكم لصفات العناصر المختلفة فى ذلك الجدول لا يمكن أن يوصف بالصدفة، وإنما هو قانون محكم، أحكمه الذى خلق العناصر، ووهبها هذه الدورية فى الصفات، وأضاف بأن عدم إيمان العلم الحديث بالإله الخالق، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله هو فى الواقع إنكار للكشوف العلمية، فالنظام فى الكون هو غاية فى الدقة والإحكام من الذرة إلى قطرة الماء، إلى الكواكب والنجوم والمجرات فى أجواء الفضاء. نظام نستنبط على أساسه قوانيننا العلمية التى نستخدمها فى تسخير كل ما فى الطبيعة وتوظيف ذلك فى عمران الأرض.

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن أن كثيرين من معارضى الدين يسلمون بالنظام العجيب والحكمة غير العادية فى هذا الكون، ولكنهم يفسرون ذلك كله بأنه جاء نتيجة للصدفة المحضة، والمنطق السوى يقول بأن الصدفة لا يمكن لها أن تنتج مثل هذا النظام الدقيق فى كل شىء من أشياء الوجود وفى كل أمر من أمور الكون. وعلوم الرياضيات تؤكد أن عمر الكون وحجمه كما حددهما لنا العلم الحديث غير كافيين فى أى حال من الأحوال لتسويغ إيجاد هذا الكون عن طريق الصدفة، وضرب الكاتب مثالاً على ذلك بالجزىء البروتينى الذى تتكون منه كل الخلايا الحية، وهو مركب كيميائى من خمسة عناصر هى : الكربون والهيدروجين والأكسجين والكبريت التى تكون جزيئات الأحماض الأمينية التى تتركب منها الجزيئات البروتينية. يشمل الجزىء البروتينى الواحد أربعين ألفًا من ذرات هذه العناصر، ولما كان فى الكون أكثر من مائة عنصر كيماوى، فهل يمكن أن تجتمع هذه العناصر الخمسة بنسبها المحددة لتكون الجزىء البروتينى بمحض الصدفة؟

لقد حسب الرياضى السويسرى «تشارلز يوجين جواى» أن إمكانية تكون جزىء بروتينى واحد عن طريق الصدفة يتطلب مادة مقدارها بليون ضعف المادة المعروفة الآن فى سائر أجزاء الكون المدرك حتى يمكن تحريكها وضخها، من أجل إنتاج جزئ بروتينى واحد بمحض الصدفة، وأن المدة اللازمة لذلك تبلغ أكثر من $١٠^{٢٤٣}$ سنة، وهى تبلغ ملايين المرات ضعف عمر الكون الحالى.

ثم أضاف بأن جزىء البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية يمكن تجميعها فيما يقرب من $١٠^{١٤٨}$ صورة، وأخطر ما فى العملية هو الطريقة التى تتحد بها هذه السلاسل بعضها مع بعض، فإنها لو اجتمعت فى صورة غير صحيحة لأصبحت سمًّا قاتلاً بدلاً من أن تصبح مادة حية. وإنه من المستحيل تمامًا أن تجتمع هذه السلاسل بمحض الصدفة فى صورة مخصوصة من هذه الصور التى لا حصر لها.. ثم يضيف أن الجزىء البروتينى ذو وجود كيماوى لا يتمتع بالحياة إلا عندما يصبح جزءًا من الخلية الحية، فهنا تبدأ الحياة...، وهذا الواقع يطرح السؤال التالى: من أين تأتى الحرارة اللازمة لاندماج الجزىء البروتينى بالخلية؟ ولا يوجد لدى العلم التجريبى فى الوقت الحاضر إجابة على هذا السؤال. وفى جسد كل فرد منا ما يربو على مئات البلايين من هذه الخلايا. فأين المادة والوقت اللازمان لتكوين كل هذه الخلايا، ومادة الكون محدودة، وعمره أيضًا محدود؟

ومن ذلك يتضح أن المادة (غير ذات الروح) تحتاج إلى عمر كعمر الكون ($١٣,٧ \times ١٠^{٩}$ سنة) مضاعف إلى بلايين المرات، وكتلة مادية مثل الكتلة المعروفة للجزء المدرك من الكون الحالى مضاعفة إلى بلايين الأضعاف حتى يتسنى لجزىء بروتينى واحد أن ينتج بمحض الصدفة، فكيف إذن وجدت هذه البلايين التى لا تكاد تحصى من صور الحياة، والتى ينتظمها أكثر من مليون نوع من أنواع الحيوانات، وأكثر من ربع مليون نوع من أنواع النباتات؟.. ثم كيف جاء من خلال هذه الأنواع الحيوانية ذلك المخلوق الأعلى المسمى بالإنسان كما تفترض نظرية النشوء والارتقاء على أساس من تغيرات تتم بالصدفة المحضة؟ وقد حسب الرياضى (باتو) أن احتمال تغير ما فى نوع ما من أنواع الأحياء قد يستغرق مليونًا من الأجيال، وفى ذلك يقول العالم الأمريكى «مارلين ب كرايدر»: «إن الإمكان الرياضى فى توفر العلل اللازمة للخلق عن طريق الصدفة فى نسبها الصحيحة هو ما يقرب من لا شىء».

وهذا الباب يعتبر من أروع ما ورد فى الكتاب، إلا أن هناك بعض الملاحظات التى يمكن إيجازها فيما يلى :

١ - فى ص ٧٥ السطر ١١ يذكر المؤلف «ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق» وكلمة من العدم هنا لا معنى لها، فالله - سبحانه وتعالى - قد أوجد الوجود من العدم، وإلا فكيف كانت له بداية؟

٢ - فى ص ٧٦ سطر ١٣، ١٤ يذكر المؤلف «فإن عدم كفاءة عمل الكون يزداد يومًا بعد يوم» وهذا تعبير خاطئ تمامًا، فإن الكون فى كل لحظة من لحظات وجوده يعمل بكفاءة بالغة، وإلا لما أمكنه أن يستمر فى تواجده.

٣ - فى ص ٧٨ السطر الثانى يذكر المؤلف «. . . وأن كل مجاميع النجوم والأجرام والأجسام الفلكية تتباعد بسرعة مدهشة بعضها عن بعض» والحقيقة أن الذى يتباعد هو المجرات، بينما يبقى حجم المجرات ثابتًا. وعلى ذلك، فإن وضع الأجرام الفلكية فى داخل كل مجرة يبقى ثابتًا إلى ما شاء الله بتجدد أجرام بدلاً من التى تستهلك فى التو والحال.

٤ - ص ٧٨ السطر الخامس والسادس يذكر المؤلف: «ويقدر العلماء أن هذا الكون قد وجد نتيجة لانفجار فوق العادة وقع منذ (٠٠٠ , ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٥) سنة. والحقيقة أن العمر الذى قدره العلماء لأقدم صخور الأرض التى نعيش عليها هو (٠٠٠ , ٠٠٠ , ٤٦٠٠) سنة، وللكون هو (٠٠٠ , ٠٠٠ , ٧٠٠ , ١٣) سنة، وإن كان من المنطقى أن يكون عمر الأرض من عمر الكون؛ لأنهما خلقا فى لحظة واحدة، إلا أن صخور الأرض تدخل فى دورات من الانصهار والتجمد تبدد قدرًا من العناصر المشعة الموجودة بها مما يؤدى إلى تناقص كبير فى حساب أعمارها. .

٥ - ص ٧٩ سطر ١ - ٥ كلام غير علمى، ويمكن الاستغناء عنه.

٦ - ص ٧٩ سطر ٩ يذكر المؤلف «أن هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق ٠٠ , ٠٠٠ , ٠٠٠ , ١) سنة. والحقيقة أن أبعد المجرات عن الأرض يصل بعدها إلى (٢ , ١٣ بليون) سنة ضوئية، ولما كان الأرض فى مركز الكون بحسب العديد من الإشارات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة كان قطر السماء الدنيا يقدر بأكثر من (٤ , ٢٦ بيلون) من السنين الضوئية.

٧ ـ جـاء فى (ص ٧٩ سطر ٩) مـا نصـه: «يضـاف إلى ذلك أن هذا الكون ليس بمتجمد» والتعبير الصحيح أنه ليس ثابت الحجم؛ لأن لفظة متجمد لها دلالة أخرى.

٨ ـ الفقرتان الأولى والثانية ص ٨٠ غير دقيقتين علميًا، وعلى سبيل المثال وردت فيهما كلمة كواكب بما يقصد به النجوم والفرق بينهما كبير جدًا.

٩ ـ جاء فى الأسطر من ١٤ ـ ١٦ من ص ٨١ ما نصه: (والمجرة التى يقع فيها نظامنا الشمسى تدور حول محورها بحيث تكمل دورة واحدة كل ٢٠٠ مليون سنة ضوئية)، والحقيقة أن مجموعتنا الشمسية هى التى تستغرق ٢٥٠ مليون سنة أرضية (وليست ضوئية) لكى تتم دورة كاملة حول مركز مجرتنا، أما المدة اللازمة لدوران مجرتنا دورة كاملة فتقدر بأكثر من ذلك بكثير.

١٠ ـ جاءت بعض الأخطاء فى الأرقام الواردة فى الصفحتين ٨١ (الفقرة الأخيرة) و٨٢ (الفقرة الأولى)، فالجزء المعروف من الكون يبلغ قطره أكثر ٤ ,٢٦ بليون سنة ضوئية، وأن المجرة العظمى (التى تنتمى إليها مجرتنا) يبلغ قطرها ٤٠ مليون سنة ضوئية، وسمكها عشر ذلك من السنوات الضوئية، بينما يبلغ قطر مجرتنا مائة ألف سنة ضوئية، وسمكها نحو عشر ذلك. وبمجرتنا من النجوم ما يزيد عن المائة ألف مليون نجم، كما أن بالسماء من أمثال مجرتنا ما بين مائتى ألف مليون مجرة وثلاثمائة ألف مليون مجرة، وأن أقرب المجرات إلينا بعد الشمس تبعد عنا بمقدار ٧٥٠ ألف سنة ضوئية، بينما أقرب النجوم إلينا يبعد عن الأرض بمقدار ٣ , ٤ سنة ضوئية.

١١ ـ جاء فى ص (٨٤ السطر ١١) ما نصه: «وسنجد أن هذه الإليكترونات لا تشغل أكثر من $\frac{١}{١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠}$ من مساحة الذرة»، والصواب أن قطر الإليكترون يبلغ $\frac{١}{١٠٠,٠٠٠}$ من قطر الذرة.

١٢ ـ وجاء فى (ص ٨٤ سطر ١٢ ـ ١٤) ما نصه: «ولو أننا أخذنا صورة مكبرة لجزيئين من الإليكترون والبروتون، فسوف يكون الفاصل بينهما ما يقرب من ٣٥٠»، هذا الكلام ناقص ولا معنى له علميًا.

١٣ ـ كذلك جاء فى (ص ٨٥ السطر ١٥) ما نصه: «إن ملايين الأخبار تجرى على أسلاك نظامنا العصبى ـ الذى أوجدته الطبيعة ـ من جانب إلى آخر» إن جملة الذى أوجدته الطبيعة جملة خاطئة، فالطبيعة لم توجد شيئًا، ولا تستطيع أن توجد شيئًا.

١٤ ـ وجاء فى ص (٨٦ السطر ١٨) ما نصه : «إن ترجمة التعبير sympathetic system بالنظام الخالق للحركة ترجمة غير صحيحة؛ فهو معروف باسم «النظام السمبتاوى» أو «النظام العاطفى»، وفى السطر التالى وردت كلمة para-sympathetic بترجمة النظام المانع، وترجمتها الحقيقية النظام شبه السمبتاوى، أو شبه العاطفى.

١٥ ـ وجاء فى (ص ٨٩ السطر ٩) ما نصه : «لا بد للحياة فوق الأرض من أحوال كثيرة يستحيل اجتماعها بنسبها الخاصة رياضيًّا» والصحيح أنه يستحيل اجتماعها بمحض الصدفة، وكلمة أحوال ليست سليمة علميًّا، والصواب كلمة شروط (جمع شرط).

١٦ ـ وجاء فى (ص ٩١ سطر ٤) ما نصه : «أن يصير وزن الحيوان الذى يزيد رطلاً واحدًا» وصوابها يزن.

١٧ ـ وجاء فى(ص ٩٤ سطر ٣، ٤) ما نصه : «حتى جاءت الأرض فى صورتها الحالية منذ أكثر من مليون سنة مضت، وذهبت الغازات من فضاء الأرض إلى فضاء الكون» وهذا التعبير خاطئ تمامًا؛ حيث إن الأرض تكونت منذ أكثر من ٥ آلاف مليون سنة، وأن الغازات لم تذهب من فضاء الأرض إلى فضاء الكون؛ لأنها لو ذهت لما كان هناك غلاف غازى للأرض.

١٨ ـ وجاء فى (ص ٩٥ سطر ٣) ما نصه : «فلولا أن غلاف الأرض الهوائى يقينا من هذه الشهب لاحترقنا» والمقصود النيازك؛ لأن الشهاب هو نيزك يحترق بالكامل نتيجة لاحتكاكه بالغلاف الغازى للأرض.

١٩ ـ وجاء فى (ص ٩٧ سطر ٤، ٥) ما نصه : «تتركب معًا فتصبح عناصر عظيمة الأهمية للحياة الحيوانية» ولفظة الحيوانية هنا زائدة؛ لأن المركبات المشار إليها ضرورية للحياة بصفة عامة.

٢٠ ـ جاء فى (ص ٩٨) عدد من الأمثلة التى ضربت للشهادة على اتزان الحياة بصورة عامة على الأرض، وهذه الأمثلة ليست كافية؛ لأن هناك العديد من الأمثلة الأكثر دقة واستفاضة.

٢١ ـ جاء فى(ص ١٠٠ سطر ٧) كلمة «ستجراد»، ومن الأفضل أن تذكر درجة مئوية .

٢٢ ـ جاء فى (ص ١٠١ سطر ٢ ، ٣، ٥، ١٣) كلمة خريطة للعناصر الكيماوية والخريطة الدورية ، ولفظة الخريطة يجب أن تستبدل باسم الجدول الدورى للعناصر .

٢٣ ـ جاء فى (ص ١٠٢ سطر ٦) كلمة «كورنفال» هى فى الحقيقة كورن وول (Cornwall) .

٢٤ ـ جاء فى (ص ١٠٢ سطر ١٣) تعبير «الكواكب السحيقة»، والمقصود هو الكواكب البعيدة .

٢٥ ـ جاء فى (ص ١٠٢ سطر ١٥) تعبير «الكرات الفلكية»، والمقصود به الأجرام الفلكية .

٢٦ ـ جاء فى (ص ١٠٣ سطر ٩) تعبير «التحليل الكيماوى»، ويقصد به المركب الكيماوى .

٢٧ ـ جاء فى (ص ١٠٣ سطر ١٠) تعبير «لتحليل النيتروجين»، وصحته لتثبيت النيتروجين .

٢٨ ـ جاء فى (ص ١٠٤ سطر ١) تعبير «احتك الرعد فى الفضاء»، وصحته رعد الرعد فى السماء .

٢٩ ـ جاء فى (ص ١٠٤ سطر ١٠) تنقص لفظة «تم» قبل كلمة اكتشافنا .

٣٠ـ جاء فى (ص ١١٠ سطر ١٧) تعبير «عندما يندمج الجزىء بالخلية»، وصحته لاندماج الجزىء بالخلية .

٣١ ـ جاء فى (ص ١١١ سطر ١٩) تعبير : «إن الأرض لم توجد إلا منذ بليونين من السنين»، وصحته إلا من قبل ٥ آلاف مليون سنة .

٣٢ ـ جاء فى (ص ١١١ سطر ١٠) تعبير «وأن الحياة فى أى صورة من الصور لم توجد إلا قبل بليون سنة»، وصحته لم توجد قبل حوالي أربعة آلاف مليون سنة (٣,٨ بليون سنة) .

٣٣ـ جاء فى (ص ١١٢ سطر ٢) تعبير: «إن كوننا موجود منذ ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة»، وصحته (١٣,٧) بليون سنة.

٣٤ـ (ص ١١٢ الفقرة الثانية) يجب أن تعاد صياغتها؛ لأن العلم لا يعرف الصورة القاطعة «سطر ٦» كما أن النظرية الواردة عن أصل الأرض ما هى إلا أحد الفروض المطروحة، وقد استحدثت فروض أخرى أكثر قبولاً منها.

٣٥ـ والفقرتان الثالثة والرابعة فى (ص ١١٢) وكذلك الفقرة الأولى والثانية فى (ص١١٣) عن تقدير عمر الأرض يجب أن تعاد صياغتها لما بها من أخطاء علمية واضحة، كتعريف عملية الإشعاع، وكذكر أن التجارب أثبتت أنه قد مر ١٤٠٠ مليون سنة على تجمد أقدم جبال الأرض، علمًا بأن أقدم الصخور الظاهرة على سطح القشرة الأرضية قد حدد عمرها بحوالى ٣٦٠٠ مليون سنة، وهى صخور جرانيتية تظهر فى منطقة «دودوم» بجمهورية تانزانيا، وأن كوكبنا الأرض قد تحول من صورته الابتدائية إلى صورته الحالية منذ خمسة آلاف مليون سنة على أقل تقدير، وليس منذ ألفى مليون سنة.

الباب الخامس: (دليل الآخرة)

عرف المؤلف الآخرة بأنها عالم آخر غير عالمنا الحاضر، هو عالم الخلود، بينما عالمنا هذا هو مكان للاختبار والابتلاء وجد فيه الإنسان لأجل معلوم، وأن الله ـ تعالى ـ سوف ينهى هذا العالم عندما يحين أجله، وأن الناس سيبعثون من بعد موتهم؛ وسوف تعرض أعمالهم على محكمة الله الذى يجزى كل إنسان بما عمل فى الحياة الدنيا. وفى ذلك بدأ المؤلف باستعراض عدد من القضايا التى منها ما يلى:

(أ) إمكان حدوث الآخرة: وتحت هذا العنوان قال مؤلف الكتاب إن فكرة الآخرة تقتضى أول ما تقتضى ألا يكون الإنسان والكون فى شكلهما الحالى أبديين، وقد أوضح فى أبواب الكتاب السابقة أن أبدية الكون والإنسان مستحيلة؛ فالإنسان يموت، والكون سينتهى فى وقت ما طبقًا لقانون الطاقة المتاحة، وكما أخفقت كل المحاولات لدرء الموت عن بنى الإنسان تخفق محاولاته للاحتفاظ بكونه من الفناء.

وليس أدلَّ على ذلك من الكوارث الطبيعية والأخطار التى تتهدد أرضنا فى كل لحظة من اللحظات كالزلازل والبراكين والعواصف والأعاصير، وفى ذلك يستشهد الكاتب بمقولة لعالم الطبيعة الأرضية «جورج جامو» التى يقول فيها «. . . هناك جهنم تلتهب تحت بحارنا الزرقاء ومدننا الحضارية المكتظة بالسكان، وبعبارة أخرى نحن واقفون على ظهر لغم (ديناميت) عظيم، ومن الممكن أن ينفجر فى أى وقت ليدمر النظام الأرضى بأكمله». وأضاف كاتب الكتاب: الأستاذ وحيد الدين خان ما ترجمته: إن الزلازل الأرضية لدليل ناطق بأن خالق الأرض قادر على تدميرها فى أية لحظة يشاء، ثم يضيف المؤلف أن مجرد تصور الإنسان موضع الكوكب الذى يحيا عليه (الأرض) والفضاء الكونى وما يدور حوله من مهالك، التى منها أمطار الأشعة الكونية، واحتمال التصادم بين الأجرام السماوية، وارتطام النيازك ليؤكد فكرة الآخرة التى تقرر أن نظام الكون الموجود حاليًا سوف يدمر يومًا ما، فالقيامة حقيقة فى أعماقنا مشاهدة أمام ناظرينا، وهى تنتظر الأرض ومن عليها فى واقع الغد.

(ب) فكرة الحياة بعد الموت: وفى ذلك يستند المؤلف على أن بعثرة الذرات المادية فى الجسم الإنسانى لا تقضى على الحياة، فإن الحياة مستقلة بذاتها بعد بعثرة الذرات المادية وتغيرها، فمن المعروف أن بجسم الإنسان أكثر من ألف مليون مليون خلية يتبدل منه فى كل ثانية ١٢٥ مليون خلية فى المتوسط، ولو حسبنا معدل التجدد فى هذه العملية فسنجد أن الإنسان يغير خلايا جسده بالكامل مرة كل عشر سنين تقريبًا، بمعنى أن فناء الجسد المادى يستمر، ولكن الإنسان فى الداخل يبقى كما كان: شخصيته، علمه، عاداته، حافظته، أمانيه وأفكاره تبقى كلها كما كانت، إنه يشعر فى جميع مراحل حياته أنه هو هو الإنسان السابق الذى وجد منذ عشرات السنين، ولا يحس بأن شيئًا من أعضائه قد تغير، ولو كان الإنسان يفنى بفناء جسده لكان لزامًا أن يتأثر بفناء الخلايا وتبدلها بالكامل، وهذا فى حد ذاته يؤكد أن حياة الإنسان شيء آخر غير جسده، وهى باقية رغم تغير الجسد وتحلله. وعلى ذلك **فإن الشخصية تعرف بأنها عدم التغير فى عالم التغيرات**.

(جـ) ضرورة الآخرة: وبعد هذه المقدمة عرج المؤلف على ضرورة الآخرة، فقال: إن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم، هو المجازاة على أعمال الدنيا خيرًا كان أم شرًّا

ويتضح ذلك حين تعلم أن أعمال كل إنسان تسجل وتحفظ بصفة دائمة وبغير توقف، وأن للإنسان أبعادًا ثلاثة يعرف من خلالها هى : نيته، وقوله، وعمله . وهذه الأبعاد الثلاثة تسجل بأكملها فى الفضاء الكونى، فكل خاطرة تخطر على بال، وكل حرف يتحرك به اللسان، وكل عمل يصدر عن عضو من الأعضاء يسجل فى الأثير (أى الفضاء)، ويمكن عرضه فى أى وقت من الأوقات بكل تفاصيله ليعرف الإنسان كل ما قدمت يداه فى هذه الدنيا .

كما تسجل أعمال الإنسان فى الأثير فهى أيضًا تنقش فى صفحة اللاشعور فلا تزول إلى الأبد، ولا يؤثر فيها تغيرالزمن . ويحدث هذا على الرغم من الإرادة الإنسانية . وهذا يؤكد بكل صراحة إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان فى حيازته عندما يبدأ حياة الآخرة . فوجوده نفسه سوف يشهد على أقواله وأعماله ونياته . هذا بالإضافة إلى أن أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لأقوال الإنسان وأعماله وتفكيره بدقة فائقة وإلى الأبد، فكأننا نعيش أمام آلات تصوير وتسجيل دقيقة تعمل بلا انقطاع، ولا تفرق بين ليل أو نهار . وعلى ذلك فإن جميع أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا تسجل بدقة تامة، وأنها سوف تعرض أمام المحكمة الإلهية . والتاريخ يدلنا على وجود الحاجة إلى الآخرة كغريزة إنسانية منذ أقدم العصور . فإن تطلع الإنسان نفسه إلى عالم آخر لدليل فى ذاته على أن شيئًا من ذلك موجود فى الحقيقة التى أعدت هذا النظام العظيم لتحضير كل الأجهزة الكونية اللازمة لتسجيل الشهادات التى لايمكن تزويرها لكل فرد من أفراد الخلق المكلف .

(د) **الحاجة إلى الآخرة**: ثم عرج المؤلف إلى الحديث عن الحاجة إلى الآخرة، عن **ضرورة نفسية وضرورة أخلاقية**؛ حيث لم يخلق هذا العالم ليكون مسرحًا للمآسى والهمجية والقرصنة، ثم لا يلقى كلٌّ من الظالم والمظلوم جزاءه وفاقًا . والحاجة إلى الآخرة تنطلق أيضًا عن ضرورة سلوكية؛ إذ إن حاجتنا إلى الآخرة ملحة لتنظيم الحياة وإقامتها على أسس عادلة حقيقية، وهذه الحاجة هى فى حد ذاتها تأكيد بأن الآخرة من كبريات حقائق الكون، ثم هناك **الضرورة الكونية** لتفسير حكمة الخلق نفسها، **وضرورة عمران الأرض**، ثم **الشهادة التجريبية**، أو كما يقول المؤلف إن أول دليل على الحياة الثانية هو حياتنا الأولى فى حد ذاتها، فإمكان حدوث الحياة الأخرى أقوى نظريًا

من حدوث الحياة الأولى، ثم هناك **البحث النفسى،** وأساسه اللاشعور» الذى لا يدرك العلم له وجودًا محسوسًا، فلو كان منقوشًا على الخلايا كالصوت مسجلاً على الأسطوانات فإن تلك الخلايا التى سجلت ذلك الحادث قبل سنين قد تحطمت وتبدلت ولم تصبح لها علاقة بالجسد الموجود الآن، وهذا فى حد ذاته شهادة تجريبية تثبت أن هناك عالمًا آخر خارج أجسامنا المادية، عالم مستقل بذاته استقلالاً كاملاً، وهذا العالم لا يفنى بفناء الجسد جزئيًا أو كليًا، وهناك **البحوث الروحية** التى تؤكد أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادى فى صورة لا نعلمها مما يؤكد أن الحياة بعد الموت واقع حقيقى، وفى ذلك يقول الدكتور «دوكاس»: «ويتضح من هذا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت ـ التى يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة دينية ـ ليس من الممكن أن تكون واقعًا فحسب، وإنما لعلها هى الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التى يمكن إثباتها بالدليل التجريبى . . . ».

وهذا الباب من أجمل أبواب الكتاب؛ لأنه يناقش قضية طال فيها الجدل، وكان من الممكن حسم هذه القضية بالإشارة إلى حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب» (أخرجه الإمام مسلم). وهذا الحديث أثبته مختبريًا العالم الألمانى هانز سپيمان أستاذ علم الحيوان بجامعة هومبولت ـ برلين، ونال على إثباته جائزة نوبل فى العلوم سنة ١٠٣٥م دون أن يطلع على نص الحديث أو يعلم به.

الباب السادس: (إثبات الرسالة)

ذكر المؤلف أن من العقائد المهمة فى الدين، بعد الإيمان بالله، الإيمان بالرسالة (أو الوحى والإلهام) ومعناها أن الله ـ تعالى ـ ينزل هدايته لخلقه على إنسان يختاره من بين الناس ليخبرهم بما يأمر به ـ سبحانه وتعالى ـ وللتدليل على ذلك ذكر أن كثيرًا من الوقائع التى تجرى من حولنا نعجز عن إدراكها بواسطة حواسنا، بينما يستطيع العلم أن ييسر لنا إدراكها بفضل الاختراعات الحديثة التى تمكننا أن نسجل صدام الأشعة الكونية فى الفضاء مثلاً. وكان اختراع هذه الأجهزة الدقيقة استنباطًا مما تتمتع به المخلوقات

الحيوانية من أجهزة غاية فى الدقة؛ فهناك كثير من الحيوانات تستطيع أن تسمع موجات صوتية لا تدركها حاسة السمع فى الإنسان، وهناك من البشر من يمكنه التواصل مع غيره عن بعد دون واسطة مادية، وهو ما يسمى بقوة الإشراق. وهنا يستدرك الكاتب فيقول: «وإذا كان الأمر كذلك، فما وجه الغرابة فى قول إنسان إنه يسمع صوتًا من لدن ربه لا يدركه عامة الناس، ويضيف «إن الله تعالى ـ لحكمة يعلمها ـ يرسل رسائله بوسائل خافتة خفية إلى الإنسان المختار للرسالة بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها» ويستخلص المؤلف أنه لما كان الإنسان يستطيع تحويل الأفكار بأكملها إلى إنسان آخر على بعد غير عادى منه وبدون استعمال أية واسطة مادية ظاهرية، فلماذا تستحيل هذه العملية بين الإله وعباده؟ . ! ! إن الإشراق أمر معروف لدى الناس، وهو يدلنا على فهم النظام الإشراقى العظيم بين الإله والعباد، والذى يكون فى أكمل صورة حين يبلغ درجة الوحى الذى يمكن وصفه بأنه إشراق كونى من نوع الإشراقات التى نعهدها فى حياتنا على مستويات محدودة.

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن **ضرورة الرسالة** فقال: إن أكبر دليل على ذلك هو أن الأمر الذى يخبر عنه الرسول هو من أهم ما يتعلق بحياة الإنسان ومصيره وهو من الحقائق التى لم يستطع الإنسان أن يهتدى إليها بجهوده الشخصية، وفى هذا أكبر دليل على أن الإنسان فى حاجة إلى هدى الله.

وانتقل الكاتب الكريم بعد ذلك إلى الحديث عن مقياس الرسالة، فقال: إن من أعظم الأدلة على صحة دعوى نبوة سيدنا محمد ﷺ أنه رجل مثالى بصورة غير عادية، وهذا طبيعى؛ لأن الذى يصطفى ليكون كليم الله وليكشف للإنسان دوره فى الحياة، لا بد وأن يكون أسمى شخصية إنسانية فى زمانه، كما لا بد وأن يكون حاملاً للمثل العليا فى الحياة العليا. فإذا كانت حياته الذاتية متصفة بكل ذلك فهى أكبر دليل على صحة ما يقول، ثم إن كلامه ورسالته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مليئتان بجوانب من الكمال البشرى يستحيل تحققها للإنسان العادى، ولا يمكن لبشر عادى محاكاتها، وفى ذلك يستشهد الكاتب الكريم بقول للدكتور لتز جاء فيه ما ترجمته: «إننى لأجرؤ بكل أدب، أن أقول: إن الله الذى هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها، لو كان يوحى إلى عباده فدين محمد هو دين الوحى، ولو كانت آيات الإيثار، والأمانة والاعتقاد الراسخ

القوى، ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل، هى الشاهدة على الإلهام، فرسالة محمد هى هذا الإلهام».

وهذا الفصل أيضًا من الفصول الجيدة فى الكتاب، وإن كان المقام لا يزال محتاجًا إلى مزيد من الأقوال العديدة المنصفة لمقام خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ والصادر عن العديد من الشعراء والأدباء، والفلاسفة والمفكرين من غير المسلمين.

الباب السابع: (القرآن صوت الله)

فى هذا الباب يقول المؤلف: إن الكتاب الذى جاء به صاحب الرسالة الخاتمة ﷺ مثبتًا أنه منزل من عند الله، فإن هذا الكتاب المسمى باسم القرآن الكريم يفيض بما يدل صراحة على أنه ليس بكلام إنسان، وأنه حقًا وحى من الله، واستدل على ذلك **بإعجاز القرآن من النواحى اللغوية والتاريخية والعلمية**، فمما لا شك فيه أن العرب ـ وهم الذين لم يعرف لهم مثيل فى التاريخ، فى البلاغة والبيان ـ قد ركعوا أمام القرآن معترفين بعجزهم عن الإتيان بمثله، فلزمتهم بذلك الحجة، ومن الناحية التاريخية لا نجد غير القرآن الذى تحققت نبوءاته حرفًا حرفًا، وهذا الواقع وحده يكفى لإثبات أن هذا الكلام صادر عن عقل فوق الطبيعة يمسك بزمام الأحوال والحوادث، وهو على معرفة بكل ما سيحدث منذ الأزل وإلى الأبد، وفى ذلك يستشهد المؤلف بالآيات الكريمة التالية: (١) ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ (المجادلة: ٢١). (٢) ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (الصف: ٨). (٣) ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (التوبة: ٣٣). وهى نبوءات بانتصار المسلمين جاءت فى وقت كانوا فى أسوأ أحوالهم مكشوفين فى عراء المدينة المنورة، يترقبون الأعداء من كل جانب. (٤) وكذلك الآية الكريمة التى يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**الم ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ (الروم: ١ ـ ٤).

ومن مزايا القرآن الكريم التى تشهد بأنه وحى من الله العظيم أنه على الرغم من نزوله قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة فإن جميع الإشارات العلمية التى وردت

به صحيحة غاية الصحة، دقيقة غاية الدقة، يبدو إعجازها بازدياد الكشوف العلمية، ولم يستطع أحد على مر التاريخ، ولن يستطيع أحد من اليوم وحتى قيام الساعة إثبات خطأ واحد فى القرآن الكريم علمًا بأن أعمال العلماء المتخصصين والبارزين فى تخصصاتهم لا يكاد ينقضى عليها بضع سنين حتى تتكشف عيوبها ويتضح قصورها وعوارها، وتبين جوانب النقص بها.

وفى ذلك يقول المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ : إن من آيات القرآن الكريم ما عرف عنه الإنسان ـ حتى ذلك العصر ـ أموراً جانبية وسطحية، ومنها ما لم يعرف عنه شيئًا، وعلى ذلك فإن مطابقة كلمات القرآن وألفاظه لكثير من الكشوف العلمية الحديثة مفاده أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعة موضوع البحث، فتوفرت لدينا أفكار نافعة لتفسير الإشارات القرآنية فى ذلك الموضوع، ولو أن دراسة المستقبل فى موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليًا أو جزئيًا فليس هذا بضائر صدق القرآن، بل معناه أن المفسر قد أخطأ فى محاولته لتفسير إشارة مجملة فى القرآن. ويقول المؤلف: إنه لعلى يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة ستكون أكثر إيضاحًا لإشارات القرآن، وأكثر بيانًا لمعانيه الكاملة. واستشهد المؤلف فى ذلك بعدد من الآيات القرآنية واستنتاجاتها العلمية فى كثير من المجالات، واتفاق ذلك مع أحدث الكشوف العلمية وأدقها.

وهذا الباب أيضًا من أجمل ما جاء بالكتاب وإن كان هناك عدد من الأخطاء التى وردت فيه، والتى يمكن إيجازها فيما يلى:

١ ـ جاء فى (ص ٢١١، سطر ١٤، ١٥) النص التالى: «ويبقى الماء عذبًا تحت الماء الأجاج» والحقيقة أن الماء العذب أقل كثافة من الماء المالح؛ ولذلك يطفو على سطحه ولا يوجد تحته.

٢ ـ كذلك جاء فى (ص ٢١١، سطر ٢١) ما نصه: «قانون المط السطحى» وصحته «التوتر السطحى».

٣ ـ جاء فى (ص ٢١٥ الفقرة الأولى) النص التالى: «. . . تمثل إحدى النظريات الواردة فى هذا المعنى، وهى كثيرة، ومنها ما هو أحدث من تلك النظرية التى أوجزت»

وربما كان من الأنسب سرد النظريات كلها، أو على الأقل أحدثها. وقد ورد فى هذه الفقرة ما يلى: «وقد حدث انفجار شديد فى هذه المادة قبل ٠٠٠, ٠٠٠, ٠٠٠, ٠٠٠, ٥ سنة على الأقل «بينما يثبت العلم الحديث أن العناصر فى مجرتنا قد تكونت فى حدود الفترة من ٧٠٠٠مليون إلى ٦٥٠٠ مليون سنة مضت.

وفى الفقرة الثانية يذكر المؤلف ما ترجمته: «ويعتقد العلماء أن دائرة المادة كانت ألف مليون سنة ضوئية فى أول الأمر، وقد أصبحت هذه الدائرة الآن كما يقول البروفيسور إدينجتون عشرة أمثالها، وهذه العملية من التوسع والامتداد مستمرة دونما توقف، وفى الحقيقة إذا رجعنا بعملية الاتساع هذه مع الزمن إلى الوراء بعملية معاكسة لسرعة انتشار المجرات وتشتتها فى الفضاء يثبت أنها كانت كلها فى الماضى البعيد متقاربة من بعضها، وأن المسافات بينها تقل كلما تقادم بنا الزمن حتى نصل إلى الجرم الأول الذى احتوى على كتلة وطاقة الكون الذى نراه الآن لاجتمعت فى حجم لا يتجاوز أكثر من ثلاثين مرة حجم الشمس، وبكثافة تقارب ٢٥٠ مليون طن للسنتيمتر المكعب». والجسم الأولى كان متناهى الضآلة فى الحجم حتى لا يكاد يدرك، ومتناهى الضخامة فى كم المادة والطاقة حتى لتتوقف عندها كل قوانين الفيزياء النظرية والكمية.

٤ ـ جاء فى (ص ٢١٨) المسمى « علم طبقات الأرض»، وصحته« علوم الأرض».

٥ ـ جاء فى (ص ٢٢٠ سطر ١٩) النص التالى: «وكأن نجد فيها دواب وأسماكًا ونباتات» والصحيح بقايا كائنات حيوانية ونباتية.

٦ ـ جاء فى (ص ٢٢٢) عدد من الأرقام على الخرائط، وهى أرقام غير دقيقة.

الباب الثامن: (الدين ومشكلة الحضارة)

وفيه يثبت المؤلف أن البشر لا يستطيعون وضع دستور لهم بدون هدى من الله، ويستشهد فى ذلك بقول للدكتور« فريدمان» جاء فيه ما ترجمته: «. . . لا بد من هداية الدين لنقيم المعيار الحقيقى للعدل. والأساس الذى يحمله الدين لإعطاء العدل صورة عملية ينفرد هو به فى حقيقته وبساطته». ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى مصدر التشريع فيقول إن مصدرالتشريع هو الله وحده، خالق الكون، فالذى أحكم قوانين الطبيعة هو

وحده الذى يليق به أن يضع دستور حضارة الإنسان ومعيشته، وليس هناك من أحد غيره ـ سبحانه ـ يمكن تخويله هذا الحق، فلا يمكن قبول إنسان حاكمًا ومشرعًا للإنسان؛ حيث إنه لا يتمتع بهذا الحق إلا خالق الإنسان وحاكمه الطبيعى وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى العناصر الأساسية للتشريع، فيقول: إن الحل الوحيد لمشكلتنا هو الشرع الإلهى الذى يمنحنا جميع العناصر الأساسية الضرورية ويترك الباقى مفتوحًا للاجتهاد بحسب الزمان والمكان. والتشريع الإلهى لا يستطيع الإنسان ـ مهما أوتى من أسباب الذكاء والفطنة ـ أن يأتى ببديل عنه.

وبعد ذلك ينتقل الكاتب إلى تحديد مفهوم كلٍّ من الجريمة، والقانون، والأخلاق، ويتحدث عن **القانون والفرد، والقانون والعدل**، ثم يعرج على موضوع **المرأة والمجتمع**، ثم يتحدث عن قضية **التمدن والمعيشة**، ويوجز ذلك كله بقوله: إن التجارب القاسية التى خاضتها البشرية تؤكد لنا أن الله الذى يعرف دقائق الطبيعة البشرية، ويفهم عمق مسائلها ومشكلاتها يجب أن يكون هو ـ ولا أحد سواه ـ واضع قوانينها، فهو منبع القانون الحقيقى، ويؤكد ذلك أن فى الدين جوابًا محددًا لكل الأسئلة التى تؤرقنا فى حياتنا الدنيوية، وفيما بعد هذه الحياة الدنيوية. إنه يوجهنا إلى المَشرِّع الحقيقى، ويضع لنا الأساس السليم للقانون الإلهى، وهو يمنحنا أساسًا صائبًا لكل مسألة فى الحياة البشرية، وهو الصورة الوحيدة للمساواة الكاملة بين الحاكم والرعية، ويهيئ الأساس النفسى الذى يصبح القانون بدونه بلا فائدة، كما يخلق لنا ذلك المناخ المناسب الذى لا بد منه لتطور أى مجتمع تطورًا حيويًا وفعالاً.

وفى هذا الباب تألق الكاتب كأحد الفلاسفة المسلمين المعاصرين تألقًا واضحًا للعيان فجزاه الله خير الجزاء.

الباب التاسع: (الحياة التى ننشدها)

فى هذا الباب الأخير من الكتاب يصور المؤلف فى خاتمة مطافه صورة الحياة التى ننشدها فيقول: «إن الحالة التى تنعدم فيها الطمأنينة والاستقرار لدى القلوب المحرومة من رحمة الله ليست مسألة أيام هذه الدنيا المؤقتة وسنيها، وإنما هى أهم من ذلك بكثير،

إنها مسألة أزلية وأبدية، تتمثل فيها آثار الحياة المعتمة الحالكة التى يقف عليها هؤلاء، إنها البادرة الأولى لحياة الحنق الأبدية التى سوف يواجهونها بعدم موتهم. . إنها أجراس التنبيه الأولى فى حياتهم، تنذرهم بالأحوال الرهيبة والظروف المردعة التى تنتظرهم. . !!»

واختتم كتابه بمقتطف من كلام العالم الأمريكى «كريسى موريسون» الذى يؤكد فيه على ضرورة الإيمان بالله، فيقول: «إن الاحتشام، والاحترام والسخاء وعظيم الأخلاق، والقيم والمشاعر السامية، وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية - لا يمكن الحصول عليه عن طريق الإلحاد؛ فالإلحاد نوع من الأنانية؛ حيث يحاول الإنسان المجد الجلوس على كرسى الله وهو مقام لا يمكن للإنسان الوصول إليه. . . !! لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين، سوف يتحول النظام إلى فوضى. . . ، سوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك بالقيم. . . ، سوف يتفشى الشر فى كل مكان، إنها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله».

تعليق

على الرغم من أن الكتاب لم يخل من بعض الملاحظات التى سبق أن أشرنا إليها بإيجاز خلال العرض السابق، **إلا أنه يعتبر فتحًا جديدًا فى أسلوب مخاطبة العقل البشرى فى عصر طغت فيه المادة**، وبعد فيه الناس عن طريق الله، وفتنوا فتنة كبيرة من إنجازات بما حققه العلم والتقنية الحديثة، سواء كان ذلك فى الغرب أو الشرق. ففى الغرب كان فشل الكنيسة فى إقناع الناس سببًا فى الموقف العدائى الذى اتخذه عدد كبير من الكتاب والمفكرين من ضرورة الإيمان بالله، . . وفى الشرق كان تخلف المسلمين علميّا وتقنيّا سببًا فى فتنة بعضهم بالإنجازات العلمية الحديثة، كما كانت سببًا رئيسيًا فى ندرة العالم المسلم الذى يكتب فى مجال تخصصه انطلاقًا من قاعدة الإيمان الصادق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن سيدنا ونبينا محمدًا هو خاتم أنبياء الله ورسله، وأنه ﷺ كان موصولاً بالوحى ومعلمًا من قبل خالق السماوات

والأرض ـ سبحانه وتعالى ـ ولذلك وصفه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥]؛ ولذلك عاش المسلمون فى هذا العصر على فتات موائد الفكر الغربى، فجاءت كتاباتهم فى أغلب الأحوال ترجمة مشوهة للفكر الغربى الذى ينطلق فى أساسه من قاعدة مادية بحتة. وفى وسط هذا البحر الزاخر من البلبلات الفكرية، والتشويه، والتحريف المقصود وغير المقصود ضاعت رسالة الإنسان فى الحياة من أغلب الناس، كما ضاع كثير من المفاهيم الأساسية التى حققها العلم الحديث فى إثبات عظمة الكون وعظمة خالقه، وإثبات أن لهذا الكون بداية، وأنه لا بد أن ستكون له فى يوم من الأيام نهاية، وأن هذا الكون كله على دقة بنائه، وشدة ترابطه، وعظمة اتساعه محفوف بالمخاطر، و أنه لولا رحمة الله ـ تعالى ـ بخلقه، ورعاية هذا الخالق العظيم لعباده وللكون كله ما كان هذا الوجود أبدًا... ! فالله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى خلق هذا الكون على أدق صورة وأروعها هو الذى يرعى خلقه، ولولا رعايته لنا ولكل ما فى هذا الكون من وجود لهلكنا وهلك كل ما حوالينا. هذه حقائق أكدها العلم الحديث بما لا يرقى إليه شك، كما أكدتها الفطرة السوية والمنطق السليم، ولم يبق إلا أن يحمل مشاعلها رجال ونساء يؤمنون بها، ويفهمونها حق فهمها، ويحملونها إلى أهل الأرض جميعًا باللغة الوحيدة التى يفهمونها اليوم، ألا وهى لغة العلم التى أصبحت هى لغة العصر.. وهنا يأتى كتاب «**الإسلام يتحدى**» خطوة على الطريق أرجو أن تتبعها خطوات فنرى كتب العلوم، والفنون، والآداب التى يدرسها طلابنا فى المدارس والمعاهد والجامعات، والتى يتداولها عامة الناس وخاصتهم على حد سواء تُبنى على هذا الفهم الإيمانى العميق، وتنطلق من منطلقه.. وحينئذ سوف يتربى الشاب المسلم والفتاة المسلمة على المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ويتجنب الجميع ما يعانونه الآن من تشتت فكرى، ونفسى، بين ما أشبعت به نفوسهم فى بيوتهم ومجتمعاتهم المسلمة من ركائز الإسلام العظيم، وبين ما يتلقونه فى مختلف مراحل التعليم من فكر غربى مستورد، أساسه الإلحاد، ومنطلقه أبعد ما يكون عن الإيمان.

ويوم أن نتمكن من إيجاد الكيميائى المسلم والفيزيائى المسلم والجيولوجى المسلم والمهندس المسلم والطبيب المسلم.. إلخ.. ويوم أن يفهم كلٌّ من هؤلاء تخصصه من

منطلق إيماني صحيح، ويكتب فيه من هـذا المنطلق بلغة العصر ومنطقه سيفتح الله ـ تعالى ـ بهم أرجاء العالم شرقه وغربه؛ فإن الأصل في النفس البشرية الخير، والشر حالات طارئة عليها، وإن هذه النفوس الظمأى في مختلف أنحاء العالم لتتطلع إلى رواد مسلمين جدد ينبغون في علوم العصر، ويحملون بيد أفكاره، وباليد الأخرى يحملون مشعل الدعوة إلى الإيمان بالله.

وجزى الله الكاتب المؤمن، والمترجم الصادق، والمراجع الأمين خيرًا على هذا الجهد الطيب الذي أرجو أن يكون بداية تتبعه جهود أشمل وأكمل وأتم، والله من وراء القصد، وهو الموفق والمستعان، والهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

* * *



الكتاب السادس

« التفسير العلمى للقرآن فى الميزان »

تأليف: د. أحمد عمر أبو حجر **عرض: د. حسنى حمدان حمامة**

كتاب «التفسير العلمى للقرآن فى الميزان» هو رسالة دكتوراه للمؤلف تقع فى ٥٦٣ صفحة، وصدرت عن دار قتيبة فى كتاب طبعة أولى فى عام ١٩٩١م، بدون رقم إيداع أو رقم دولى، ويشتمل على افتتاحية ومقدمة وأربعة مباحث، وستة أبواب يشتمل كلٌّ منها على عدة فصول.

وهى دراسة حول مسألة التفسير العلمى من حيث نشأته وأسبابه، وقضية الإعجاز والتفسير العلمى، وأشهر من تناوله من المفسرين القدامى والمحدثين، وأشهر القائلين بالتفسير العلمى فى العصر الحديث، وكذلك أشهر المعارضين لهذه القضية قديمًا وحديثًا، ثم التفسير العلمى فى حاضره وماضيه، والقضايا التى يتركز حولها التفسير العلمى، سواء الكونية منها أو النفسية، ثم يعرض الكتاب صورًا من التفسير العلمى المردود والمقبول.

ويدون المؤلف فى خاتمة كتابه ١٠ نقاط جيدة يلحقها بالفهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأعلام والمصادر، والمراجع، وموضوعات الكتاب.

والكتاب مجهود محمود لتأصيل مسألة التفسير العلمى كمدخل يفيد الباحثين فى أصل المسألة.

تبدأ مقدمة الكتاب بتعريف معنى التفسير والتأويل، ثم يذكر مراحل نشأة التفسير ابتداءً من عهد النبى ﷺ، وتفسير الصحابة للقرآن، وقبل كل ذلك تفسير القرآن بالقرآن، وقد اختلف فى المقدار الذى بينه الرسول من تفسير القرآن، مع الإشارة بقول ابن عباس رضي الله عنهما: **«التفسيرعلى أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى»**، وفيما يتعلق بالصحابة يشير المؤلف إلى قول عمر رضي الله عنه: «عليكم بديوانكم لا تضلوا.. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية.. فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كتابكم». واختلف العلماء أيضًا فى أقوال الصحابة فى التفسير، هل لها حكم الحديث المرفوع أم هى موقوفة عليها؟ ثم يشير إلى مدارس التفسير بمكة والمدينة والعراق.

وعن التفسير بالرأى يخلص المؤلف إلى وجود تفسير مذموم وآخر ممدوح، ويعرف المؤلف التفسير العلمى للقرآن على أنه «التفسير الذى يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن فى ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه من حيث إنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التى لم يعرفها البشر وقت نزول القرآن».

وفى التمهيد للباب الأول يتناول الكتاب ثلاثة عناصر هى: موقف القرآن من العلم والعلم الذى دعا إليه القرآن، وعدم التعارض بين العلم والقرآن، ويذكر قول ابن تيمية: «لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين صحيح المنقول وصريح المعقول» وقول الشيخ المراغى: «إن حقائق العلم لا تتنافى مع القرآن أبدًا، ولكن النظريات العلمية التى لم تستقر بعد بأدلة يقينية ثابتة قد تختلف».

وعن نشأة التفسير العلمى وأسبابه يذكر المؤلف إلى أن من أسبابه: اطلاع علماء المسلمين على كثير من الثقافات التى لم ترق لهم، ومحاولة فلاسفة المسلمين التوفيق بين الفلسفة والقرآن، وتوجيه القرآن العقل إلى النظر فى ملكوت السماوات والأرض، ووسطية أمة الإسلام وخلود القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ثم يناقش التفسير العلمى بين المؤيدين والمعارضين، فالمؤيدون يرون أن:

١ ـ القرآن الكريم قد اشتمل على كل صغيرة وكبيرة.

٢ ـ كل ما دخل تحت نص قرآنى عام يعتبر قد نص عليه القرآن.

٣ ـ القرآن حجة على العباد .

٤ ـ لا ينبغى ألا يكون إدراك إعجاز القرآن موقوفًا على فصحاء العرب ومن شاكلهم فقط .

٥ ـ القرآن يحوى الكثير من الآيات الكونية .

وتتلخص أدلة المعارضين فى حتمية فهم ألفاظ القرآن فى حدود الاستعمال الذى نزلت فيه وفق ما فهمه العرب الخلص ، ومهمة القرآن ليست علمية ، وعدم إقحام نظريات العلم على القرآن حتى لا ينشأ الصراع بين العلم والدين ، ولما فيه من تكلف فى التأويل ، وأن السلف لم يتكلم أحد منهم فى الإعجاز العلمى ، وأخيرًا فإن النظريات العلمية ليست لها صفة الدوام .

ويجب التوقف عند أقوال الدكتور/ محمد أحمد الغمراوى من أنه لا ينبغى فى فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا كانت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه ، كما لا ينبغى ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالفروض ولا بالنظريات التى لا تزال موضع فحص وتمحيص .

ومن الصواب ألا نتجاهل الحقائق فى القرآن ، وفى الوقت نفسه لا نلتمس لكل مسألة علمية آية من كتاب الله زاعمين بذلك أنها توافق ما قال به العلم ، وأن الحقيقة العلمية إن لم يكن فى القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعًا ما يعارضها ، وأن القرآن فى تناوله للحقائق العلمية ليس كتابًا فى الكيمياء أو الهندسة أو غيرها ، وإنما يقرر حقيقة الألوهية الحقة للذى خلق الكون ، والحق كل الحق هو مذهب الوسط الذى لا إفراط فيه ولا تفريط ؛ لأنه ما دام القرآن كلام الله والكون خلق الله ، فلا بد أن تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم .

وعن قصة الإعجاز والتفسير العلمى يجب القول أولاً بأن القرآن هو معجزة النبى محمد ﷺ ، ويرى بعض العلماء فى القديم والحديث أن من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم اشتماله على العلوم والمعارف التى لم يعدها العرب ولا علماء أهل الكتاب ، ولم يشتمل عليها كتاب من قبل ، **وأن الإعجاز العلمى فى عصر العلم هو الذى يفحم أعداء الإسلام .**

وبالرغم من أهمية قضية الإعجاز فى عصر العلم، فهناك فريق يقول: «لقد عاش القرآن بين المسلمين يفعل فعله فى النفوس، ولا أحد يعرف هذه الحقائق العلمية، وسيبقى كذلك يفعل فعله فى النفوس، فالأمر لا يتطلب مسألة التفسير العلمى للقرآن.

ويسجل المؤلف ملاحظتين فى أن الإعجاز باعتباره مقرونًا بالتحدى لا يتحقق على وجهه الأكمل إلا فى الإعجاز البيانى، والدقة فى الأداء القرآنى الذى يتفق مع ما اكتشفه ويكتشفه العلم من حقائق، بحيث لا يوجد تناقض بينهما **هو منهج قرآنى** متناسق.

ويتحدث الباب الثانى عن أشهر من تناول التفسير العلمى قديمًا وحديثًا..

فقديمًا قال الإمام أبو حامد الغزالى: لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾** (الانفطار: ٦) إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان، وإذا كان الغزالى ومن قبله وضعوا الأسس النظرية للتفسير العلمى، فإن الرازى قد طبق ذلك عمليًا.

ويرى المؤلف من أشهر القائلين بالتفسير العلمى الشيخ محمد عبده[١]، والشيخ طنطاوى جوهرى، والسيد/ عبد الرحمن الكواكبى، والدكتور/ عبد العزيز إسماعيل والأستاذ/ حنفى أحمد.

ويلاحظ أن الشيخ/ طنطاوى جوهرى حينما وقف على تفسير «رب العالمين» فى فاتحة الكتاب قد حول القرآن إلى دائرة معارف، ويرى منتقدوه أن كتابه «الجواهر فى تفسير القرآن الكريم» فيه كل شىء إلا التفسير.

ومع تفسيرات الكواكبى المعتبرة يؤخذ عليه تأييده لنظرية النشوء والارتقاء بحسن نية حتى يجارى العلم السائد حيث ذر «وحققوا أن العالم العضوى ـ ومنه الإنسان ـ ترقى من الجماد، والقرآن يقول: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾**

(المؤمنون: ١٢).

---

(١) مع أن تفسيرات الشيخ محمد عبده الكونية تفسيرات معتبرة حول بناء السماء والجاذبية، إلا فى تفسيره للآية الثالثة من سورة الفيل بأنها من جنس البعوض، وأن هذا الحيوان الذى يسمى «بالميكروب» من هذا الطير، ولا نرى مغالاة فى تفسيرات الشيخ حول تسجير البحار وانشقاق السماء وبناء السماء!!.

وللأستاذ/ حنفى أحمد تفسيرات رائعة حول ضوء النجوم وحركتها وحجارة قوم لوط، ومن الأشياء الغريبة فى تفسيرات الدكتور/ عبد الرازق نوفل تقريره بأن البروتين الحيوانى خير من البروتين النباتى الذى هو أدنى، حيث يقول الحق مخاطبًا بنى إسرائيل: **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** (البقرة: ٦١) ومن تفسيراته الجانحة تفسير قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** (الأعراف: ١٨٩) بأن النفس الواحدة هى البروتين[١] وأن زوجها هو الإليكترون.

ويعد المؤلف من أشهر القائلين بالتفسير العلمى باعتدال الشيخ/ محمد نجيب المطيعى، والشيخ/ عبد الحميد بن باديس، والشيخ/ محمد مصطفى المراغى والشيخ/ محمد عبد الله دراز، والدكتور/ الغمراوى، والشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، والدكتور/ الفندى، ومن روائع الشيخ المطيعى إشارته إلى دوران الأرض، وحركة الجبال فى الدنيا وكذلك تفسير الشيخ/ عبد الحميد بن باديس حول آية الليل وآية النهار، وكذلك تفسيرات الشيخ/ المراغى حول عمد السماوات ورواسى الأرض، وأنواع الجبال. ولا يرى/ الشيخ دراز مانعًا من التفسير العلمى ما دام بعيدًا عن المبالغة. .

ومن أحسن التفسيرات العلمية للآيات القرآنية تفسيرات الدكتور/ الغمراوى حول حركة الجبال وظلمة السماء، وفتق الرتق، ويذكر الدكتور/ الفندى أن من مزايا القرآن الفريدة أن بعض آياته تحتمل العديد من التفسيرات السليمة، مثل الآية التى تتحدث عن

(١) يترجم الدكتور/ الغمراوى البروتون بالأبيب والإليكترون بالكهيرب.

تلقيح الرياح (الرياح لواقح) وتفسيرات الفندى بالظواهر الجوية والفلكية، وطريقة تكوين جبال البَرَد.

والآن نأتى إلى الإشارة بأشهر المعارضين للتفسير العلمى قديمًا وحديثًا، وهذا هو موضوع الباب الثالث من الكتاب.

وعلى رأس المعارضين قديمًا يأتى **الإمام الشاطبى** الذى يرى أنه لا يجوز أن يبحث أحد فى الآيات الكونية إلا فى حدود علوم العرب وقت نزول القرآن، ويرى المؤلف أن هذا تضييق وحجر لا تستسيغه ولا تقره الشريعة، كما لا يتفق المؤلف مع الشاطبى فى آرائه حول أمية الشريعة وأمية الرسول ﷺ وقصر العلوم على ما عند العرب فقط، مع أنه لم يكن لهم من العلم حظ كبير.

والإمام الشاطبى يلوم من أضافوا للقرآن كل علوم الأولين والآخرين، ويستدل على ذلك بأن السلف الصالح ـ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ـ كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أن تكلم أحد منهم فى شىء من هذا..

ويعتبر المؤلف أن من أشهر المعارضين للتفسير العلمى فى العصر الحديث الشيخ العلامة/ محمد رشيد رضا، والأستاذ/ أمين الخولى، والأستاذ/ عباس محمود العقاد، ووحيد الدين خان، وسيد قطب، والدكتور الغمراوى[1].

ويقول الشيخ/ محمد رشيد رضا: إن أكثر ما كتب فى التفسير العلمى يشغل قارئ القرآن عن مقاصد القرآن، ويقول الشيخ/ شلتوت: «فلندع للقرآن عظمته، ونحفظ عليه قدسيته ومهابته، وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم وتطمئن إليها العقول. ويرى الأستاذ/ أمين الخولى: أن النوايا الطيبة التى تحاول جعل الارتباط بين الدين والعلم إعجازًا للقرآن ربما كان ضرره أكثر من نفعه، وحسب كتاب الدين أنه لا يصادم الحقائق العلمية، ويؤكد العقاد على أننا مطالبون بفهم القرآن الكريم

---

(١) غريب أن يضم المؤلف الدكتور/ الغمراوى ضمن المعارضين للتفسير العلمى، مع أنى أرى أنه شيخ ورائد مدرسة التفسير العلمى، ويرجع إلى كتابه «الإسلام فى عصر العلم»، وكذلك وحيد الدين خان فى كتابه «الإسلام يتحدى».

والاستفادة من علوم العصر الذى نعيشه، ولكن من الخطأ أن نتلقى كل نظرية علمية على أنها حقيقة دائمة نحملها على معانى القرآن؛ لأن النظريات العلمية لا تثبت على قرار بين جيل وجيل، ويقول وحيد الدين خان: «إنى على يقين راسخ بأن الكشوف العلمية سوف تكون أكثر إيضاحًا لإشارات القرآن»، ولوحيد تفسيرات جيدة فى فهم رواسى الجبال، واتزان الأرض ومرج البحرين، وعمد السماء ودوران الأرض.. وغيرها.

وللدكتور/ الغمراوى تفسيرات عصرية دقيقة حول مفهوم العالمين، وجريان الشمس ودوران الأرض وكرويتها وسير الجبال.

ويرى الأستاذ/ محمد عزة دروزة: أن محاولات التفسير العلمى ما هى إلا إخراج القرآن عن هدفه الوعظى والتذكيرى، وتعريض له للتعديل والجرح اللذين يرافقان عادة الأبحاث العلمية على غير طائل ولا ضرورة، والشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقانى يقول: «إن القرآن كتاب هداية وإعجاز، وعلى هذا فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شىء من الكونيات».

ومع أن **الشهيد سيد قطب لا ينكر الانتفاع بما يكشفه العلم حول الكون** والحياة، إلا أنه يعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.

ويصف الدكتور/ على عبد الواحد التفسير العلمى بأنه خيانة، ويتفق معه **الأستاذ/** إسماعيل مظهر فى أن التفسير العلمى بدعة ضارة غير نافعة.

ونتوقف الآن عند القضايا التى تركز حولها التفسير العلمى من القضايا الكونية والقضايا النفسية..

أولاً: القضايا الكونية، وتشمل القضايا الآتية:

- أصل الكون.
- شكل الأرض.
- قضية السماوات السبع فى القرآن الكريم.

ـ قضية الحياة على الكواكب الأخرى.

ـ قضية أصل الإنسان.

فعن أصل الكون تدرجت المعارف حول أصل الكون من الماء إلى الفراغ اللامتناهى إلى الهواء إلى النار إلى السديم، واختلفت النظريات حول مراحل نشأة الأرض والسماوات ابتداءً من فتق الرتق حتى تكوين النجوم والكواكب والمجرات.

ومن المسائل التى تناولها التفسير العلمى **شكل الأرض** من حيث كرويتها ودورانها استرشاداً بدحو الأرض وتكور الليل والنهار، وعدم الاضطراب وإلقاء الرواسى، وعن السماوات السبع فى القرآن الكريم دار التفسير العلمى حول معنى كلمة السماء واختلف فى **تفسير السماوات السبع** بالسيارات فى المنظومة الشمسية أو مداراتها ولم يستطع العلم تحديد مفهوم دقيق للسماوات السبع، ومع تأكيد القرآن الكريم على أن عددها سبع، وعليه فالواجب على المسلم أن يثبت السماء كما أثبتها القرآن، ويشير المؤلف إلى أنه لم يرد فى القرآن دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب.

ومن القضايا التى بحثت فى التفسير العلمى **قضية الحياة** على الكواكب الأخرى غير الأرض، وقد أسفرت نتائج البحث فى علوم الفضاء على أنه من المحتمل أن تكون بعض الكواكب داراً للأحياء، وبعضها لا تسمح ظروفه بوجود حياة، أى أنه ليس من الغريب أن تكون بعض الأجرام السماوية مسكونة وعامرة بالأحياء، بل الغريب ألا تكون كذلك، وإن كان العلماء لم يتوصلوا بوسائلهم العلمية الحاضرة إلى مشاهدة هذه الأحياء.

ويقول عدد من المفسرين: إن هناك كثيراً من الآيات القرآنية التى تشير إلى أن فى السماوات حياة وأحياء غير الملائكة، ولعل أصرح آية فى هذا الموضوع قوله تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾** (الشورى: ٢٩). هذا وقد اختلف المفسرون فى كون الدواب فى الأرض لا غير أم فى السماوات والأرض، وللعلماء لطائف فى قوله تعالى: **﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ**

إذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ حيث تشير الآية إلى إمكانية اتصال أهل الأرض بسكان الكواكب، أم أن المقصود الجمع يوم القيامة للعرض والحساب؟

والقضية الخامسة التى تناولها التفسير العلمى هى **قضية أصل الإنسان**. .

والإنسان مخلوق من التراب، حيث قرر القرآن أن آدم عليه السلام خلق من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، وكلها راجعة إلى التراب، وفى الوقت الذى أشار القرآن إلى مراحل تطور خلق الإنسان طوراً بعد طور لم يشر إطلاقاً إلى تحول الإنسان من نوع إلى نوع آخر!!

ومن المؤسف حقّا أن تلاقى آراء بعض المفكرين الإسلاميين مثل: ابن خلدون مع نظرية دارون فى بعض الجوانب، ويكفى أن تمعن الفهم فى نص كتب فى مقدمة ابن خلدون «ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان، آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذور له، وآخر أفق النبات مثل الكرم والنخل متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب أن يصير أول أفق الذى بعده، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية. اهـ.».

وقد تصدى للرد على مذهب دارون فى النشوء والارتقاء علماء الدين والعلوم الأساسية. ومن أروع ما قيل قول قائل: «هل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفًا من السنين ولا يولد مولود حتى يختن، وإلى الآن لم يولد واحد منهم مختونًا إلا لإعجاز، ولا توجد حلقات وسطى بين أنواع الكائنات حديثها وقديمها إلا فى رءوس القائلين بوجودها» إن إنكار النظرية لا يعنى عدم وجود مدافعين عنها.

ثانيًا: القضايا النفسية

جاء القرآن بما يمكن أن يعتبر القواعد الأساسية لعلم النفس؛ حيث سلك منهجًا لتهذيب النفس، وهو سبيل التدرج وعدم المفاجأة، وحوى تفصيلاً لمعظم الأصول

النفسية التى يصدر عنها سلوك الإنسان، وزود النفس بحارس أمين سماه العلماء بالرقيب، ووضع طريقًا لإعلاء النفس والتسامى بها؛ **فهو يدعو إلى إشباع الغرائز، ولكن بطريقة مشروعة، وفى غير مبالغة وإسراف، وتحدث عن عذاب الضمير ومعاناة** الشعور بالذنب فى قضية الثلاثة الذين خلفوا.

ولا تخلو من بحوث السابقين إشارات عن التحليل النفسى لبعض ما ورد فى القرآن الكريم، وأيضًا توجد إشارات نفسية وردت فى جهود المحدثين، مثل آراء الأستاذ/ عباس العقاد عن أعراض مرض البارانويا فى الشعب اليهودى، وكذلك الربط بين الإيحاء النفسى والتكرار، وتعليل دفوع القَسَم القرآنى فى ابتداء السور، وأثر ذلك على النفس.

ويتناول الباب السادس: (التفسير العلمى بين المنهج والتطبيق) ويقع فى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: صور من التفسير العلمى المردود.

الفصل الثانى: صور من التفسير العلمى المقبول.

الفصل الثالث: الطريقة المثلى للاستفادة من مقررات العلم فى توسيع مدلول النص القرآنى.

وفى الفصل الأول يورد المؤلف صورًا من التفسير العلمى المردود..

ومن الأمثلة التى يسوقها الكاتب على التفسيرات المغلوطة من وجهة نظره:

١ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾ [الرحمن: ٣٣]. بما توصل إليه العلم من غزو الفضاء؛ لأن التعبير بقوله ﴿**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**﴾ يفيد التحدى والتعجيز، ولفظ ﴿**تَنفُذُوا**﴾ يفيد مجاوزة جوانب السماء والأرض إلى ما بعدها، وهو أمر غير ممكن لهم، والسلطان من معانيه القدرة.

٢ ـ تفسير الدابة بالأقمار الصناعية فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ**﴾ (النمل: ٨٢).

٣ ـ تفسير الغشاء الأحوى بالفحم الحجرى فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (الأعلى: ٤، ٥).

٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (المرسلات: ١ ـ ٧) بالطائرات الحربية التى تقصف بقنابلها وتنشر المنشورات وتفرق بين الكتائب، وتلقى عذرًا عما بدر منها فى منشورات.

٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٤] باستخراج البترول والغاز.

٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ (المعارج: ٨ ـ ١٨) بمظاهر الحرب الحديثة.

٧ ـ ومنه تفسير (الميكروبات) بالملائكة.

٨ ـ معنى نقص الأرض من أطرافها: أى نقص أطراف الأرض عند القطبين وانبعاجها عند خط الاستواء، أو نقص غازاتها أو نقص مواردها الطبيعية، فى حين أن المقصود نقص أرض الكفار عن طريق زيادة أرض الإيمان[1].

ومن صور التفسير العلمى المقبول يسوق المؤلف بعضًا من التفسيرات التى يراها مقبولة ويورد منها:

١ ـ تفسير الدكتور/ الغمراوى حول قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ

(١) ثبت علميًا أن الأرض لها أطراف هى حواف قطع الأرض، وأنها تنقص فعلاً عند الحواف التى تتلاشى عندها الأطراف.

السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر : ٢٢). حيث ذكر أن التلقيح هنا بين قطيرات وقطيرات، أو بين سحاب وسحاب، لا بين زهر وزهر، أو نبات ونبات، فالآيات التى ذكرت فيها المعانى تلك تربط دائمًا بين إثارة السحب وهطول الأمطار، وإرسال الرياح، ثم يأتى تفصيل ذلك فى سورة النور فى الآية رقم ٤٣ حول تأليف السحابة.

٢ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٠). فى ضوء ما يعرف بظاهرة الأمطار الحمضية التى تحول الماء العذب إلى ماء حمضى.

٣ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦) حيث يتحول جزء من الغذاء إلى الدم الذى يذهب إلى ضرع الحيوان حيث يغذى الغدد اللبنية، أما الجزء الآخر من الغذاء فيتحول إلى الفرث، أى أن الله شطر الطعام شطرين هما الدم والفرث، وأخرج من بينهما لبنًا خالصًا.

٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، حيث أثبت العلم أن الصعود فى الجو يصحبه ـ دون شك ـ نقص فى الضغط الجوى وفى كميات الأكسجين بمعدلات سريعة تصل إلى حالة الاختناق.

٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة: ٣، ٤) فتسوية البنان هى بصمة تحقيق الشخصية التى تختلف من إنسان إلى إنسان.

٦ ـ تقديم السمع فى آيات القرآن الكريم، حيث تثبت الحقائق العلمية أن حاسة السمع تؤدى مهمتها أولاً، وحاسة البصر تؤدى مهمتها خلال عشرة أيام من ولادة الجنين، ومن جانب آخر فإن حاسة البصر لا تبلغ حاسة السمع فى الشمول واتساع

المدى. ويؤكد القول الأخير حينما يذكر القرآن السمع بلفظ الإفراد والبصر بلفظ الجمع، فالسمع يكاد يكون واحدًا، بخلاف البصر فإنه يتعدد بتعدد أحواله.

٧ ـ حكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير فى المنظور العلمى: فموت الحيوان يؤدى إلى احتباس الدم فى عروقه ويتعفن، ويحصل من أكله فساد عظيم، وفى حالة المنخنقة تتراكم جميع الإفرازات السامة بجسمها وتسبب التسمم عند أكلها. والسبب فى تحريم أكل الدم هو عسر هضمه وتعفنه واحتواؤه حينئذ على الجراثيم الضارة، كما أن أكل لحم الخنزير يسبب مرض الدودة الشريطية التى تصيب الإنسان.

٨ ـ حكمة تحريم الخمر، إلى جانب إذهابها للعقل؛ لها أضرارها الصحية منها إفساد المعدة، وفقد الشهية للطعام، ومرض الكبد، والكلى وداء السل، وتؤدى الخمر إلى سرعة نبض القلب وانخفاض درجة حرارة الجسم، وهى تضعف الجسم بصفة عامة..

٩ ـ المحيض وحكمة النهى عن القرب: أقر القرآن أن المحيض أذى، وأمر باعتزال النساء فيه، حيث أثبت العلم أن الاختلاط الجنسى فى فترة المحيض يضر بالمرأة أكبر ضرر، وهناك ضرر بالغ بالرجل، واغتسال المرأة بعد انتهاء فترة الحيض ضرورة طبية ونفسية.

وعن الطريقة المثلى فى الاستفادة من مقررات العلم فى توسيع مدلول النص القرآنى يضع المؤلف خطوطًا عامة للاستفادة من العلم فى إيضاح حقائق القرآن، وهى:

١ ـ التمسك بالنص القرآنى ومدلول اللغة دون تجاوزه إلى مفاهيم هى فى الواقع غريبة عنه ودخيلة عليه، حتى لا نخرج به عن الهدف الذى أنزل من أجله.

٢ ـ توافق المعنى المراد إثباته مع الآيات الأخرى الواردة فى نفس الموضوع.

٣ ـ ملاحظة سياق الآية أو الآيات بحيث لا تقطع الآية عن سابقها ولاحقها من الآيات وتفسر وحدها.

٤ ـ عند التطبيق وفق هذه المبادئ تذكر الحقائق العلمية بهدف تقرير عظمة القدرة الإلهية.

٥ ـ النظر فى تفسير الآيات الكونية يجب أن يتجه أولاً إلى تبيين هداية القرآن تبييناً علميّا، لا على أساس أن تجعل النظريات العلمية هى تفسير الآيات القرآنية.

ولك أن تتأمل الصفات العظيمة التى **وضعها الله فى كوكب الأرض** فى دورانها وغلافها الجوى وأغلفتها الداخلية، وجاذبيتها وحجمها، وموضعها فى المجموعة الشمسية، وتوازن محتوياتها لتشهد أن الله قد خلق كل شىء بقدر، **ثم تنظر إلى داخل النفس البشرية** وفى جسد الإنسان وخلاياه وأجهزته المختلفة لتقر بعظمة الخالق، ففى الأذن مائة ألف خلية سمعية، والعين تحتوى على مائة وثلاثين مليوناً من مستقبلات الضوء، وصدق الله العظيم فى قوله تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** (فصلت: ٥٢).

وفى خاتمة الكتاب يعرف المؤلف التفسير العلمى بأن نطبق ما قال به العلم على ما جاء فى القرآن الكريم لإثبات إعجاز القرآن، وإثبات عدم التناقض بين الدين والعلم، وأنه ما هو إلا فهم للآية أو الآيات لوجه من وجوه الدلالة على ضوء ما أثبته العلم. وأن القرآن هو **كتاب هداية أولاً وأخيراً، وليس كتاب علم على غرار كتب الكيمياء والطب**.. وغيرها، وينبه بشدة على ضرورة عدم قصر النص القرآنى على كشف علمى قابل للخطأ والصواب والتعديل والتبديل، فكل ما يستفاد من الكشوف العلمية هو توسيع مدلول الآيات الكونية فى القرآن الكريم كلما أثبت العلم جديداً، وليس بالقرآن ما يخالف العلم بحال من الأحوال، وما يبدو من ذلك لبعض الناس **فهو ناتج من خطأ فى فهم النص القرآنى أو من خطأ فى المعرفة العلمية**، كما يجب على الباحثين الابتعاد فى تفسير النص القرآنى عن البيانات الواهية المغايرة للعقل، المتعارضة مع قوانين العلم.

لا سبيل إلى الكشف عن خلود القرآن وشموله غير طريق استلهامه على الدوام والاهتداء بهديه، والتأمل فيه لاستخلاص الجديد من الفوائد، والتأكد من أن الذى يتغير ويتطور هو عقل الإنسان، ولا مبدل لكلمات الله.

***

الكتاب السابع

« مع القرآن فى الكون »

تأليف : أ. د. محمد جمال الدين الفندى **عرض : أ. د. كارم السيد غنيم**

صدر كتاب «مع القرآن فى الكون» لمؤلفه أ. د. محمد جمال الدين الفندى ـ رحمه الله ـ فى طبعته الأولى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ١٩٩٢م. يقع الكتاب فى (٢١٠) صفحة من القطع الكبير، وينتظم تقديمًا وواحدًا وثلاثين مبحثًا، وقائمة بكتب المؤلف المنشورة، وفهرسًا للموضوعات. والمؤلف معروف لقطاع كبير من المثقفين والقارئين بالعربية، إضافة إلى وجود عدد من الكتب التى وضعها ـ رحمة الله عليه ـ باللغة الإنجليزية، وجميعها فى مجال تخصصه (وهو علم الفلك والأرصاد الجوية) أو توظيف هذا التخصص فى شرح الآيات القرآنية، وهو ما يطلق عليه معظم الناس (الإعجاز العلمى للقرآن الكريم). ويعد المؤلف واحدًا من رواد القرن العشرين فى هذه الدراسات، وبالرغم من حبنا له وإجلالنا لقدره ودعائنا له بالرحمة والغفران وفسيح الجنان، إلا أننا سنحاول عرض الكتاب الحالى ـ كما تعودنا دائمًا ـ بحيدة تامة، وليس لنا سوى مصلحة القارئ وإظهار الصواب وإجلائه.

يبدو أن الكتاب كان فى الأصل مجموعة من المقالات نشرها صاحبها فى بعض المجلات الإسلامية، وهو أشبه ما يكون بسباحة فى أعماق الآيات الكونية الواردة بالقرآن (أو أعماق الإعجاز العلمى للقرآن ـ كما تكررت إشارة المؤلف إلى هذا فى

صدر العديد من مباحث الكتاب). ويستهدف المؤلف من هذا الكتاب بيان حديث القرآن الكريم (كتاب الله المسطور) بأسلوب معجز:

١ ـ عن الكون (كتاب الله المنظور) الزاخر بآيات الخلق الدالة على وحدانية الخالق وعظيم قدرته وشمول تدبيره وتقديره فى كل شىء.

٢ ـ دحض فرية الصدفة.

٣ ـ حث المسلمين (أو تحميلهم مسئولية) على التدبر فى آيات القرآن، والبحث والتنقيب فى آيات الكون واستنباط أسرارها.

كما بين المؤلف فى التقديم أيضًا ما حدث للمسلمين حين أدركوا حقيقة الإسلام، وأن الغرب حين أخذ بمبادئ العلم فى الإسلام نهض وساد.

أول مباحث الكتاب كان بعنوان: «القرآن الكريم هضم كل ما جد من حقائق العلم منذ نزل»، ونرى أن العنوان المناسب له هو «مستجدات الحقائق العلمية فى القرآن» أو «توسع الكون». ورجع المؤلف فيه إلى النص القرآنى ٣ ـ ٦ من سورة الجاثية، وماذا يوضحه هذا النص الكريم، وألقى اللوم على أنصاف المثقفين الذين يخوضون بأقلامهم فى موضوعات الإعجاز العلمى فى القرآن دون ضوابط أو منهج، وبذلك يرتكبون أخطاء يبرأ الإسلام منها، وحملوا الآيات من المعانى ما لا طاقة لها به. وقد أوضح منهجه فى وضع هذا الكتاب، وهو تتبع حقائق العلم المستمدة من الرصد والتتبع لظواهر الكون، وعدم اللجوء إلى النظريات العلمية المتطورة. أما مضمون هذا المبحث فهو هضم القرآن الكريم لكافة مفاهيم البشر العلمية السليمة منذ نزل، وهى صفة من صفات هذه المعجزة الخالدة التى لا يقف إعجازها عند عصر معين، وسوف تلازمه هذه الصفة إلى يوم الدين.

و﴿إِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، هى النقطة التى تناولها المؤلف بالتفصيل، فعرض آراء المفسرين القدامى والمحدثين، ثم أضاف رؤيته الشخصية فى فهمها، وأوضح كيف أن أرصاد المجرات دلت أخيرًا على أنها تتباعد عن بعضها بسرعات متزايدة، وبالتالى فإن الكون يتسع ويتمدد، وهو معنى جديد تدل عليه معادلات النسبية الرياضية. وفى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين اتسعت المجموعة الشمسية ـ مثلاً ـ أربع

مرات، وقد اكتشف هذا فى الأعوام: ١٧٨١، ١٨٦٤، ١٩٣٠، ١٩٧٢م. وقدم معلومات عن كوكب بلوتو، وعلاقته بكوكب نبتون، وقانون «بود» لقياس أبعاد الكواكب عن الشمس، ورصد مذنب هالى وفائدته فى معرفة الكوكب العاشر فى المجموعة الشمسية.

وفى المبحث الثانى «وعنوانه: القرآن كتاب متجدد إعجازه إلى يوم الدين» تحدث المؤلف عن «الرياح اللواقح»، وقد مهد لها بعدد من النقاط مثل: أساس العلم التجريبى، والسخرية من طلب الخوارق الحسية من رسول الله ﷺ، وواجب العلماء الأكفاء نحو الأعماق العلمية فى القرآن، ثم دخل فى العمق الخاص بالمبحث الحالى وهو «الرياح اللواقح»، وقدم آراء المفسرين القدامى فى كلمة «لواقح»، وعرض رأيه الشخصى فى فهمها، وهو تلقيح السحاب بنوى التكاثف، وفى هذا الإطار أكد أن القرآن هو أول كتاب دينى يقرر حقيقة تكوين السحب. كما أشار إلى حقيقة الدورة المائية، إضافة إلى الحقيقتين:

١ ـ تلقيح الرياح للسحب بنوى التكاثف.

٢ ـ نزول المطر يحدث نتيجة تلقيح الرياح للسحاب، وقد رجع فى هذا إلى نصوص قرآنية، مثل قول الله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ (الحجر: ٢٢).

جاء المبحث الثالث بعنوان «استبعاد عنصر الصدفة فى الكون»، ولكن العنوان المناسب ـ بعد مطالعتنا لمحتوى المبحث ـ هو: «الغلاف الجوى الأرضى»، أو «السقف المرفوع»، أو «السقف المحفوظ». ودار حديث المؤلف حول قول الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٢)، فعرض المعنى اللغوى للسماء، وشرح كيف أن القبة السماوية تبدو ليلاً مرصعة بالنجوم، وأن القبة الزرقاء التى نراها فوق رءوسنا أثناء الليل عبارة عن ظاهرة ضوئية تحدث فى هواء الأرض أو غلافها الجوى السفلى الذى يرتفع إلى علو نحو ٢٠٠ كيلومتر فقط، فوق سطح الأرض. وبين ظلمة السماء، وقد توصل رواد الفضاء إلى هذا، وقد أوضحه النص

القرآني: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر: ١٤ ـ ١٥). وشرح المؤلف أيضًا كيفية الإمساك بالغلاف الجوى للأرض، ثم عدد أهم فوائد وخدمات الغلاف الجوى، وعرج فى كلامه على ظاهرة ضيق الصدر بالصعود فى طبقات الجو.

ثم جاء المبحث الرابع بعنوان: «تفصيل بعض ظواهر الكون».

وردت آية الركام (وهى الآية ٤٣ من سورة النور) فى صدر المبحث، وبين المؤلف عقبها أنواع السحب، الركامية، والطبقية، وكيف أن القرآن هو أول كتاب على الإطلاق بين هذين النوعين بآيات معجزة فى مثل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (الروم: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (النور: ٤٣). وشرح دور الرياح فى تحريك السحب وتلقيحها، وكيف أن المطر هو مصدر المياه العذبة، وعرض حقائق علمية مستنبطة من آية الركام، وأشار إلى أن البَرَد يختلف عن الثلج، وكيف يحدث البرق فى المزن (السحاب) الركامى.

وأما المبحث الخامس فعنوانه «تكامل الآيات وترابطها»، والعنوان الذى نراه أدق هو «فى الجبال الرواسى»، وقد ابتدأ بالإشارة إلى مظاهر سطح الأرض، وأن الجبال مأوى الإنسان (٨٢ الحجر، ٨١ النحل)، والمفهوم الجيولوجى للجبال، وعلاقة الجبال الشاهقة بالمطر (١٠ فصلت)، ثم دلف إلى «وتدية الجبال» (٧ النبأ)، وكيف أن الجبال تحفظ توازن قشرة الأرض (٣١ الأنبياء). وفى معرض حديثه عن الجبال، مر المؤلف بألوان الجبال وكيف تستمدها من صخورها (٢٧فاطر)، وحركة الجبال وكيف أنها كحركة السحب، وشرح هذا التشبيه العلمى البليغ، وأشار إلى ابن الشاطر (وهو عالم مسلم من علماء الحضارة العربية الإسلامية) قال بمركزية الشمس للمجموعة الشمسية قبل كوبرنيكوس، وبعد المرور ببعض فوائد الجبال، انتهى المؤلف إلى أن هناك ٣٨ آية تذكر الجبال، إضافة إلى ٩ آيات تذكر الرواسى، ويدل هذان الرقمان على المدى الواسع الذى به استمد القرآن كثيراً من آياته وحكمه وأمثاله من الكون، كتاب الله المنظور.

هناك عمق من أعماق الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز يتصل بالإخبار الصادق عن الغيب، سواء من حيث الزمان وسبق الحوادث، أم من حيث المكان وصدق الوصف لما لم تره العين، أو ما لم يصل إليه الإنسان. ويعنى هذا أن القرآن جاء بمعرفة مسبقة لما لدى الناس من علوم، وسبق بذلك أحداث الكشف العلمى والتاريخ. كان هذا صدر المبحث السادس الذى تحدث المؤلف فيه عن الإخبار بالغيب من حيث الزمان والمكان، وضرب فيه أمثلة للإخبار بالغيب المكانى (٢ - ٤ الروم، ١٣ الصف، ٢٩ الشورى، ٤٩ النحل، ٢٩ الرحمن)، وأشار إلى محاولات الإنسان للتعرف على وجود مذنبات خارج المجموعة الشمسية. . ومن أجل الكشف عن الآيات المنبثة فى الكون علينا أن نسلك طريقين فى آن واحد:

الأول: طريق الرصد والتتبع والقياس.

الثانى: طريق الفهم والإدراك لتلك الأرصاد، باستخدام قوى العقل. . ومهما يكن من شىء فإننا عن طريق التأمل والقياس، واستخدام المنطق السليم، نستطيع الوصول إلى آفاق واسعة، وهكذا يمهد العلماء الطريق إلى المستقبل.

ومجمل القول: إنه توجد كواكب أخرى (غير أرضنا) مسكونة داخل نطاق مجرتنا (الطريق اللبنى)، وإن نسبة كبيرة من تلك الكواكب مجتمعاتها على بينة من أمر بعضها، خصوصًا بالقرب من مركز المجرة، حيث تكدست مادة الأصل وتقاربت النجوم، أو الشموس.

المبحث السابع فى إظهار حقيقة أجرام السماء لكيلا تعبد، وقد وردت الشمس كجرم سماوى فى أوله، وهو أهم الأجرام بالنسبة لنا. جريان الشمس، ضوء الشمس (ونور القمر)، القرآن يضع الحد لتقديس أجرام السماء أو التقرب بها إلى الله (٧٦ - ٧٨ الأنعام، ٣٧ فصلت)، أصل مادة الشمس، عمر الشمس، ضوء النهار، الاستفادة من الطاقة الشمسية، عملية البناء الضوئى، الطاقة الحرارية للشمس، البقع الشمسية وظاهرة الفجر القطبى، المراحل التى تمر بها الشمس إلى وفاتها (١ التكوير، ٣٨ يس). .

كانت هذه نقاط المبحث الذى ختمه المؤلف بالنصين القرآنيين: (١٠ الدخان، ٧ - ١٠ القيامة).

أما تعريف العلم الطبيعى وتحديد إطاره وتوضيح أساسه، فهو موضوع المبحث الثامن، الذى طالعنا فيه القاسم المشترك بين المعرفة الدينية والعلم الطبيعى، والفرق بين الظاهرة، والحقيقة، وأهم خصائص الطريقة العلمية، ومتى يتم قبول الحقيقة العلمية، والفرق بين القانون العلمى والحقيقة المطلقة، وكيف نصوغ نظرية علمية، وضرورة عدم الاعتماد على النظريات العلمية فى شرح الآيات القرآنية وتفسيرها. . وبعد توضيح هذه النقاط انبرى صاحب الكتاب يشرح التركيب الأساسى للمادة، وإحدى أهم خصائص المجرات والسدم، وأشار إلى توسع (تمدد) الكون، وأصله، وعمره، وأين يتم التفاعل بين المادة والفراغ.

أول كتاب يرفع من قدر العلم والعلماء هو القرآن الكريم، وهذا موضوع المبحث التاسع الذى حدد فيه المؤلف مصادر العلم، وهى: الدين وأساسه القرآن، وطريق العلم الطبيعى (التجربة والقياس والرصد والتتبع لما فى الكون). ولا دخل للعلم الطبيعى بعالم ما وراء الحس، والعلم الطبيعى جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الخالدة. ثم استشهد المؤلف بآيات قرآنية على أن الإسلام يدعو إلى الأخذ بالعلم الطبيعى، وأن القرآن يفرق بين مجرد الظن والوهم والخيال وبين الحق واليقين (أو العلم)، وأن البحث العلمى هو السبيل إلى اتساع آفاق العلم وتقدمه، وضرورة عدم الوقوف عند ما قاله المجتهدون الأوائل من العلماء. وبعد هذا طالعنا حقيقة تاريخية هى: إرساء علماء المسلمين لقواعد العلم التجريبى فى العالم، وخطورة الخلط بين عالم الحس وعالم ما وراء الحس.

كان عنوان المبحث العاشر هو: «الله موجب الوجود»، وقد بدأه المؤلف بأن وجود الله حقيقة علمية ومسلمة عقلية، ثم قدم عدداً من البديهيات العقلية التى يجب التسليم بها، معتمداً على النصوص القرآنية: (٢٦: الرحمن، ٢١: فاطر، ٧٨: يس، ٨٤: الكهف، ٣: الحديد، ١١: الشورى، ٨٨: القصص، ١٠٣: الأنعام)، وغيرها. ثم دخل فى رحاب أسماء الله الحسنى، وطاف ببعضها سريعًا، ووصل إلى أن الثبات خاصية فى نظام بناء الكون، ثم أجاب عن السؤال: لماذا ضل الإنسان، فاتخذ آلهة يعبدها من دون الله؟

«العدد والحساب فى القرآن الكريم» هو موضوع المبحث الحادى عشر، وقد ساق فيه المؤلف أمثلة للأعداد الصحيحة التى ذكرها القرآن الكريم، وكذلك كسور الأعداد، كالنصف، والثلث، والربع، والخمس، والسدس، والثمن، والعشر، كما أن من الأعداد الصحيحة المائة، والألفين، والثلاثة آلاف، والخمسة آلاف، والمائة ألف. وبعده دخل المؤلف فى الحساب العشرى، وبين الفرق بينه وبين الحساب الستينى، وذكر الدوافع لاستخدام الحساب العشرى، وأشار إلى أن تقديس بعض الأرقام مرفوض، كما أشار إلى حساب لا يدخل فى باب العلم، وإنما هو مجرد رجم بالغيب.

«الشمس» فى المبحث الثانى عشر حظيت بتفصيل مناسب شرح فيه صاحب الكتاب نقاطًا مثل: دوران الشمس، وضوء النهار ودفئه، وانسلاخ النهار من الليل، واختلاف مواعيد شروق الشمس وغروبها، وكذلك أماكن الشروق والغروب، وأقدار الشمس، وكيف أنها قنبلة هيدروجينية، وعمر الشمس، وكيف أن الشمس نجم فى مرحلة الشباب الآن، وطاقة الشمس، والأهمية الصحية للأشعة فوق البنفسجية، وهل الشمس مكورة، والدخان المبين المذكور فى قول الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان: ١٠).

ومن «الشمس» ننتقل إلى مبحث عنوانه «من المنهج العلمى فى القرآن الكريم: الأرض وسقفها»، وبعد الحديث عن الراسخين فى العلم (آل عمران: ٧)، وضح أن الإسلام فتح آفاق العلم أمام العلماء، وصدر الوعد الإلهى بإظهار أعماق الآيات القرآنية، وأن الإعجاز القرآنى يتجدد فى عصر العلم، ورأينا فى هذا المبحث نقاطًا سبق أن وردت فى المباحث السابقة، كالسقف المحفوظ، وانخفاض الضغط بالصعود فى طبقات الجو، وفوائد الغلاف الجوى، وكروية الأرض.

وعن العروج (أو الصعود) قدمًا فى السماء دار الحديث فى المبحث الرابع عشر، وابتدأ بهندسة إقليدس، وهندسة المسارات، وكيف أن الأسفار فى الفضاء الكونى، والصعود قدمًا فى السماء كلها فى خطوط منحنية، وهو ما يعبر عنه القرآن بالعروج، فى أكثر من موضع، مثل قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبأ: ٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ

فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (الحجر : ١٤). وامتداداً للنص الأخير يوضح القرآن أضرار وأخطار السفر فى الفضاء، فى قول الله تعالى : **﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾** (الحجر : ١٥). وقد حدد المؤلف هذه الأخطار فى : انعدام الوزن ـ ظلمة السماء ـ تزايد عدد النجوم فى السماء ـ الانهيار العصبى الذى يصيب رواد الفضاء ـ سقوط أشعة كونية تقتل الخلايا الحية، وهى بمثابة النار التى لا دخان لها، ثم آية النفاذ (الرحمن : ٣٣).

وفى المبحث الخامس عشر تناول المؤلف نقاطًا عديدة، مثل : تدبير جميع شئون الكوكب الأرضى، ووقاية أنفسنا من المخاوف الطبيعية، وأربعة نصوص قرآنية (الأعراف : ٩٦، فصلت : ٩، ١٠، فاطر : ٣، البقرة : ١٦٨)، ثم التعليق على كلٍّ منها، وبيان المراحل المتصاعدة لتعلم الإنسان العلم، والعلم هو السبيل لحل مشكلات البشر التى صنعوها بأنفسهم، ووسائل السفر والانتقال والحمل، فى قول الله تعالى : **﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (النحل : ٨)، والتعليق على آخر جملة فى هذه الآية **﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**.

وحظيت أمم النحل والنمل ومنطق الطير بمبحث خاص هو المبحث السادس عشر الذى أشار فيه المؤلف إلى تفاهم وتواصل أمم الكائنات الحية، وقصة الهدهد، وكذلك قصة النمل مع نبى الله سليمان، وهندسة بناء النمل مساكنه، ثم «النظرية الحيوية» التى تقوم على أساس أن سلوك الكائنات الحية لا تتحكم فيه مجرد قوانين الفيزياء الطبيعية، ولكن تتحكم فيه قوى خفية مجهولة لا تخضع للقانون الطبيعى.

وختم المؤلف بأن قصور العلوم الطبيعية ناتج عن قصور حواس الإنسان، ومعجزة رؤية أشياء.

أما أصل الوجود والاستدلال عليه، فهو مادة المبحث التالى، الذى وردت فيه أمور، مثل : قانون بقاء الطاقة، وقانون بقاء المادة، وسقف الأرض، وماء الأرض، ومعادن وصخور الأرض، وفكرة العدم، وبعض معانى بعض أسماء الله الحسنى، والسقف المحفوظ (الذى تكرر حديث المؤلف عنه فى مباحث كثيرة).

يستخدم القرآن الكريم كلمة «صيحة» فى ثلاث عشرة آية للتعبير عن ظاهرة موجية عاتية قد تسبب الموت الفجائى للبشر، ولم يعرف لها الناس مثيلاً إلا فى عصر العلم عندما تم تفجير القنبلة الذرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ انبعثت عنها موجات عاتية من التضاغط والتخلخل أماتت الناس عن كثب، وبعد سرد الآيات القرآنية التى ذكرت الصيحة، قدم المؤلف بعض حقائق العلم عن الصيحة، كآثار القنابل الذرية، والضوضاء والضجيج والأزيز، وهو أشد أعداء الإنسان المعاصر، وكيف عالج الإسلام هذه الأخطار.

وبالرغم من أن «الطب الوقائى فى ضوء القرآن الكريم» يتطلب الحديث فيه كتابًا مستقلاً، فلقد عرض المؤلف منه جذاذات فى المبحث التاسع عشر، وأوضح ما ورد فى القرآن من أوامر أو تعليمات أو إشارات لحماية الناس من العلل والآفات، والانفعالات النفسية الحادة التى هى أساس لأمراض القلب القاتلة (مثل: الذبحة، والجلطة، والسكتة)، وتحريم الخمر والمخدرات، وبعض الأطعمة التى حرمها القرآن: الميتة، الدم، لحم الخنزير، ثم أورد كلامًا عن العسل، وهو الآخر يتطلب الحديث عنه مؤلفًا خاصًا، كما يجب حذفه من هذا المبحث، ليوضع فى موضوع الحلال والحرام من الأطعمة الواردة بالقرآن.

وحول (عمارة الكون) جاء المبحث العشرون، الذى استهله المؤلف بجانب من آيات التقدير (مثل: التين: ٤، الأنعام: ٩٦، الروم: ٤٨، الواقعة: ٦٩، المؤمنون: ١٨، يس: ٨٢، . . . إلخ). وكانت النقاط التى انتظمها الحديث: عناصر تكوين المادة، أنواع وعشائر عوالم الأحياء، المسافات بين الكواكب فى المجموعة الشمسية، وبين أمها الشمس، تنظيم عمليات الغلاف الجوى الأرضى، أهمية ماء الأرض، أهم ميزات الماء السائل، وتقدير الرزق.

ثم تلاه مبحث فى «الضوء والنور»، ومهد له المؤلف بنبذة عن تطور نظريات الضوء منذ عصر ابن الهيثم، وكيف ينبعث الضوء الأحمر والبرتقالى والأصفر من الجسم المادى، وتفسير ضوء النهار، وأنواع النور. وأورد ٢٧ آية قرآنية فى النور المعنوى (غير المادى)، ثم أربع آيات فى النور الحسى (المادى)، ثم آيات قرآنية وردت فيها لفظة و«أضاء» ومشتقاتها، وختم بطبيعة الضوء، والأشعة غير المرئية، وما تشير إليه الآيات

٣٨، ٣٩، ٤٠ فى سورة الحاقة: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)﴾.

الماء مذيب عالمى، أى إنه يذيب كل المواد، ولكن بنسب مختلفة، وتتصل دراسة الماء اتصالاً وثيقًا ومباشراً بدراسة نشوء الحياة على الأرض وغيرها من الكواكب ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾ (المؤمنون: ١٨). ولم يقتصر لفظ «الماء» فى كتاب الله العزيز على الدلالة على الماء الذى نشربه أو نسقى به الزرع، أو على الماء المالح الذى يملأ بطون المحيطات والبحار، بل تعدى هذا المعنى ليدل على حالات السيولة للمادة بصفة عامة. هذا، وفى غضون هذا المبحث الثانى والعشرين، تحدث المؤلف عن تنقية الجو وتطهير الأبدان بالمطر، والصور الثلاث لماء الأرض، وماء التناسل، وما تشير إليها من آيات قرآنية.

وعلى امتداد ثلاثة مباحث، دار الحديث حول الأسلوب العلمى فى القرآن الكريم، وفى بداية هذه المباحث نطالع الهدف الأساسى للموضوع وهو دحض فكرة الصدفة فى خلق الكون، وقد تحددت مجالات الأسلوب العلمى فى القرآن، والأسلوب المنطقى وما قال به القرآن الكريم، وما ورد بالقرآن أيضًا عن اتباع الطريقة العلمية، ونبذ الخرافات، مثل: التنين الطائر كائن حى، السراب عن عمل الشيطان، تحول الناس إلى دواب بالسحر.

وفى المبحث الثانى عن الأسلوب العلمى، تحدد الأسلوب القرآنى الخاص لمعالجة بعض قضايا العلم الكونية، ثم ورد كلام عن تكوير الليل على النهار (الزمر: ٥)، دحو الأرض (النازعات: ٣٠)، إثارة الرياح للسحب (الروم: ٤٨، النور: ٤٣، الحجر: ٢٢). وهى أمثلة للركن الأول فى هذا الأسلوب القرآنى (عدم إثارة فضول غير العارفين والجاهلين). ثم ذكر المؤلف أمثلة توضيحية للركن الثانى لهذا الأسلوب (ذكر الأشياء بصفاتها)، ثم أمثلة للركن الثالث (الحديث عن معالم بعض ما يغيب عن الناس، زمانًا ومكانًا)، ثم الركن الرابع (استبعاد عنصر الصدفة). ثم المبحث الأخير فى الأسلوب العلمى القرآنى، وقد كرر فيه المؤلف كلامًا سبق أن أورده، ثم فصل فى (المذنبات).

اختصت «الرياح» بالمبحث السادس والعشرين، ونوقشت فيها ألفاظ قرآنية مثل:

عاصف، حاصب، قاصف، صرصر، إعصار. ثم جدول باسم الريح كما وردت فى القرآن، وكما يطلق عليها حديثًا، ومقياسها. ننتقل من الرياح إلى الشهب والنيازك، لنقرأ قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، وبين أن النور المذكور ليس الضوء الذى نعرفه، وإنما يعنى الهداية والطاعة التى التزمت بها كافة الأجرام السماوية والأرضية، بالخضوع لقوانين ونظم وضعها الخالق العظيم، ثم فصل المؤلف القول فى الشهب، وذكر الآية ٨ من سورة الجن، ثم ختم بالنيازك (وهى حجارة من السماء)، وهى الكسف المذكورة فى قول الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (سبأ: ٩).

وردت المباحث الثلاثة التالية فى السماء والسماوات السبع، ففى أول هذه المباحث عرض المؤلف لوجهة النظر العلمية للسماء، وما يدعم هذا من الآيات القرآنية، ولفظة «السماء» لغة، وزينة السماء الدنيا. وفى رأى المؤلف أن السماوات السبع هى:

١ ـ السماء الأولى (السماء الدنيا) وهى المجموعة الشمسية وكواكبها السيارة.

٢ ـ السماء الثانية، وهى مجرة درب اللبانة (الطريق اللبنى).

٣ ـ السماء الثالثة، وهى المجموعة المحلية، وتشمل (١٧) مجرة معروفة حتى الآن فى الفضاء الكونى.

٤ ـ السماء الرابعة، وتشمل عناقيد الدرجة الأولى.

٥ ـ السماء الخامسة، وتشمل عناقيد الدرجة الثانية.

٦ ـ السماء السادسة، وتشمل عناقيد الدرجة الثالثة.

٧ ـ السماء السابعة، وهى سماء المجرات الراديوية.

ثم جاء المبحث الثالث من مباحث السماء فى كيفية رصد إبراهيم عليه السلام السماء، والشرح العلمى للكسوف الكلى للشمس، والآيات القرآنية التى حكت القصة (الأنعام: ٧٥ ـ ٧٩).

وبأقل من نصف صفحة، ختم المؤلف كتابه بلمحة عن «سدرة المنتهى»، وهى التى تعبر عن نهاية الكون المادى.

الكتاب الثامن

الكتاب الكونى (أو المعجزة الخالدة)

تأليف : أ. د. محمد جمال الدين الفندى عرض : محمد كارم السيد غنيم

يعد الأستاذ الدكتور/ محمد جمال الدين الفندى ـ رحمه الله ـ رائداً من رواد بيان الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى العصر الحديث، على مستوى العالم أجمع، وله إنتاج كبير فى هذا المجال، والكتاب الحالى يمثل الجزء الثانى من «الكتاب الكونى ـ أو المعجزة الخالدة»، وقد صدر ضمن سلسلة «دراسات إسلامية» بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، فى طبعته الأولى فى عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م). ويقع الكتاب فى (١٦٣) صفحة فى القطع المتوسط، وينتظم تقديماً للمؤلف، وعدداً من الموضوعات فاقت الخمسة عشر موضوعاً، وانتهى بفهرس للمحتويات، ويستهل المؤلف المقدمة (التقديم) بإبراز حقيقة تاريخية عن الحضارة الإسلامية، التى لم تكن مجرد قنطرة عبرت بها نتائج الحضارات القديمة إلى أوروبا العصر الحديث حيث النهضة الجديدة، بل استوعب المسلمون الحضارات القديمة، وهضموها، وأضافوا إليها الشىء الكثير، وأنجزوا كل ذلك داخل إطار الفكر الإسلامى، وكانت رسائلهم ومخطوطاتهم تربط بين حقائق العلم وتعاليم الدين، إيماناً منهم بأن العلم رسالة الإسلام. . ثم عرف المؤلف العلم الطبيعى، وبين حدوده، وشرح العلاقة بين الثورة العلمية الحديثة فى العالم وبين الدين، وتوجه نحو المسلمين وأوضح واجبهم نحو الآيات الكونية الواردة فى القرآن الكريم، ودعا إلى إنشاء دراسة حديثة فى الدعوة الإسلامية قائمة على أساس إظهار الإعجاز العلمى للقرآن، واعتبر هذه الخاصية القرآنية الحجة القوية للمسلمين وسبيلهم القويم لإقناع أهل الغرب (والشرق) بالإسلام وسلامة مبادئه.

وبعد أن حدد الأمية فى العصر الحديث بأنها الجهل بالعلوم، حدد المجالات التى يمكن للعلوم الطبيعية أن تخدم فيها الإسلام، وعاد مرة أخرى إلى الإنجازات العلمية للحضارة الإسلامية وكيف كانت أساسًا قويًا من أسس نهضة الغرب الحديثة، وختم بتوجيه اللوم لبعض علماء الدين الإسلامى الذين يحجرون على قيام العلوم الحديثة بخدمة تفسير القرآن، أو بمعنى آخر، الاستفادة من كشوف ومعطيات العلوم الحديثة فى تطوير تفسير القرآن، أو تجديد مفاهيم الآيات وتوسيع مرامى الكلمات.

الموضوع الأول هو «الكون ـ أو الوجود المادى»، والكون هل كل ما فى الوجود من مادة وطاقة تنتشر عبر الفضاء (أو السماوات)، وقوامها المجرات (أو الجزر الكونية) التى لا حصر لها. متى ظهر الكون؟ من خلق الكون؟ ما حجم الكون؟ حاول المؤلف أن يجيب إجابات مختصرة عن هذه الأسئلة، وانتهى إلى تقرير إخفاق الإنسان فى معرفة أشياء كثيرة من حوله، برغم كل ما توصل إليه من علوم ومعارف وكشوف. . . ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ③ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ١ ـ ٤). وكانت (المجموعة الشمسية) هى الموضوع الثانى الذى بدأ بنبذة عن حجم الفضاء الذى تشغله هذه المجموعة، وعدد أفرادها (وهى تسعة ـ قديمًا ـ وقد تم التعرف على العاشر حديثًا، ويتوقع العلماء اكتشاف الحادى عشر، طبقًا لحساباتهم)، وهكذا يتحقق التفسير العلمى لقول الله ـ تعالى ـ على لسان يوسف: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ١ ـ ٤). وانتقل المؤلف إلى الجن وعجزهم عن الصعود فى طبقات السماوات لاستراق السمع (التقاط الأخبار) بسبب انتشار الشهب والنيازك التى تحرقهم، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ⑧ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٨ ـ ٩).

ومن المجموعة الشمسية اختار المؤلف (كوكب الأرض) ليكون موضوعًا لحديثه فى الجزئية الحالية، وبالرغم من هذا وجدنا المؤلف لم يتحدث عن الأرض، وإنما تحدث عن مزايا القرآن فى تناوله للمسائل الطبيعية، وهى:

١ ـ الأخذ بالطريقة العلمية القائمة على الرصد والتتبع والقياس: **﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** (يونس: ١٠١)، **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾** (العنكبوت: ٢٠). وهذا ما توصل إليه العلماء حديثًا وهو أن «تاريخ الأرض مكتوب بين طيات قشرتها»، وهو مكتوب بلغة تختلف عن لغات البشر، إنها لغة «الحفريات».

(٢) نبذ الخرافات المعاصرة وعدم الأخذ بها، مثل: التنين الطائر كائن حى، السراب من عمل الشيطان، بالسحر يتحول الناس إلى دواب، وفى القرآن آيات عديدة تبطل هذه الخرافات.

(٣) استبعاد عنصر «الصدفة» فيما خلق الله فى الكون.

(٤) الإشارة إلى حقائق كونية، مثل: كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، وبدون إثارة لفضول غير العارفين بها. وكروية الأرض، مثلاً، يمكن استنباطها من الآيات: **﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾** (الزمر: ٥)، **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** (النازعات: ٣٠)، **﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾** (يونس: ٢٤)... إلخ.

مطلع الشمس ومغربها فى كتاب الله، مسألة متعلقة بالشمس، وتناولها المؤلف فى صفحتين اثنتين فقط، والآيتان اللتان تذكرانهما هما: (الكهف: ٨٦، الكهف: ٩٠)، وهذا فى معرض قصة ذى القرنين. ويرجح المؤلف أن يكون مطلع الشمس ومغربها هنا يشيران إلى الدائرة القطبية، وأن ذا القرنين وصل إليها، والدائرة القطبية هى المكان الذى تطلع عليه الشمس ستة أشهر متوالية (فصل الصيف)، وتغيب عنه ستة أشهر متوالية (فصل الشتاء). كما أن بها نافورات دائمة من ماء ساخن يكتسب الطين من حولها لونًا أسود (عين حمئة)، وعندما تطلع الشمس فى الدائرة القطبية تدور على

مدار اليوم حول الأفق من غير أن تختفى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾. هذا، ولسوف يعود المؤلف إلى حديثه حول الشمس بعد ٥٩ صفحة من الآن!! وهى الصفحات التى شغلها بالحديث عن الأرض وما تحتويه أغلفتها المختلفة.

يوجد «ماء الأرض» فى ثلاث صور هى:

١ ـ الصورة الغازية، ممثلة فى بخار الماء الذى يحمله الهواء.

٢ ـ الصورة السائلة، أو الماء السائل الذى يملأ بطون المحيطات والبحار وغيرهما.

٣ ـ الصورة الصلبة، وتمثلها ثلوج القطبين وأعالى الجبال المرتفعة، وأدعم خواصه الكيميائية هى الذوبانية، والماء يغطى أربعة أخماس الكرة الأرضية، والمطر هو المصدر الأساسى للماء العذب، والمزن هو السحاب الممطر، وشيوع الماء فى أجسام الكائنات الحية، وإسكان الماء فى الأرض قديمًا، كل هذه نقاط تناولها المؤلف تناولاً سريعًا، مع الاستشهاد بآيات قرآنية عليها.

ومن الغلاف المائى، انتقل صاحب الكتاب إلى الغلاف الهوائى للأرض، وأسماه «سقف الأرض»، وذلك فى ضوء الآيتين: (الأنبياء: ٣٢، الطور: ٥)، والسماء فى الآية الأولى اسم لكل ما علانا وارتفع فوق رءوسنا، ويبدأ بالغلاف الجوى الذى يرتفع إلى ألف كيلومتر فوق سطح الأرض، وتمسكه الأرض بجاذبيتها حتى لا يهرب ويندفع فى الفضاء الكونى، وهذا ما أشارت إليه الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد: ٢). وبعد أن كرر المؤلف كلامًا حول استبعاد القرآن لعنصر «الصدفة» فى خلق الكون، فصل القول فى خدمات (السقف) أو الغلاف الجوى لأصل الأرض، وقد عرفت فى عصر العلم فقط، وقد تعرض لغازاته، ولانخفاض ضغطه بالارتفاع، وعلق على الآية (١٢٥) من سورة الأنعام، وشرح القبة الزرقاء التى نراها فوق رءوسنا، وكذلك الظلام الحالك الذى ينتشر فى أرجاء الفضاء الكونى خارج الأرض، وعلق على الآية (١٥) من سورة الحج، وكرر الإشارة إلى انخفاض الضغط بالارتفاع فى طبقات الجو، وكيفية حدوث الليل والنهار.

وانقطع حبل الحديث فى الأرض، وأغلفتها ومحتوياتها بجزئية عن «الصدفة» وعدم وجود مكان لها فى الخلق، واحتوت هذه الجزئية مسائل مثل: التوازن (أو

الاتزان) فى الكون، والدقة فى تقدير كل شىء فيه (الفرقان: ٢، فاطر: ٤٣)، وقد أورد المؤلف أمثلة لذلك: عجائب مركب الماء، وخاصية طفو صورته الصلبة (الثلوج) فوق صورته السائلة، وعدم غوصها، مثلما يحدث مع السوائل الأخرى، وحكمة الله فى جعل هذه الخاصية للماء. وتعرض المؤلف أيضًا لادعاء المكابرين بأن ما فى الكون من مادة وإشعاع فيه إسراف، وفند هذا الادعاء ودحضه، ثم عاد إلى استئناف حديثه عن محتويات الغلاف الهوائى للأرض، حيث توجد السحب والأمطار، الجزئية الرابعة الأساسية فى «السحاب والمطر وعواصف الرعد»، وفى كيفية تكوين السحاب، قال المؤلف: الهواء عندما يصعد إلى أعلى على هيئة رياح تنخفض درجة حرارته تلقائيّا وتقل قدرته على حمل بخار الماء العالق فيه، حتى إذا وصل إلى ارتفاع غير بعيد عن سطح الأرض يتحول قدر كبير من البخار الذى يحمله إلى مجموعات من نقط الماء أو من بلّورات الثلج أو منهما معًا، تبعًا لدرجة الحرارة السائدة، وتلك المجاميع هى السحاب. والحق أن أول كتاب على الإطلاق قرر أن الرياح (الصاعدة بطبيعة الحال) هى التى تثير السحاب هو القرآن الكريم، حين قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر: ٩). وبعده شرح بإيجاز الأنواع الرئيسة للسحب، وهى: السحاب الطبقى (البساطى)، (الروم: ٤٨، الواقعة: ٦٨ ـ ٦٩)، السحاب الركامى الذى ينمو رأسيّا، وتتراكم طبقاته بعضها فوق بعض حتى يصير كالجبال (النور: ٤٣). . . ومن المعروف حديثًا أن المزن (فى التعبير القرآنى) هو السحاب الممطر.

والمسألة الثانية فى هذه الجزئية هى «المطر ودورة المياه العذبة»: هناك فرق كبير بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر، فالسحابة التى تثيرها الرياح لا تمطر إلا إذا دأبت الرياح (التى أثارتها) واستمرت على تغذيتها بما يعرف علميّا باسم «نوى التكاثف» وكذلك بخار الماء اللازم للإمطار. . وجاءت عواصف الرعد كمسألة ثالثة فى الجزئية الحالية، وتحدث المؤلف فى بدايتها عن «البَرَد»، وكذلك «البرق» الذي لا يحدث إلا فى المزن الركامى. . أما جلجلة الرعد وهديره الذى يلى ذلك فإنه ينتج عن انكسار الدوى الأول من قواعد السحب أو المرتفعات عامة (الصدى). أما إذا حدث التفريغ الكهربائى بين أسفل السحابة الركامية المشحونة بالكهرباء وسطح الأرض، خصوصًا ما عليه من مرتفعات، مثل المنازل والشجر والأبراج، حدثت الصواعق، منقضة على المرتفعات؛ لأنها أقرب الأشياء إلى السحابة. .

وعاد المؤلف إلى «البَرَد» ليبين أهميته، وذكر الآية (٤٣) من سورة النور التى رأى أنها تربط بين تكون البَرَد وحدوث البرق، ثم تأثير البرق فى العين. .

وامتداداً للحديث عن الأرض ومحتوياتها، تناول المؤلف الجبال، إذ يرتفع سطح الأرض تارة فتكون الجبال، وينخفض تارة فتكون قيعان البحار والمحيطات، وفى الجبال كهوف ومغارات نحتتها عوامل التعرية (كالرياح والمياه الجارية).

وقديمًا لجأ الإنسان إلى الجبال واتخذها مأوى له قبل أن يتعلم فن البناء، ثم راح ينحتها بنفسه ليحتمى بها من غوائل الطبيعة ومن أخطار الحيوانات المفترسة، وليعيش بداخلها آمنًا مطمئنًا: **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾** (النحل: ٨١)، **﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾** (الحجر: ٨٢). . . وفى حديثه عن الجبال من الناحية الجيولوجية أوضح المؤلف أن الجبال ـ عمومًا ـ جزء من قشرة الأرض الصلبة التى تعيش عليها، ولها جذور عميقة فى هذه القشرة، تحول دون انزلاق الطبقات المختلفة للقشرة فوق بعضها البعض، وهى بذلك أشبه شىء بالأوتاد التى تشد بها الخيام لكى تتزن وتثبت على الأرض: **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾** (النبأ: ٦ ـ ٧)، **﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** (النحل: ١٥). سطح الأرض فى تغير مستمر، آثار اختلال توازن القشرة الأرضية، ابن الشاطر قال بمركزية الشمس للمجموعة الشمسية قبل كوبرنيكوس، ملاءمة بيئة المرتفعات للزراعة والسكنى. . وبعد تناول هذه النقاط أشار المؤلف إلى أن الجبال ذكرت فى (٣٨) آية قرآنية، بالإضافة إلى تسع آيات ذكرت فيها الرواسى. ويدل هذان الرقمان على المدى الواسع الذى به استمد القرآن الكريم كثيراً من آياته وحكمه وأمثاله من الكون، كتاب الله المنظور. .

وقبل أن يعود المؤلف إلى (الشمس)، مر بالطاقة، وفى ضوء قول الله تعالى: **﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾** (البقرة: ٢٨٦)، تحدث عن الطاقة علميًا، والطاقة فى أعم صورها (وهى الحرارة والضوء)، وأنها لا تخلق من عدم، كما أنها لا تفنى. وأوضح أن الطاقة الحرارية هى أردأ صور الطاقة لسهولة فقدانها أو تسربها، تلقائيًا. وأعطى نبذة عن الإشعاع، وعن الفكرة القديمة حول الحرارة، والكشف الحديث (ظهور

الحرارة عما يسمى الطاقة الداخلية للأجسام)، وهى طاقة حركة جزيئات المادة. . . وطبيعة الوقود، وأنواعه وإشارة إلى الطاقة الكهربائية. وقد أورد المؤلف آيتين، أولاهما ذكرناها، والثانية هى الآية (٢٥) من سورة النور، وكلتاهما لم نر المؤلف قد خدمهما خدمة علمية سليمة!!

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: ٥٤). . الشمس أروع آيات الخالق فى السماء، وأعظمها نفعًا لأهل الأرض، فقد سخرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتكون أكبر مصدر لكثير من الطاقات على الأرض، فهى التى كونت الفحم الحجرى والبترول، وهى مصدر الدفء والنور وضوء النهار على الأرض. وحول الشمس جال المؤلف وصال من حيث اهتمام الإنسان بالشمس قديمًا، والشمس متحركة، وكيف يظهر ضوء النهار، وشروط ظهور ضوء الشمس المتوفرة فى الغلاف الجوى الأرضى، وكيف تتعدد مشارق الأرض ومغاربها، وتكرار الكلام فى الدائرة القطبية وذى القرنين، وأقدار الشمس (الحجم والكتلة والقطر. . .)، وانسلاخ النهار من الليل، وطاقة الشمس التى تصل إلى الأرض، وأشكال الطاقة التى هى رزق من الله إلى سكان الأرض، وعملية البناء الضوئى (التمثيل الكلوروفيلى ـ كما سماها المؤلف خطأ)، والشمس فى أحداث الآخرة، وماعرضته الآيات القرآنية فى هذا. . . ولم يكتف المؤلف بأنه تناول الشمس فى بدايات الكتاب، ثم عاد فتناولها فى الجزئية المبتدئة بصفحة (٨١)، بل سيتكلم عنها مرة ثالثة فى الكتاب، وسنعرف هذا عندما نصل إلى صفحة (١٣١)!!

(القمر) هو أقرب أجرام السماء إلى الأرض، ويبلغ متوسط بُعْده عنها ٣٨٤,٥ ألف كيلومتر، فقط، ويمدنا بنوره الفضى الجميل فى عدد من الليالى كل شهر، ولا تقتصر فائدته للأرض وأهلها على ذلك، فهو يكوّن مع الأرض ما يسمى «النظام المقفل» الذى يعمل فيه القمر على تثبيت سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، بحيث إنه إذا زادت سرعة دوران الأرض حول محورها يقترب القمر منها فتزداد فاعلية الجاذبية المتبادلة بينهما وتبطئ الأرض فى دورانها، ويطول اليوم فيصير ٢٤ساعة مرة أخرى، والعكس صحيح . بعد هذا المدخل، نطالع تقريبًا علميًا لمسألة انشقاق (وجه) القمر، فى ضوء الآية القرآنية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾

(القمر : ١)، ويرفض المؤلف فكرة انشقاق القمر قديمًا. أما منازل القمر فهى أوجهه، وهى المراحل المختلفة التى يمر بها وجه القمر المضىء (ويقصد المؤلف أن يصفه بالمنير) كما نراه على الأرض من ليلة مولد الهلال أو الشهر إلى المحاق (أو الإظلام التام) فى آخر الشهر . . . ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس : ٣٩]. ومن النقاط التى عرضت فى الموضوع: كيفية رصد ميلاد الهلال وتحديد أوائل الشهور القمرية، سبب الاختلاف فى مطالع الشهور الهجرية، وكيف يمكن تجنبه، ما هى الرؤية الشرعية لهلال الشهر، كيف يختلف هلال أول الشهر عن هلال آخر الشهر، ما هى مميزات التقويم القمرى (الهجرى)، ومتى بدأ، ومن الذى أمر به، وهل هجرته ﷺ كانت فى شهر محرم أم فى شهر ربيع الأول، وما الذى يعتمد عليه مجمع البحوث الإسلامية (بمصر) فى تحديد بدايات الشهور الهجرية؟.

هناك معادلة (قرآنية) للتحويل من التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى، والعكس، وذلك بالرجوع إلى الآية القرآنية: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥)، وهذه صورة من صور الإعجاز الحسابى للقرآن الكريم، فإذا كان عدد أيام السنة الشمسية هو ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا، ومتوسط طول الشهر القمرى هو ٢٩,٥٥٠٣٢٩ يومًا من أيام الأرض، فإن (٣٠٠) سنة شمسية (١٠٩٥٧٢,٦٦ ÷ ١٢ × ٢٩,٥٥٠٣٢٩) = ٣٠٩ سنة قمرية . . وامتدادًا للتقاويم ـ نمر بتفصيل فى التقويم الشمسى، وقد شرح المؤلف أسباب الخلاف بين التقويمين القبطى والميلادى (الجريجورى)، وقد يكون من نافلة القول أربع صفحات أوردها المؤلف فى (الزمن) ـ ما دام قد تحدث سابقًا فى التقاويم، وقد بدأ كلامه ببحث متى بدأ الزمن، والوحدات الأرضية لقياس الزمن، وإحساس الإنسان بالزمن (المؤمنون: ١١٢، ١١٣). وتوالت الأفكار حول حركة الإنسان بسرعة الضوء، وماذا لو تحرك بسرعة أكبر من هذه السرعة، والفرق بين الفراغ والفضاء، وأيام خلق الكون ليست كالأيام الأرضية المعروفة لدينا.

وأما موضوع الفضاء (الفضاء الكونى وأسفاره) فكان يجب أن يتأخر إلى ما قبل الجزئية «هل نحن وحدنا فى الكون؟». وفى كلامه عن الفضاء الكونى شرح صاحب الكتاب خط سير الأجسام فى الفضاء، وأنه منحن وغير مستقيم، والانحناء يعنى

العروج (الحجر : ١٤ ، المعارج : ٤)، وبعد أن أعطى نبذة عن إمكانية تخزين الطاقة الشمسية ، اشتملت الجزئية أسفار الفضاء وكيف تكون وسيلة تنقل فيما بين أجرام المجموعة الشمسية، ونصل إلى الجزئية الرئيسة الحادية عشرة لنجدها «الرياح»، وهو ما يجب أن يسبق الكلام فى السحب والأمطار، وهذا هو التوالى، أو الترتيب، المنطقى للموضوعات، خصوصًا إذا كان أحدها يفضى إلى الآخر. ويقسم القرآن الكريم الرياح تبعًا للشدة أو للسرعة، مثل : الريح الساكنة (الشورى : ٣٣)، الريح الطيبة (يونس : ٢٢)، والريح العاصف (يونس : ٢٢)، والريح الحاصب (الإسراء : ٦٨)، والريح القاصف (الإسراء : ٦٩)، والريح الصرصر (الحاقة : ٦)، والإعصار (البقرة : ٢٦٦).

وفى الجزئية الخاصة بالشهب والنيازك والمذنبات، كرر المؤلف كلامًا سبق أن عرضه فى « سورة النور» (النور : ٢٥)، ثم عرض لدفع القرآن إلى الأخذ بالأسباب **﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾** (الكهف : ٨٤ ـ ٨٥).

والشهب نراها ليلاً على هيئة ومضات من الضوء تمتد فى خطوط طويلة عبر السماء فى أعالى جو الأرض، وقد تسمى أحيانًا «النجوم الهاوية». ويدخل جو الأرض (٢٠) مليون شهاب يوميًا، لا يرى الإنسان أكثرها، وتهبط أتربة الشهب بعد احتراقها متساقطة على سطح الأرض. وأما النيازك، فهى شهب كبيرة سقطت على سطح الأرض ولم تحترق خلاله، فسقطت كالحجارة، وهى ظاهرة ليست كثيرة الحدوث. . ثم عرف المؤلف المذنبات بأنها أجرام سماوية من بين أفراد المجموعة الشمسية، وتختبئ (تخنس) أحيانًا، وتظهر بين الحين والآخر لأهل الأرض. وذكر المؤلف أنه يفهم قول الله تعالى : **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾** (التكوير : ١٥ ـ ١٦) بالمذنبات، وتكلم عن مذنب هالى الذى ظهر أيام المعتصم، وحكاية المنجمين بشأنه.

ويعود المؤلف للمرة الثالثة إلى (الشمس) فى مواقع وأنحاء متفرقة من الكتاب، وهو يتحدث فى هذه المرة فى إحدى ظواهر الشمس، وهى ظاهرة الكسوف، وقصة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام فى رصد هذه الظاهرة. وبعد أن نقرأ عن مناظر الكسوف الكلى، نقرأ الآيات ٧٤ ـ ٧٩ من سورة الأنعام، وهى تحكى أحداث رصد الكسوف

التى قام بها إبراهيم، وكان يعيش فى «أور» ببابل (العراق) وكان قومه يعبدون أجرام السماء، وقد مثلوا بعضها بأصنام كانوا يعبدونها، كما أنهم تصوروا وجود حيوانات وأنعام فى السماء، وقسموا مسار الشمس الظاهرى على مدار العام إلى اثنى عشر قسمًا أطلقوا على أغلبها أسماء أنعام: كالجدى والثور والحمل، ولعل هذا هو سر وجود قصة إبراهيم فى سورة الأنعام.

هل نحن وحدنا فى الكون؟ سؤال جعله المؤلف عنوانًا للجزئية قبل الأخيرة، وأكثر فيه المؤلف من ذكر الآيات القرآنية، وينقل أن فريقًا من الناس يرون وجود حضارات أقدم من الحضارة البشرية فى أرجاء الكون، وأن فريقًا من أهلها يقبل إلينا فى «الأطباق الطائرة»، خصوصًا من الكواكب التى تتبع شموسًا قرب مركز المجرة (الطريق اللبنى الذى يمتد عبر ١٠٠ ألف سنة ضوئية)، فإنه بالقرب من مركز المجرة عادة تتواجد أغلب مادة السديم، ويكتمل ظهور الكواكب قبل الأطراف. واستكمالاً لنفس هذا الحديث، تأتى الجزئية الثالثة وتختص بالأطباق الطائرة، وبعض الروايات عن مشاهدة أجسام طائرة فى أنحاء من الكرة الأرضية، ويتوصل المؤلف إلى استحالة وصول كائنات حية عاقلة ومتحضرة من السماء؛ لأن سرعة الضوء التى تحسب بها السنين الضوئية لا سبيل إلى الوصول إليها عمليًا، فهى أكبر سرعة فى الكون على الإطلاق.. ثم يرجع عن رأيه فى نفس الصفحة (١٥٤)، ويقول: ولكن فى الواقع يمضى العلم فيقول حيثما يوجد كوكب شبيه بالأرض من حيث ظروفه الطبيعية لا مناص من أن توجد عليه حياة تتطور بمرور الزمن، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٩).

وأما آخر جزئية فى الكتاب، فكانت فى «العدد والحساب فى القرآن الكريم»، ويبدأ المؤلف بقوله: ... والقرآن الكريم أول كتاب استخدم فى كثير من آياته العدد والحساب، وقد استخدم فى سبيل ذلك الحساب العشرى، ونبذ غيره من وسائل الحساب، مثل الحساب الستينى الذى كان استخدامه شائعًا - ولا يزال إلى الآن - فى قياس الزمن. وعرض المؤلف الأعداد الصحيحة التى ورد ذكرها فى القرآن، وكذلك الكسور، ثم شرح الحساب العشرى، والأرقام العربية والأرقام الهندية،

واللوغاريتمات، والنسبة المئوية فى القرآن (ص: ٢٣) وبعض الآيات التى تناولت العشرات، والآيات التى تضمنت مضاعفات العشرة، واليوم عند الله فى القرآن قد يساوى ٤ , ١٧٧٣٠٩١٧ يومًا من أيام الأرض. .

وختامًا، رحم الله المؤلف وعفا عنه، فربما لشيخوخته ومرضه لم يستطع أن يعيد النظر فى ترتيب جزئيات الكتاب قبل طباعته، وأن يبوبه أبوابًا وفصولاً، وأن يضم كلامه فى الموضوع الواحد إلى بعضه البعض ولا يتركه هكذا متناثرًا فى أنحاء متفرقة. وهو ما يتطلبه الكتاب الحالى!!

* * *

الكتاب التاسع

« الكون الغامض »

وجود من العدم إلى العدم

تأليف : أ. د. محمد جمال الدين الفندى   عرض : د. حسنى حمدان حمامة

فى التمهيد للكتاب يذكر المؤلف رحمه الله أن قصة الكون بدأت من لحظة الانفجار العظيم، ثم نشأت منها بلايين المجرات كونت السماوات، وعلم تلك النواة الأولى عند الله، ومصدر تلك الطاقة التى سبقها فراغ لا نهائى هو الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (فاطر : ٤١).

وليس أمامنا إلا أن نسلم بوجود موجود بذاته من العدم؛ لأن العدم لا يعطى وجودًا على الإطلاق. والله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو خالق كل شىء، والقرآن الكريم يوجه العقل البشرى بضرورة دراسة السماوات والأرض .

وتلك ملامح الكون فى نظر بعض الحضارات القديمة :

١ ـ يصور الإنسان البدائى الشمس تجرى لأنها حية، وكذلك القمر، أما النجوم فهى مجرد فوانيس معلقة فى كبد السماء!! وراح الإنسان البدائى يتقرب إلى الكون بمختلف الطرق والعبادات. وفى تطور مرجعه الدينى تصور فريق من الناس أن الملائكة هى الموكل إليها تسيير الكون، فى وقت لم يعرف الإنسان سنن الله فى الكون .

وجاء الإسلام ليدعو العقل إلى التأمل والتدبر فى خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وفى الأمطار والرياح، وغيرها من ظواهر الكون، ولكن بعد أن ركن بعض المسلمين إلى الخرافات حدث تخلف مشين. ومن أمثلة تلك الخرافات ذكر «التنين الطائر» فى كتاب «**آثار البلاد**» حيث يصف زكريا محمد القزوينى تنينًا ظهر بنواحى حلب [ينساب على الأرض والنار تخرج من فيه ودبره، والناس يشاهدونه من البعد، وقد أقبلت سحابة من البحر وتدلت حتى اشتملت عليه وروحته نحو السماء، وقد لف التنين بذنبه كلبًا ورفعه والكلب ينبح فى الهواء].

والتنين فى الواقع ما هو إلا سحب المزن الركامى المطيرة والتى يصحبها برق وصواعق ينشأ عنها دوامة مخروطية الشكل ترفع ماء البحر لأعلى، وحين تهدأ العاصفة يتساقط السمك الذى هو من ماء البحر، وتنشأ الظاهرة فى شرق البحر المتوسط نتيجة تيار هواء بارد آت من سيبريا، ولعل ذلك هو المقصود من قوله ـ تعالى:

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ (البقرة: ٢٦٦).

٢ ـ **الكون عند الفراعنة**: صور الفراعنة الدنيا على هيئة إله مضطجع (راقد) تغطيه النباتات. أما السماء فكانت إلهة تنحنى فى خفة ورشاقة وقد حملها فى الأعالى إله الجو «شو». ويظهر إله الشمس «رع» داخل مراكب الشمس، وهو ينطلق يوميًا عبر السماوات إلى ليل الأموات..

٣ ـ الأرض فى تصور الأوروبيين إبان العصور المظلمة: الأرض عندهم أشبه بقرص يقسمه حرف T أسفل بيت المقدس .

وعن نشأة الكون يذكر المؤلف أن الخرافات قد انتشرت ـ ولا تزال تروى ـ عن خلق الكون ابتداء من طائر جزيرة الفصح والإله الذى وضع بيضة الكون والأرض التى ترتكز على قرن ثور، بينما حديثًا نجد نظرية الانفجار العظيم تتحدث عن أن أصل الكون قد نشأ من انفجار عظيم أو صيحة عارمة تولدت عنه الطاقة فى الفضاء الذى شغلته تلك الموجات.

ثم تطورت الطاقة بتمدد الكون وتجسدت فى النجوم والمجرات. ويؤكد ذلك الانفجار وجود آثاره اليوم؛ حيث عثر علماء الفلك على (ترققات) أو (موجات عظيمة القصر) للنشأة الأولى تطفو على أطراف حافة الفضاء الكونى العليا.

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿أَوَ لَمْ يرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء : ٣٠).

معجزة خلق الحياة

ويعطى المؤلف نبذة مختصرة عن الحياة والروح، فيذكر أن كلمة الحياة غير قابلة للتعريف العلمى الدقيق [المادة الحية هى كل وحدة نظامية مميزة بثبات ديناميكى، وقدرتها على حفظ كيانها بنفسها، وعلى امتصاص الطاقة من نظام قائم من حولها، وعلى تثبيت بقائها بواسطة التوالد أو الانقسام أو الانشطار قبل أن تموت].

ووفقًا للتعريف السابق يمكن إدخال السدم والكواكب والسحب والنجوم ضمن المادة الحية.

وتقف الفيروسات مثلاً على الحد الفاصل بين الحى والميت وفقًا للتعريف السابق.

والمهم أن الجسم يظل حيًا ما دامت أعضاؤه قائمة بوظيفتها كاملة. أما إذا عجز أى عضو رئيس أو أكثر عن أداء وظيفته، فإن الجسم الحى يفقد الحياة.

أما الروح، فهى سر من أمر الله ـ تعالى ـ وحده، وهى جوهر غير مادى لا صلة للعلم الطبيعى به ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥). والروح ـ على أية حال ـ هى الجوهر الذى يتميز بالوعى، والفكر، والعلم، والإبداع والتكليف. والروح تسكن الجسد وتفارقه أثناء النوم على أن تعود إليه حين يستيقظ، ولا تفارقه نهائيًا إلا إذا مات.

وفى معلومة سريعة عن السراب أبى الخرافات نجد أن:

القرآن الكريم اعتبر السراب نوعًا من خداع البصر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩).

ومن المعلوم أن أعصاب جنود نابليون على مصر قد انهارت حينما رأوا الواحات تظهر أثناء النهار ثم تختفى، إلى أن فسر أحد العلماء بأنها ظاهرة تحدث نتيجة انعكاس لأشياء حقيقية على سطح الأرض، وأطلق عليها الميراج (السراب).

والسراب أنواع منها البسيط، والسراب الهائل، وأحيانًا يشاهد تحت الأفق.

وعلميّا يفسر السراب كنتيجة لانعكاس وانكسار ضوء النهار فى طبقات الهواء المتباينة الحرارة فوق سطح الأرض أو البحر، حيث ينكسر الشعاع المار عبر طبقات الهواء فينحنى مساره حتى يصير على هيئة القوس تقريبًا.

والعلم لم يفسر بعد أصل الحياة

فى الكون أشياء تحتاج من أجل تفسيرها إلى منطق أقوى من منطق العلم البحت، وهذا المنطق هو منطق الإيمان بالله، فاحتمال تكوين جزء عضوى واحد يتركب من ذرتين ووزنه الجزئى ٢٠,٠٠٠ بطريقة الصدفة لا يتعدى جزءًا واحدًا من ٣٢٠ جزء، ويلزم حجمًا من المادة يفوق حجم الكون بأسره!! وظهور الحياة فى مادة الخلية فى مهدها الأول معجزة إلهية عجز، وسيعجز العلم عن إيجادها.

وفى نظرة سريعة حول الزمن والنظرية النسبية يقف معنا المؤلف وقفات عند أنواع الزمن، حيث نجد أن زمن الأرض يقاس باليوم، وهو زمن دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، وبالشهر، وهو زمن دوران القمر حول الأرض دورة واحدة، والسنة وهو زمن دوران الأرض حول الشمس مرة واحدة. أما الفراغ الكونى فلا معنى للزمن فيه.

والأرض ساعة دقيقة جدّا يكبحها ترس جبار وهو القمر الذى يكوِّن مع الأرض نظامًا مقفلاً، فإذا أسرعت الأرض من دورانها يقل طول يومها عن ٢٤ ساعة، فيقترب القمر تلقائيّا وتزداد قوة جاذبيته للأرض، وتبطئ الأرض من سرعتها ويعود اليوم من جديد ٢٤ ساعة، والعكس صحيح. ومعنى ذلك اختلاف أطوال الليل والنهار باختلاف الفصول ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ (النور: ٤٤) ولربما فى المستقبل يزداد القمر قربًا من الأرض إلى الدرجة التى ينشق فيها لعظم جاذبية الأرض له ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ (القمر: ١).

وعن البعد الرابع للكون يأخذ المؤلف إلى عالم الأبعاد الأربعة (النظرية النسبية) فيذكر أن الجسم المادى له أبعاد ثلاثة، الطول والعرض والارتفاع، وهناك بعد رابع

وهو الزمن، ويبلغ الزمن اللانهاية عندما تكون السرعة مساوية لسرعة الضوء:

$$ق = \frac{ق}{\sqrt{1 - \frac{ع^2}{أ^2}}}$$

أ = سرعة الضوء.

إن الزمن يتوقف حينما تتحرك الأشياء بسرعة الضوء.

وأصبحت فكرة تصريف المستقبل والماضى والحاضر فكرة مثيرة حقًا.

والشهر القمرى الفلكى هو الزمن الذى يكمل فيه القمر دورة واحدة حول الأرض (فلكيًا) من المحاق إلى المحاق، والشهر القمرى الإسلامى هو الزمن الذى يمضى من مشاهدة هلالين وليدين متتاليين بعد غروب الشمس.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومجرد ثبوت ولادة الهلال فى السماء بالحساب الفلكى لا يكفى شرعًا لدخول الشهر، ويجب أن يثبت أيضًا أن الهلال الوليد سوف يمكث فوق الأفق مدة لا تقل عن ١٠ دقائق بعد غروب الشمس تتاح فيها فرصة المشاهدة للهلال الوليد.

أما إذا أثبت الحساب الفلكى عدم مولد الهلال فى السماء يكون من العبث ادعاء إمكان رؤية الهلال بطبيعة الحال كما يدعى البعض أحيانًا. وهذا كله هو عين ما قرره أخيرًا مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

متوسط السنة القمرية هو: ٢٩,٥٥٠٣٢٩ × ١٢ = ٣٥٤,٠٦٠٣٩٤٨

متوسط السنة الشمسية هو = ٣٦٥,٢٤٢٢

إذن عدد الأيام فى ٣٠٠ سنة شمسية = عدد الأيام فى كل ٣٠٩ سنة قمرية.

= ١٠٩٥٧٢,٦٦

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥).

تفسير قوله تعالى: **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾** (القمر: ١ - ٢).

ورد فى كتاب «المنتخب فى تفسير القرآن الكريم» الذى أخرجه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تفسير الآية: «دنت القيامة، وسينشق القمر لا محالة».

وعلميًا يظل القمر على الأرض بوجه واحد دائمًا؛ لأن سرعة دورانه حول محوره هى نفسها سرعة دورانه حول الأرض. وسوف ينشق هذا الوجه وينفصل عن القمر بازدياد الجاذبية عندما يزداد القمر قربًا من الأرض بعد أن تزداد سرعة دورانها حول محورها ويقل طول النهار عليها آخر الأمر.

ونبذة عن الطاقة: يذكر المؤلف أن الكون عبارة عن طاقة ومادة، ويمكن أن تتحول المادة إلى طاقة، والعكس صحيح، بحيث يظل القدر الكلى لهما فى الكون ثابت. والتعريف العلمى للطاقة أنها القدرة على أداء العمل، أو القدرة على بذل الشغل. ويشير إلى أن للطاقة صورًا عديدة تشمل الطاقة الكهربية والطاقة الحرارية والطاقة النووية.

هل الكون سيعود طاقة كما بدأ؟

وقد أوجز القرآن الكريم النشأة الأولى (خلق الكون) فى الآية التالية:

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وعن نهاية الكون يقول القرآن الكريم:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

ويعطى المؤلف معلومات مختصرة عن الشمس مشيرًا إلى أنها نجم من بلايين الشموس فى الكون تبلغ درجة حرارة سطحها ٦٠٠٠ْم ودرجة حرارة باطنها ٢٠ مليون درجة. وسخرها الله لتكون مصدر الطاقات على الأرض.

وتعمل أشعة الشمس الحرارية على تبخير بعض ماء البحار، ومنه تتكون السحب المطيرة. كما تلعب دورًا أساسيًا فى تشكيل الدورة العامة للرياح.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (الروم: ٤٨).

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر: ١٩).

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر: ٢٢).

والشمس مصدر الضوء، ويقتصر ضوء النهار على الطبقة السطحية من غلاف الأرض الجوى وسمكها ٣٠٠ كم فقط.

ويميل محور دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس بمقدار ٥, ٢٣ درجة على مستوى فلك الأرض؛ ولذا تختلف باستمرار مواعيد الشروق والغروب، وتنشأ فصول السنة الأربعة.

ولنتأمل الإعجاز فى قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (الكهف: ٩٠).

حيث ثبت علميّا أن جزءًا من سطح الأرض حول كلٍّ من قطبيها (يمتد إلى نحو ٥, ٦٦ درجة) تظل الشمس فيه طالعة ستة أشهر، وهى تدور فوق الأفق قريبًا منه من غير غروب أو ستر هى أشهر الصيف، كما تظل غائبة ستة أشهر هى أشهر الشتاء. وتعرف تلك الدائرة حول كلٍّ من القطبين الشمالى والجنوبى باسم الدائرة القطبية. والغالب أن الدائرة القطبية الشمالية هى المقصود فى قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف: ٨٦) وأن العين الحمئة تشير إلى نافورات الماء الساخن المتواجدة فى بعض أطراف الدائرة القطبية الشمالية.

ويشير القرآن الكريم إلى عملية التمثيل الضوئى فى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ (الأنعام: ٩٩).

فبواسطة المادة الخضراء (خضرا) وفى ضوء الشمس يحول النبات طاقة الشمس الضوئية عن طريق تفاعلات (كهروضوئية) إلى مواد عضوية، حيث يأخذ النبات ثانى أكسيد الكربون من الجو، وينطلق الأكسجين لتتنفسه الكائنات الحية.

والماء أساس كل شيء حي، وثبت حتى الآن أن الأرض وحدها هي التي جمعت أكبر قدر من الماء الذي يتواجد في حالات المادة الثلاث، وقد قرر القرآن تلك الحقيقة في قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾ (المؤمنون: ١٨).

وبعد الحديث عن الشمس يأتي الحديث عن الأرض وسقفها، فالأرض كوكب له سقف يرتفع فوق سطحها مسافة ١٠٠٠ كم عبر الفضاء الكوني، ويغطي الماء سطح الأرض، وحجمها ضئيل جدًا مقارنة بحجم الشمس التي تبعد عنها بمقدار ٩٣ مليون ميل.

والأرض ليست صادقة التكوير، فهي أقرب إلى الدحية (الدحية في بعض لغات العرب هي البيضة) حيث يوجد فارق قدره ٤٣ كم في طول قطرها عند خط الاستواء (١٢٧٥٦,٧٨كم) وبين القطبين (١٢٧١٣,٦٢كم).

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠).

فالأرض إذن مكورة.

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥).

حيث إن الليل والنهار ظاهرتان تميزان غلاف الأرض الذي هو جزء من الأرض، وفي قوله تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا﴾ (يونس: ٢٤). أو تفيد العطف، حيث يكون نصفها المواجه للشمس نهاراً، والآخر ليلاً.

وعن سقف الأرض السماء المحفوظ يقول رب العالمين: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٢). قوام سقف الأرض غازات النيتروجين (٨٠٪) وغاز الأكسجين (٢٠٪ تقريبًا) ويختلط معها نحو ١٪ غازات نادرة ومقادير متفاوتة من Co_2، وبخار الماء. ونسب المكونات تعكس تقديراً دقيقًا تصلح به الحياة.

وسقف الأرض مرفوع لعلو ١٠٠٠كم فوق سطح الأرض بغير عمد، ولكن بقوة اندفاع الغازات إلى الفضاء الكوني، ولكن جاذبية الأرض تشده إليها.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ (الطور : ٥).

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد : ٢٢).

وتتناقص كثافة الهواء مع صعوده فى السماء فتقل نسبة الأكسجين، الأمر الذى سبب صعوبة التنفس، وتلك حقيقة عرفها العلم حديثًا، وسجلها القرآن منذ القدم.

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام : ١٢٥).

وقد أثبت العلم أن هذا السقف يتكون من عدة طبقات بعضها فوق بعض ومرتبة من أسفل إلى أعلى كالتالى :

١ - التروبوسفير.

٢ - الستراتوسفير.

٣ - الميزوسفير.

٤ - الأيونوسفير.

٥ - الثيرموسفير.

ومن أهم آيات السقف ضوء النهار، وحدوث دورة المياه، وسريان الصوت، والوقاية من شر الزمهرير الكونى، وتوزيع الحرارة والرطوبة على سطح الأرض، وحدوث عملية التمثيل الضوئى فى النبات.

ولا يزال المؤلف يستعرض معنا أجرام المجموعة الشمسية؛ حيث يشير إلى أن المذنبات هى «الخنس» بلفظ القرآن الكريم ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ (التكوير : ١٥، ١٦) حيث إنها أجرام سماوية بين أجرام المجموعة الشمسية؛ ونظرًا لأن مساراتها مستطيلة جدًا فإنها تختفى فى الخضم الكونى بعيدة عن الشمس ثم تقترب من الشمس، وكأنما هى «تخنس»(*).

(*) تشير إلى أن الدكتور منصور حسب النبى وصف الخنس.

ويتكون المذنب من منطقة ضخمة نسبيًا لامعة ولها ذيل طويل يتكون مما يجمعه من الغازات والأتربة الكونية، وكأنه يكنس السماء أثناء سبحه، ومن أمثلة المذنبات مذنب هالى الشهير الذى يمتد ذيله عبر مسافة فاقت البعد بين السماء والأرض.

وحديث القرآن عن الشهب نجده فى قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**﴾ (الجن: ٨) لما حاول جماعة من الجن بلوغ السماء بالارتفاع فوق الأرض وجدوها قد ملئت حرسًا وشهبًا. والشهب جسيمات دقيقة تحترق بالاحتكاك بالغلاف الجوى، وهى تنقض بسرعة خارقة يبلغ متوسطها ٢٦ ميلاً فى الثانية الواحدة. ويدخل جو الأرض كل يوم فى المتوسط ٢٠ مليون شهاب، وتكون الأمطار غزيرة فى السنين التى تدخل فيها مجموعات وفيرة من الشهب جو الأرض، وربما يرجع أصلها إلى الكوكب العظيم الذى انفجر وكان يقع بين كوكبى المريخ والمشترى.

وهناك إشارة إلى المذنبات فى الآية الكريمة التالية:

﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (الحج: ٦٥).

والنيزك حجر سماوى كبير الحجم نوعًا ما ينفذ من غلاف الأرض الجوى ويسقط على سطح الأرض، وقد يفتت فى غلاف الجو الأعلى على هيئة أتربة. وقد تترك النيازك آثارًا مدمرة من جراء اصطدامها بالأرض.

وهناك ثلاثة أنواع من النيازك وهى: الحديدية، والحجرية، والهوائية.

وعن اتساع الكون واكتشاف الجديد من الكواكب السيارة يشير المؤلف إلى أنه فى خلال القرنين الأخيرين اتسعت رقعة المجموعة الشمسية اتساعًا كبيرًا أربع مرات عن طريق اكتشاف كواكب جديدة بلغ عددها عشرة كواكب مصداقًا لقوله تعالى:

﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (الذاريات: ٤٧). ويشير المؤلف إلى حدوث خسوف كلى للشمس تصفه الآيات ٧٦ ـ ٧٩ من سورة الأنعام على حد قول المؤلف:

حيث مر الكسوف الكلى ببلدة إبراهيم أور، وقد تم التعرف عليه فلكيًا بالحساب

الدقيق السليم فى هذا العصر، وقد تم رسم مساره. وكما يحدث فى حالات الكسوف الكلى للشمس رأى إبراهيم ما يلى:

١ ـ ظهر له كوكب فى السماء لمدة خمسين ثانية أو أكثر بقليل ثم اختفى. فاستبعده إبراهيم.

٢ ـ طلع القمر بحوافه بمرور ضوء الشمس من خلفه خلال مرتفعات حوافه ومكث زهاء سبع دقائق ثم اختفى بضوء الشمس، فأنكره إبراهيم واستبعده.

٣ ـ اكتمل قرص الشمس وبدد الظلام المفاجئ ثم غابت الشمس تحت الأفق فأنكرها إبراهيم.

ومن أهم ما يصادف مرور الكسوف الكلى للشمس ظهور كوكب الزهرة لحظة اكتمال الكسوف ليختفى سريعًا ببزوغ قرص القمر، ثم اختفاء القمر بضوء الشمس عند ظهورها.

والأغلب أن قوله تعالى: ﴿**فلما جن عليه الليل**﴾ إشارة إلى دخول الظلام فجأة والدنيا نهار.

تعليق: غاب عن الدكتور الفندى كلمة الليل فى قوله: ﴿**فلما جن عليه الليل**﴾ «ففسرها بظلام الأرض أثناء الكسوف الكلى للشمس فى حين أن الليل يأتى بعد النهار ولا يجتمعان معًا فى جزء واحد من الأرض فى نفس اللحظة، وإن كان فعل جن يعنى ستر، فمن الواضح كما تقول كتب التفسير أن رؤية إبراهيم للكواكب والقمر والشمس كانت فى آخر الشهر، حيث رأى عند الغروب كوكب الزهرة الذى لا يُرى إلا فى ذلك الوقت ثم يختفى، ثم طلع القمر وشق بنوره الظلمة، ثم أعقب النهار الليل وطلعت الشمس، والواضح ببساطة أنه نظر فى السماء يومًا كاملاً من غروب الشمس حتى غروبها التالى، وليس من الضرورى أن يكون رأى الكوكب فالقمر فالشمس فى وقت قصير من النهار، وإلا لزم الدليل.

يقول تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ**

الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩).

والفضاء الكونى لا يعرف الخط المستقيم، فالضوء يسير فيه مسار متعرج، والعجيب أن القرآن الكريم يصف أسفار الفضاء بالعروج، وتلك حقيقة علمية.

والكون يضم المجرات التى تمثل النجوم وحداتها.

ويقول تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام: ٩٧).
فكيف يهتدى بالنجوم؟

١ ـ يعنى النجم القطبى اتجاه الشمال طوال العام.

٢ ـ ويستخدم أيضًا نجوم الدب الأصغر كساعة سماوية.

٣ ـ فى الشرق العربى الشعرى الشمالية والشعرى اليمينية التى استخدمتهما قريش فى رحلتى الشتاء والصيف.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (النجم: ٤٩).

﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (قريش: ١ ـ ٢).

وهناك أشباه النجوم (الكوازار) حيث النجم فى واقع أمره يمثل مجرة كاملة فيها ملايين النجوم.

وحول الأبراج فإن الأرض تمر خلال العام الشمسى الواحد فى سبحها حول الشمس أمام اثنى عشر برجًا رتبت فى بيتين من الشعر هما:

حمى الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس الجدى نزح الدلو بركة الحيتان

ولكل برج سماته الخاصة ومميزاته البيئية. ومعنى الطالع فى أعمال التنجيم هو

إسباغ مزايا برج السماء المواجه للأرض ساعة الميلاد. والتنجيم حرفة وليس علمًا، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**كذب المنجمون ولو صدقوا**».

ويطرح المؤلف سؤالاً: هل نحن وحدنا؟ ثم يجيب عليه بقوله:

يذهب العلماء إلى أن حساب الاحتمال الرياضى ـ وهو الوسيلة العلمية المتاحة الآن لدراسة احتمالات وجود كواكب شبيهة بالأرض فى أعماق الفضاء الكونى ومجراته ـ إلى أن مجرتنا وحدها منها ٢ مليون كوكب شبيه بالأرض، ومن المحتمل وجود كائنات شبيهة بالإنسان عليها.

ومن حيث المنطق السليم فلا معنى من القول بأن الأرض هى الكوكب الوحيد فى الكون المسكون بكائن عاقل.

ومن استعراض آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن الخلق تطالعنا الآيات التالية التى تشير إلى أننا لسنا وحدنا فى الكون:

﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ (الأنبياء: ٤).

﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ (الرحمن: ٢٩).

﴿**بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ**﴾ (المائدة: ١٨).

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ (الشورى: ٢٩).

﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ**﴾ (الرعد: ١٥) ويصف الأطباق الطائرة ذاكرًا أنه فى الغالب فإن معظم تلك الأطباق الطائرة من السحب العالية النادرة، مثل السحب الدواسية، أو العدسية، وهى سحب تشبه العدسات أو الأطباق.

وعن المادة والمادة المضادة نجد أن مقدار المادة والطاقة معًا اللتين أودعهما الله ـ تعالى ـ فى الكون ثابت فى مجموعهما، رغم إمكان تحويل كلٍ منهما إلى الصورة الأخرى.

﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ (الرعد: ٨).

وقد تم العثور على البروتون السالب المضاد للبروتون الموجب، وكذا الكهرب

الموجب المضاد للإليكترون السالب، والصنفان منفصلان ومتباعدان، ويحدث عند التقائهما فناء ذريع ناشئ من التقاء مادتين متضادتين.

الطاقة المنطلقة = كتلة المادة المختفية مضروبة فى مربع سرعة الضوء.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ﴾ (فاطر: ٤١).

أى أن من الممكن إفناء الكون وما فيه من مادة ومادة مضادة، وذلك بجمعهما معًا فى صعيد واحد بعد فصلهما أول الأمر فى عملية الخلق:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

الفضاء الكونى

هو الحيز الذى يشغله الكون وتنتشر فيه المجرات والسدم. ويتميز بظلامه الحالك وهدوئه الشامل المقيم، ووفرة نجومه، وسعير إشعاعه، وضغطه الشمسى، ويقوم مجال جاذبية الأرض بحمايتها من الأشعة الكونية فى جزأين يعرفان باسم أحزمة (فاق آلين).

وتعد المذنبات من أعضاء المجموعة الشمسية.

ويرى المؤلف أن نظرية داروين ليست من حقائق العلم. وقد قوبلت أول الأمر بحماس شديد تناقص إلى حد بعيد الآن نظرًا لعدم وجود دليل على صحتها سواء من بين الأحياء أو من الأحافير.

وتعد الأحافير أو بقايا الكائنات القديمة التى حفظت فى الصخور بعد دفنها وثائق تشهد على الحياة وتعاقبها عبر الزمن الجيولوجى. وتتعدد طرق حفظ الحفريات ما بين

الحفظ الكامل، كما فى حفريات الماموت بالجليد والحشرات فى الكهرمان، إلى حفظ غير كامل مثل تفحم أوراق الشجر.

ويعود المؤلف ثانية إلى المجموعة الشمسية ليصف نهاية الشمس، فيذكر أن الشمس تستأثر بكتلة المجموعة الشمسية (٩٩,٩٪) وتضم الشمس كواكب عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو، ثم كوكب عاشر اكتشف أخيراً، والشمس نجم متوسط توجد على بعد ٦٠ ألف سنة ضوئية من مركز مجرتها التى يبلغ قطرها ١٠٠ ألف سنة ضوئية، ومن أظهر آياتها أنها مصدر ضوء النهار، وقد قدر عمرها حتى الآن بما لا يقل عن ١٠ بليون سنة، وقد لا تنتهى قبل مضى ٤٠ بليون سنة قادمة، وهى ليست كروية الشكل بل لها جسم خارجى وأكليل لا يظهر إلا فى حالات الكسوف الكلى، فهى إذن غير منتظمة وغير مكورة الآن، ولكنها ستكور فى آخر الزمان حتى تنتهى إلى مستقرها كقزم أبيض:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١).

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس: ٣٨).

يقول الكتاب العزيز: إن الشمس لا ينبغى لها، أو لا يجوز لها، أن تدرك القمر، إلا أنه لا ينفى إمكان حدوث الجمع بين الشمس والقمر، فيقول:

﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

ويقول القرآن عن نهاية الكون:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ⑦ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ (القيامة: ٧ ـ ١٠).

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان: ١٠).

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ (يونس: ٢٤).

والآية الأخيرة تشير إلى كروية الأرض، فعندما يكون نصفها فى النهار لأنه يواجه الشمس يكون النصف الآخر فى الليل كما هو معروف، وآية الدخان قد تحدث من تمدد سطح الشمس.

والكون حتمًا له نهاية

فعندما تتلاشى قوة الدفع الأولى التى نجمت عن الانفجار الأعظم بمضى الزمن ويتمدد الكون، تبدأ قوة الجاذبية العالية عملها فى جمع شتات الكون من جديد حتى تتصادم جميع أجزائه فى صعيد واحد كما بدأت. وعند ذلك تتولد حرارات عظمى بسبب التصادم الذريع، وتتحول كل المادة إلى طاقة كما كانت!!

يقول الحق:

١ - **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** (الأنبياء: ١٠٤).

٢ - **﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾** (الزمر: ٦٧).

٣ - **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** (إبراهيم: ٤٨).

ما وراء الكون المادى

الأحلام الصادقة (الرؤيا) ويسميها القرآن الكريم (الأحاديث) التى تتحقق بطريقة أو بأخرى فى الحياة دليل على ما وراء المادة؛ حيث تسبح الأرواح فى عالم ما وراء المادة. هناك - حيث لا زمان كزماننا - تمر الأحداث أمام النائم، ويراها تستغرق أيامًا أو شهوراً بأكملها فى منام أو رؤيا قوامها ثوان معدودات.

ويذهب الماديون إلى أن الأحلام هى قبل كل شىء من صنع الفكر وتخطيطات العقل، إلا أن هذا تعميم خاطئ لا مبرر له. وقد يقول قائل: إن مطابقة الأحلام لما يحدث إن عاجلاً وإن آجلاً هو نوع من الصدفة، والصدفة فى الواقع عاجزة عن الخلق

وعاجزة عن أن تفسر لنا أية مرحلة من مراحل خلق الكون، وإليك الاحتمالات الرياضية لتكوين جزىء بروتينى :

١ ـ احتمال تكوين جزىء واحد من البروتينات بمجرد الصدفة هو : ١ ـ إلى $١٠^{١٦٠}$.

٢ ـ يتطلب تكوين هذا الجزء من مواد الأرض بالصدفة زمنًا مقداره $١٠^{٢٤٣}$ سنة .

وبذلك لا يستطيع الإنسان أن يستوعب بعقله وحده معنى الحياة الدنيا بغير إيمان بحياة أخرى أبدية يلقى فيها جزاء أعماله .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان : ٣٣، فاطر : ٥) .

وفى تعليق المؤلف حول أن العهد والميثاق فى قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف : ١٧٢) .

ويقول المؤلف : إن ظاهر الآية الكريمة أن الذريات من الصلب . أما الروح، فإنها تدخل الأجنة بعد مضى أربعين يومًا من الإخصاب، وقد أشهدهم الله على أنفسهم بالربوبية وأن يقولوا يوم القيامة إنهم كانوا غافلين عن ذلك فى حياتهم الدنيا .

وثم تأويل يقول : إن الله قدجعل لنا عقولاً وضمائر للتعرف بها، والاستدلال على ربوبيته عن طريق العلم والبحث العلمى فى أسرار الكون .

وما من شك أن دراسة كتاب الله المنظور (الكون) دراسة علمية سلمية بعيدة عن الخرافات، ودراسة كتاب الله المسطور (القرآن الكريم) فى ظل دراسة الكون إنما تعود حتمًا إلى الإيمان، خصوصًا فى عصر العلم . . ألم تكن أولى آيات الذكر الحكيم طلبًا للعلم والاحتكام إليه حين نزل جبريل عليه السلام يردد قول المولى ـ جل وعلا ـ :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق : ١) .

رأى عام

تحدث الدكتور الفندى ـ رحمه الله ـ عن الكون فى نظر بعض الحضارات القديمة، وخلق الكون من الفضاء التام، وتكلم عن الزمن وعالم الأبعاد الأربعة، ومطلع الشمس دون ستر، ومغربها فى عين حمئة التى أشار إليها القرآن فى الحديث عن ذى القرنين، وأشار إلى طاقة الشمس، وتكلم بإيجاز رائع عن سقف الأرض المحفوظ بطبقاته المتتابعة، ودورها فى حفظ الحياة عن الكون، ثم وصف أجرام السماء، وله تفسير رائع فى قوله ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ (التكوير: ١٥، ١٦) وتكلم عن النجوم والاهتداء بها، ثم طرح سؤالاً جديراً بالتأمل: هل نحن وحدنا؟ وأشار إلى المادة المضادة، وكيف يتمدد الكون من أثر قوة الدفع الأولى من جراء الانفجار العظيم إلى أن يتحطم الكون فى آخر الزمان، وختم بذكر الميثاق الذى أخذه الله من بنى آدم وأشهدهم على أنفسهم، فقالوا: بلى، مقيماً الحجة عليهم بأنه الرب.

ونحن لا نأخذ عليه تفسيره نظر إبراهيم فى ملكوت السماوات ورأيه فى أفول الكوكب والقمر والشمس، وكيف أن أفولهم حدث أثناء كسوف كلي، وأن الظلام أثناء الكسوف كان نهاراً مع أن الله يقول ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾ (الأنعام: ٧٦)، هذا والله أعلم.

***

الكتاب العاشر

« القرآن وعلوم الأرض »

تأليف : الأستاذ محمد سميح عافية **عرض : أ. د. كارم السيد غنيم**

صدر كتاب «القرآن وعلوم الأرض» لمؤلفه الأستاذ محمد سميح عافية، فى طبعته الأولى عام ١٩٩٤، عن دار «الزهراء للإعلام العربى» بالقاهرة، يقع الكتاب فى (٢٢٤) صفحة من القطع الكبير، وينتظم تمهيداً وسبعة فصول وخاتمة، مع ثبت بالمراجع والمصادر، وقائمة بالأشكال التوضيحية وفهرسًا للموضوعات. والتمهيد يشغل (١٥ ص) وتتصدره مجموعة من الأفكار التى أشار إليها، وهى: الأمانة التى حملها الإنسان - الإنسان من الأرض إلى الأرض يعود - لماذا خلق الله الإنسان - الميزات التى اختص الله بها الإنسان - الكتابة هى التى حفظت العلم ونقلته من جيل إلى جيل - هداية الإنسان إلى النظر والتأمل فى الأحياء والموجودات المحيطة به - وصف عام لحال البشرية وقت ظهور الإسلام - احتفاء القرآن بعدد كبير من الظواهر الطبيعية - التفاوت فيما بين البشر فى قدراتهم وإمكاناتهم لإدراك قدرة الله - أهمية ضرب الأمثال فى القرآن - خواطر حول سورة الفاتحة.

وفى التمهيد ذاته يتحدث المؤلف عن أهمية ودور «الإعجاز العلمى للقرآن».

ثم ينتقل إلى أهمية الإلمام بمعارف علوم الأرض فى فهم كثير من آيات القرآن، وضرورة الإلمام بمعانى الألفاظ، والاصطلاحات الجديدة فى العلوم الحديثة.

ويحدد المؤلف هدفه من وضع الكتاب بقوله : ويعطى هذا التناول شرحًا للجوانب العلمية الحديثة بتبسيط يتلاءم مع غير المتخصص فى علوم الأرض، فالهدف هو تزويد القارئ بما توصل إليه العلم الحديث فى علوم الأرض حتى يزداد إدراكًا لقدرة الخالق. .
وقد حصر المؤلف موضوعات علوم الأرض فيما يلى :

١ ـ تحديد نوعيات الصخور التى تتكون منها قشرة الأرض.

٢ ـ تحديد أعمار الصخور بوسائل متعددة.

٣ ـ الدراسات التفصيلية للأحافير الحيوانية والنباتية فى مختلف العصور الجيولوجية.

٤ ـ سبر أغوار ما تحت السطح من صخور غير مرئية.

٥ ـ متابعة الحركات الأرضية البطيئة من ارتفاع أو انخفاض لليابسة، وكذلك الزحزحة القارية الأفقية.

٦ ـ متابعة المياه فى دورتها فيما بين السماء وقشرة الأرض.

٧ ـ متابعة تأثير المياه والرياح فى نحت أو إذابة أجزاء من صخور القشرة ونقلها وإعادة ترسيبها فى أماكن أخرى.

٨ ـ الكشف عن مصادر الخامات التعدينية.

٩ ـ استخراج الخامات واستخلاص المفيد منها.

فى الفصل الأول وعنوانه «ما حول الأرض من نجوم وكواكب»، عرض المؤلف لقصور الحواس البشرية. ومن هنا لجأ الإنسان إلى اختراع الأجهزة المقربة والمكبرة التى يمكن له بها أن يتعرف على ما لا تستطيع حواسه المجردة التعرف عليه.

ثم عرض المؤلف لتعريف كلٍّ من المجموعة الشمسية، والمجرة، وعرض لبعض عجائب مجرة درب اللبانة (سكة التبانة) من مثل النجوم النابضة، ثم أشار المؤلف إلى وجود أعداد كبيرة من المجرات، تضم كل واحدة منها أعدادًا هائلة من النجوم والكواكب والتوابع، كما أشار إلى حركة الأجرام كلها، وأعطى نبذة عن توسع

الكون، وعن قوة التجاذب فيما بين الأجرام السماوية، كما أشار إلى أنواع الأشعة المعروفة للإنسان، وسرعة الضوء، وألوان الطيف. . . ثم تناول المؤلف «الشمس».

وعرض الفصل الثانى لموضوع وبدأه المؤلف بتعريف السماء، وكذلك الأشعة التى تدخل سماء الأرض، وأبعاد الغلاف الجوى ونطاقاته، كما ذكر شيئًا عن حجم السحاب المحيط بالأرض، ومكان امتصاص الأشعة الداخلة فى الغلاف الجوى، وبيّن المؤلف تطور الغلاف الجوى والتركيب الكيميائى الحالى له، وفوائد هذا الغلاف.

وجاءت «الرياح» وبعض الأسباب لحدوثها، وبعض الفوائد البارزة لها فى الفصل الثانى. ثم بعض الظواهر الجوية التى أورد المؤلف منها: الرعد والبرق، الصواعق، قوس قزح، السراب، الشهب والنيازك، وختم نبذة عن الحجر الأسود.

وفى الفصل الثالث جاء وصف الكرة الأرضية وتركيبها الكيميائى والداخلى، ثم انتقل إلى تناقص أطراف الأرض.

ثم اتجه المؤلف لبيان **المجال المغناطيسى** الأرضى الذى أثبتت الدراسات الحديثة أنه غير ثابت، بل متغير فى اتجاهه ودرجته، وقد فسر العلماء هذا بوجود حركة فى قلب الكرة الأرضية لمادتى الحديد والنيكل، وهناك تضاريس للأرض ذكرت فى آيات قرآنية عديدة.

أما الجبال وصخورها، فقد تحدث عنها المؤلف ذاكرًا تركيب الصخور وأنواعها وتصنيفاتها، وخصوصًا الصخور النارية.

أفرد صاحب الكتاب مساحة غير قليلة لموضوع «الحركات الأرضية» تحت العناوين التالية:

١ ـ الحركات البطيئة للقشرة الأرضية، التوازن الأرضى، الزحزحة (الإزاحة) القارية، حركة ألواح اليابسة.

٢ ـ الحركات السريعة للقشرة الأرضية من مثل كلٍّ من الزلازل، والبراكين.

وفى الفصل الرابع عالج المؤلف موضوع الغلاف المائى للأرض ويغطى (سائلاً أو متجمدًا) نحو ٧٤٪ من سطح القشرة الأرضية فى وقتنا الحالى.

وبعد ذلك تحدث عن الماء عند خلق الأرض، وكذلك منشأ وتطور المحيطات،

وتضاريس قيعان المحيطات . **وبالنسبة لكيمياء الماء** شرح المؤلف التركيب الكيميائى للماء، وبعض خصائصه، وملوحة مياه المحيطات والبحار، وعرض جدولاً بأهم العناصر فى ملوحة البحار والمحيطات، ثم تناول عدداً من الآيات القرآنية بدون شرح أو تعقيب، سوى أنها ذات مناسبة للماء العذب والماء الملح، ودخل مباشرة إلى الدورة المائية، ومنها إلى السحب والبَرَد، **وتحدث عن آلية تكوين السحابة، وأشار إلى السحب الركامية، وشرح الثلج والجليد، وتناول إسكان الماء فى اليابسة**، ثم ختم الفصل بنبذة عن تأثير الماء فى سطح اليابسة ودوره فى تفتيت الصخور .

ويختص الفصل الخامس فى هذا الكتاب بالزمان والمكان، ويبدأه صاحبه بشرح لأحجام حبيبات التربة، ويقدم نبذة فى التفسير الجيولوجى لتطور كوكب الأرض، ثم ينتقل إلى تركيب الذرة، ويبين النشاط الإشعاعى وفائدته، وينتقل إلى لفظ (الذرة) فى القرآن الكريم، واقترانه بلفظ «مثقال» عدة مرات وللذرة فى اللغة العربية عدة معان، وهناك العمر المطلق للأرض، وبعد أن تحدث المؤلف فى التاريخ الجيولوجى لقشرة الأرض أوضح تعاقب الأحداث الجيولوجية فى مكان ما من سطح الأرض، ثم قسم الزمن الجيولوجى إلى : الدهر ـ الحقب ـ العصر ـ الفترة ـ الحين ـ الفينة (اللحظة) .

ونترك المؤلف يذكر العصور المختلفة فى الأحقاب المختلفة القديمة والحديثة، ونمر بالجدول المعروض لمظاهر الحياة الحيوانية والنباتية فى العصور المختلفة، ونصل إلى **وحدات قياس الزمن**، ويذكر عدداً من المصطلحات القرآنية ودلالاتها الزمنية .

وبالنسبة للسنة والشهر، فلقد شرح المؤلف الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية، ثم ا نتقل إلى العقد والقرن، ثم إلى الحين والدهر، والحقبة، ثم إلى الأبد .

نتقل من «الزمان» إلى «المكان»، فالإنسان حرص على معرفة مكانه (أى موقعه) على سطح الأرض، كما حرص على معرفة اتجاهه فى حله وترحاله، وهو يستعين لمعرفة ذلك بعلامات بارزة على الأرض، مثل : الجبال، ويستعين بالشمس وانحرافاتها خلال أوقات النهار، وخلال شهور السنة، ويستعين أثناء الليل بالنجوم والكواكب . وكان الناس قبل اختراع البوصلة المغناطيسية يحددون الاتجاه نهاراً بمواقع الشمس، وليلاً بمواقع النجوم والكواكب . أما الشرق والغرب، فهما اتجاهان جغرافيان ورد

ذكرهما فى عدد من الآيات القرآنية، وكذلك الشمال واليمين. **وختم مؤلف الكتاب الفصل الحالى بنبذة عن الوسائل العلمية الحديثة لتحديد المواقع** المختلفة على سطح الكرة الأرضية، كما أعطى نبذة عن المقاييس الطولية، مثل: المتر - الكيلومتر - السنة الضوئية.

وبعد الزمان والمكان، تناول مؤلفنا ظواهر أرضية أخرى فى الفصل السادس، وهى: الضياء والنور والطاقة، وكانت الدقة القرآنية فى التفرقة بين الضوء والنور فى الآية الخامسة من سورة يونس، وبذلك نعلم أن النجوم مضيئة بذواتها، وأما الكواكب فإنها تعكس جزءًا من الضياء الذى يسقط عليها من النجوم. هذا عن الضياء القادم من السماء، أما الضياء النابع من الأرض فلقد استنبطه المؤلف من سورة طه؛ حيث مشهد من مشاهد قصة موسى عليه السلام فى مصر. وبعد أن أشار سريعًا إلى الآية (٣٥) من سورة النور، وصل بنا إلى «النار»، فالإنسان القديم اكتشف النار، ولموسى عليه السلام قصة مع النار التى أخذ منها قبسًا أو شهابًا. ثم تحدث المؤلف عن الوسائل البدائية لإيقاد النار، والقَسَم القرآنى من سورة العاديات، وهى الخيل التى تخرج للجهاد فيتطاير الشرر من وقع حوافرها على حصى الصحراء.. ثم تكلم عن إشعال النار فى الوقت الحالى، وأوصاف النار فى معاجم اللغة.

وبعد إشارته إلى العلاقة بين النار والجان، انتقل صاحب الكتاب إلى الجزئية الأخيرة فى هذا الفصل، وهى «الطاقة»: طاقة مصدرها أشعة الشمس (المباشرة وغير المباشرة) وطاقة مصدرها كوكب الأرض نفسه، مثل الفوارات الحارة التى تخرج من فوهات تقذف بالمياه الساخنة على فترات منتظمة، ومثل ما تخرجه البراكين، ومثل الحرارة الكامنة تحت سطح الأرض (الحرارة الأرضية).

الفصل الأخير فى الكتاب جاء حول «ما ينفع الناس» وهو يحتوى إحدى عشرة جزئية: الحياة على الأرض قبل الإنسان - سكنى الإنسان للأرض - خلق الإنسان - الإنسان والنمو الحضارى - الماء - النبات - الأحجاز ومواد البناء - خامات صناعية غير فلزية - خامات فلزية - خامات الطاقة - الأحجار الكريمة.

تناول المؤلف فى **الجزئية الأولى** الحياة الأرضية قبل ظهور الإنسان، وكيف تهيأت

الظروف من هواء وماء ودرجة حرارة لاستقبال الإنسان. . كما تناول بالتدرج التاريخى نشأة الكائنات الحية النباتية ثم الحيوانية، ونتائج دراسات علماء الأحافير فى ذلك. وبعد تدرجه من وصف الحياة وأنواع الأحياء فى الأحقاب الجيولوجية المتوالية، دخل إلى **الجزئية الثانية** ونحى نفسه من الإجابة عن أسئلة حرجة دار الجدل حولها منذ ما يزيد على قرن، منها: متى جاء الإنسان؟ أين استقر على هذا الكوكب (الأرض)؟ كيفَ كان مظهره؟ وبعد مروره **بالجزئية الثالثة** وصل إلى الإنسان والنمو الحضارى، وهى الجزئية التى تسلسل فيها الكلام عبر الأزمان الجيولوجية حول الأمم والشعوب والحضارات حتى ظهرت الحضارات التاريخية، وهى الحضارات المسجلة بالكتابة، وظهرت بذلك على الأرض أهم الأمم ولكل واحدة منها كيان اجتماعى واقتصادى، وصفات مترابطة من اللغة والعادات والدين. .

وتحدث الكاتب عن أن أنقى صورة من صور الماء فى الطبيعة هى «ماء المطر» وهناك شروط صحية لمياه الشرب، وهناك أيضًا الماء الآسن. . ومن مصادر الماء السائغ للشرب: الأنهار والأودية والبحيرات، كما ذكر القرآن الماء الذى يخرج من ثنايا الحجر. وهناك أيضًا مصدر للماء الصالح للشرب وهو «الماء الجوفى» الذى انحبس فى طبقات من الصخور خلال الأزمنة السابقة. . وهناك محاولات للبحث عن مصادر جديدة للماء، مثل: تحلية مياه البحار، ومحاولة إذابة الكتل الجليدية من الجبال الجليدية الهائمة فى القطبين بعد نقلها إلى المطلوب توفير الماء فيها.

وفى **الجزئية التالية** يشرح المؤلف كيف أن النبات طعام البشر وطعام الأنعام، وكيف أن فيه جمالاً وبهجة، وتحدث عن أنواع التربة المناسبة لنمو النبات، وكيف يعتمد التركيب المعدنى للتربة على تركيب الصخور التى تتفتت. ثم شرح التركيب الصخرى الأساسى الذى تكونت منه التربة. وفى **الجزئية التالية** تناول المؤلف الأحجار ومواد البناء مبتدئًا باتخاذ الكهوف مسكنًا للإنسان، وشارحًا تطور اتخاذ المساكن وبنائها عبر المسيرة التاريخية للإنسان، وقد استأنس بعدد من الآيات القرآنية التى تشير إلى هذا إشارة مباشرة، . **كما أشار إلى أغراض** حفر الأنفاق، وذكر النفق فى القرآن الكريم. **وبالنسبة للخامات الصناعية** غير الفلزية ذكر المؤلف ملح الطعام، والطلق، والكبريت، والقطران، والزجاج، وتحدث عن الزجاج عبر التاريخ، ومشهد من مشاهد قصة سليمان مع بلقيس. كما ذكر القوارير التى من الفضة.

كانت أكبر جزئية فى هذا الفصل هى **الجزئية التاسعة** التى تحدث فيها المؤلف عن الفلزات فتناولها كما وردت فى القرآن الكريم، وهى: الذهب والفضة والنحاس والحديد، كما ذكر بعض النصوص النبوية التى تثبت وجود المناجم على عهد رسول الله ﷺ بالجزيرة العربية. وقد ذكر الرسول الكير، وهو وسيلة لتنقية الفلزات بالحرارة والطرق: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك ونافخ الكير» وقبل عهد الرسول بزمن طويل كان استخراج الخامات المعدنية من الجبال معروفًا. كما أن من قصص القرآن قصة ذى القرنين وما ورد بها من تقنية بناء السدود من الحديد والنحاس بعد معالجته.. وتعرض المؤلف إلى ما ورد عن الفلزات فى الفتاوى الشرعية من أمور.

وبعد المرور بمصادر الطاقة، المتجددة وغير المتجددة، نصل إلى الأحجار الكريمة لنجد المؤلف يتكلم فى: اللؤلؤ والمرجان، والتطيب بالعنبر، وهو من إفرازات صيد البحر، ويتناول الياقوت، ويستشهد بالعديد من الآيات القرآنية ـ وقد ذكر من الأحجار الكريمة التى عرفها المسلمون بعد انتشار الإسلام: الزمرد، الزبرجد، الفيروز.

وفى خاتمة الكتاب ينذر المؤلف بالكارثة الكبرى التى تنتظر البشر إذا هم ظلوا على جحودهم للنعم الإلهية، إذ يقابلونها بعدم الحكمة التى تظهر فى استنزاف الموارد الطبيعية واستعمالها غير الرشيد، وتكدس أعداد البشر فى أماكن معينة، واختفائهم من مناطق أخرى، أى أن الإنسان عاجز عن التوزيع الحكيم لأعداده فى مساحات الكرة الأرضية.

* * *